



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أحمد درايعية - أدرار -  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
قسم التاريخ والآثار



## الفقهاء والاستعمار في غرب إفريقيا آراء المهادنة والجهاد 1850 . 1960م.

أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر (المدى)  
تخصص: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء المعاصر

إشراف الدكتور:

عـبو الطاهر

إعداد الطالب:

جعفري محمد

### أعضاء اللجنة المناقشة

اللقب والاسم	الرتبة	المؤسسة	الصفة
الحمدي أحمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد درايعية-أدرار	رئيساً
عبو الطاهر	أستاذ محاضر أ	جامعة أحمد درايعية-أدرار	مشرفاً ومقرراً
مناذي عثمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة سوق أهراس	مناقشاً
كرومي عبد الحميد	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد درايعية-أدرار	مناقشاً
كمون عبد السلام	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد درايعية-أدرار	مناقشاً
مولاي محمد	أستاذ محاضر أ	جامعة أحمد درايعية-أدرار	مناقشاً

السنة الجامعية: 1444. 1445هـ/ 2023 . 2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

إلى العزيزة الغالية التي رافقتني طوال حياتي بدعواتها والتي كانت سر نجاحي...أمي الحبيبة.

إلى من عبد لي الطريق دون أن يبالي، وأصل لدي العزة والمجد والاعتماد على النفس، ومشجعي في هذه الدنيا...والدي الكريم.

إلى من هي عضدي في هذه الحياة زوجتي الغالية، وإلى من هم سندي في هذه الحياة إخواني وأخواتي كل واحد باسمه، إلى كل عائلتي القريب والبعيد، وإلى كل أصدقائي، ورفاق دربي سواء من جمعنا بهم مقاعد الدراسة أو العمل أو الحياة.

محمد

## شكر وعرفان

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم، فله الحمد أولاً وأخيراً على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فبنعمته تتم الصالحات وتقضى الحوائج، وتنال البركات، ومنها التوفيق لإتمام هذا العمل الذي نتمنى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

ومن باب لا يشكر الله من لا يشكر الناس، أتقدم بأسمى وأصدق عبارات الشكر والتقدير والاحترام والامتنان للدكتور عبو الطاهر الذي شرفني بقبول تأطير هذا العمل، ورافقني بنصائحه وتوجيهاته من أجل إثراء هذا العمل وخروجه على هذه الصورة. كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأعضاء اللجنة الموقرة لقبولهم مناقشة هذا العمل.

وفي هذا المقام لا يفوتني أن أهدي هذه الثمرة إلى أساتذة قسم التاريخ بجامعة أحمد درايعية كل باسمه وجميل وسمه ومقامه، وإلى أساتذتنا ومعلمينا وشيوخنا منذ نعومة أظافرنا إلى يومنا هذا، وإلى كل من أسهم معنا ولو بكلمة تحفيزية أو دعاء صادق.

# المقدمة

شهدت منطقة غرب إفريقيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي تكوين ممالك وإمارات إسلامية حظي خلالها الفقهاء والعلماء بمكانة سامية في الحياة الدينية والدينية، وقد عرفت المنطقة استقراراً فقهياً كون الفقه المالكي هو السائد، ولا ينكر أحد ما لهذا المذهب من دور في توحيد المغرب الإسلامي، إلا أن النوازل الفقهية وخاصة في المعاملات جعلت الفقهاء ينشطون ويجددون حركة الاجتهاد الفقهي بعد فترة من الخمول، تصديقا لما ورد عن عمر بن عبد العزيز "تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من الفجور". ونظرا لاستحالة الحديث عن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء المعاصر دون الكلام على الاستعمار كونه المسيطر على المشهد العام والساحة السياسية خصوصاً، فقد اخترنا تسليط الضوء على إحدى أهم النوازل في الفترة المعاصرة والمتعلقة بمواقف الفقهاء من الاحتلال الاجنبي كونهم يمثلون القيادة الروحية لشعوب المنطقة. وبهذا وسمت موضوعي ب:

(الفقهاء والاستعمار في غرب إفريقيا-آراء المهادنة والجهاد 1850-1960م) حيث حاولت من خلاله التركيز على أهم الأدلة التي قدمها الفقهاء للمواقف التي تبناها تجاه الاستعمار وتطور هذه المواقف، كما حاولت نقد هذه الأدلة من خلال المقارنة بين مختلف الآراء والتوجهات.

### تحديد الموضوع:

تم اختيار الإطار الزمني للدراسة من سنة 1850 إلى غاية 1960 م، لعدة اعتبارات، فعام 1850م تاريخ محوري في تاريخ غرب إفريقيا المعاصر، حيث يعتبر بداية التغلغل الفعلي للاستعمار الأوروبي في المنطقة، وسبب اختيار هذا التاريخ هو انطلاق أول رحلة رسمية مكلفة من الإدارة البريطانية لكشف أغوار غرب إفريقيا وضمت ثلاثة من أهم الرحالة وهم جيمس ريتشاردسون، هنري بارث، أدولف أفرويج. وهو أيضا تاريخ بداية المواجهة الحقيقية بين الحاج عمر الفوتي والقوات الفرنسية، وكذا نهاية تجارة الرقيق. أما تاريخ 1960م فهو معلم هام في تاريخ هذه المنطقة المعاصر حيث شهد هذا العام القضاء على الاستعمار الفرنسي في المنطقة من خلال عقد فرنسا العديد من الاتفاقيات مع مستعمراتها في إطار البقاء ضمن الاتحاد الفرنسي.

وأما اختيارنا لغرب إفريقيا أو ما كانت تعرف قديماً بالسودان الغربي باعتبارها منطقة عرفت حركة علمية وفقهية كبيرة منذ القرن 15م، وانتشارا للطرق الصوفية، كما شهدت تكوين العديد من الممالك والإمارات الإفريقية، ولم تلق هذه المنطقة لحد الآن القدر الكافي من الدراسة رغم أنها ارتبطت بالعديد

من المناطق سواء مصر أو بلاد المغرب أو الاندلس من أجل إحياء الحركة الفقهية. غير أن دراستنا لم تشمل كل هذه المنطقة نظراً لاتساع ارجائها بل شملت فقط الأجزاء التي عرفت انتشار وتمكن الإسلام والتي شهدت نهضة فقهية وعلمية.

### دواعي اختيار الموضوع:

لم يكن اختيار هذا الموضوع عشوائياً ولا عن صدفة بل هو نتاج سلسلة من المقاربات والدوافع يمكن تقسيمها إلى قسمين: أسباب شخصية مرتبطة بالرغبة في مواصلة البحث ضمن تخصص إفريقيا جنوب الصحراء وكذا مواصلة الدراسة حول العلاقات بين ضفتي الصحراء التي استهوت الكثير من الدارسين قديماً وحديثاً، وكذا اهتمامي بالتاريخ الثقافي للشعوب الذي يعتني بتطور الأفكار، والعلوم والفنون. أما الأسباب العلمية فيمكن إجمالها في النقاط التالية:

- كشف الغطاء عن الكم الهائل من النوازل الفقهية والرسائل والجدل الفقهي الذي تميزت به منطقة غرب إفريقيا، وإبراز دورها في كتابة التاريخ كونها أصبحت اليوم تعد من أهم المصادر التاريخية.

- إبراز تأثير وتواصل فقهاء ضفتي الصحراء ببعضهم البعض، حيث أن هذه النازلة تناولها فقهاء المغرب الاسلامي عامة، وكذا تسليط الضوء على دور الاستعمار في بتر هذا التواصل وقطع العلاقات بين الضفتين والتي امتدت لقرون من الزمن.

- تصحيح بعض الاعتقادات والرد على بعض المصطلحات المغرضة التي شاعت في هذا العصر حول المواقف من الاحتلال، ورفع اللبس في ظل تبادل التهم إلى غاية يوم الناس هذا حول ظروف تسرب الاستعمار والتمكين له في منطقة غرب إفريقيا أو في غيرها من المناطق.

- الحاجة إلى مثل هذه المواضيع في ظل ما تعانيه الأقليات وخاصة المسلمة في كثير من البلدان رغم وجود حقوق الإنسان التي كفلها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر يوم 10 ديسمبر 1948م ورغم كل القوانين المدنية.

### أهمية وأهداف الدراسة:

جاءت هذه الدراسة لتميط اللثام عن كثير من الحقائق حول ظروف تغلغل الاستعمار إلى منطقة

غرب إفريقيا بداية والتمكين له، والملابسات المصاحبة له، وأيضا من أجل الكشف عن مكانة الفقهاء القيادية والمحورية في المجتمع قبل وبعد دخول الاستعمار. إن قضية آراء الفقهاء من الاستعمار أثارت جدلا كبيرا حيث عدت هذه النازلة من أهم النوازل في التاريخ المعاصر ليس فقط من حيث العدد الهائل من الوثائق التي خلفتها ولكن أيضا من خلال حدة الصراع الذي نشب بسببها بين الفقهاء وبين شيوخ الطرق الصوفية وحتى بين أبناء القبيلة الواحدة، فقد أثار هذا الموضوع الكثير من الاسئلة خصوصاً ما يتعلق بمسألة التودد للأجنبي والانبهار بحضارته، وفقه المتغلب وأحكام الجهاد والهجرة وأحكام أموال المسلمين وغير المسلمين في دار الحرب... مما يجعل هذه الدراسة تندرج ضمن إطار المدارس الحديثة في كتابة التاريخ بعيد عن السرد والأحداث السياسية فهو يتناول بدرجة أولى أهمية النوازل الفقهية في كتابة التاريخ.

ويأتي على رأس أهداف هذه الدراسة إبراز تلك الروابط التاريخية العميقة بين ضفتي الصحراء والتي تجسدت في عدة مظاهر أبرزها هجرة الفقهاء والطرق الصوفية بين شمال وغرب إفريقيا، ومحاولة إعادة الحياة لتلك العلاقات، وأيضا تسليط الضوء على ذلك السجال الفكري والفقهية والتعرف على ذلك الكم الهائل من الوثائق التي خلفها، ومحاولة تفسير الأسباب العميقة التي جعلت بعض العلماء يهادنون الاستعمار، بل يدعون إلى التعاون معه أحيانا، من خلال طرح مختلف الأدلة ومناقشتها، وفي نفس الوقت مناقشة آراء ومواقف الطرف الاخر الراض للاستعمار جملة وتفصيلا.

### الإشكالية:

إن موضوع علاقة المسلمين مع غيرهم مازال لحد الساعة يطرح عدة إشكالات فقهية على رأسها قضية الولاء والبراء، وجاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على جانب من هذه العلاقة، حيث أن الغزو الاستعماري لغرب إفريقيا وضع النخب المثقفة سواء الفقهاء أو زعماء الطرق الصوفية أمام إشكالية معقدة أفضت إلى ظهور جدل كبير، مما أدى إلى بروز انقسام واضح بينهم، بين من دعا إلى الجهاد وبين من رأى أن الجهاد إن لم تتوفر شروطه فهو مجرد فتنة، ورغم أن هذا الجدل وقع فيه المسلمون عامة إلا أن اختيارنا لفئة الفقهاء كونها كانت تتبوأ مكانة متميزة في المجتمع الإسلامي وأيضا كونها كانت تمتلك عجلة القيادة في توجيه غيرها من الفئات. ومن هنا طرحنا الإشكالية التالية: إلى أي مدى تمكن الوعاء الفقهي الأصلي في غرب إفريقيا من مواجهة المظاهر الجديدة التي أحدثتها التحرشات الأوروبية

## على السواحل والدواخل ما بين 1850 و 1960م؟

ومن أجل الإمام بموضوعنا من جميع الجوانب فقد أدرجنا ضمن الإشكالية الرئيسية مجموعة من الإشكالات الفرعية: هل استطاعت المدرسة الفقهية إعطاء مشروع متكامل للتعامل مع العناصر الجديدة؟ وماذا يمكن أن تحدثه تلك العناصر من اختلالات في المجالات العامة والخاصة؟ كيف كانت مكانة العلماء في غرب إفريقيا قبل دخول الاستعمار؟ وما هو التحول الذي سيحدث بعد سيطرة الاستعمار؟ ماهي ظروف الاحتلال الأوروبي للمنطقة وكيف أثر في ردة الفعل؟ هل حدث تواصل مع فقهاء المناطق المجاورة حول نازلة الاستعمار؟ لماذا تباينت آراء الفقهاء في منطقة غرب إفريقيا حول ظاهرة الاستعمار؟

### المنهج المتبع:

إن اختيار المنهج هو المميز للدراسات الأكاديمية عن الدراسات التقليدية، ويمكن استعمال وتنوع المناهج في دراسة واحدة على حسب طبيعة الموضوع، ومن هنا وتبعاً لطبيعة دراستنا فقد اخترت المنهج التاريخي كون الموضوع تاريخياً يدرس فترة زمنية طويلة مما استوجب تتبع تطور الأحداث كرونولوجياً خاصة إنني اعتمدت في دراستي على النوازل والفتاوي مما يستوجب ربطها بسياقها الزمني، وتتبع الظروف التي صاحبت إصدار تلك الفتاوي. واختياري لهذا المنهج لتعدد أدواته، فبعيدا عن السرد يعتمد هذا المنهج على مراحل وأدوات منها تفكيك المعلومات والربط والتحليل والنقد وإعادة البناء والتركيب. فالقضية أساساً مبنية على جدل عميق مما يجعل الباحث يحتاج مقابلة تلك الأدلة وكلها مستقاة من مصادر أصيلة ويقابل مختلف النصوص والوثائق محاولاً معرفة الأسباب الشخصية أو الموضوعية التي جعلت الفقيه يصدر حكماً معيناً.

### الخطة:

تجاذبني أفكار عديدة وأنا أحاول وضع خطة مناسبة تكون ملمة بجوانب هذا الموضوع المتشعب حتى لا تفوتني شاردة ولا واردة، إلا أن معالم الخطة لا تكاد تتضح عادة إلا بعد عملية الجمع والتقميش، فهي التي ستفرض على الدراسة الخطة النهائية، وبعد استشارات عديدة وإمعان نظر استقر الرأي في

النهاية بعد موافقة الأستاذ المشرف على خطة تتضمن أربعة فصول مع مدخل تمهيدي مابين مقدمة البداية وخاتمة النهاية. وهي كالتالي:

كانت بداية هذه الدراسة بمدخل تمهيدي تمثل في مقدمة جغرافية بحتة تضمنت عدة إشكاليات أولها مشكلة تسمية غرب إفريقيا وارتباطها بمصطلح السودان الغربي. وثانياً مسألة التحديد الجغرافي للمنطقة من خلال كتابات الرحالة العرب والاختلاف بين الجغرافيين المعاصرين حول تحديدها وخاصة ما يتعلق بالجهة الشرقية والشمالية، أما النقطة الثالثة فهي قضية أصول السكان وتقسيمهم وبناء على هذا حاولت الوقوف على الأسس التي اعتمدها الجغرافيون والمؤرخون لدراسة السكان في المنطقة كما تناولت الجانب التضاريسي، ووقفت على أهم الحواضر والقبائل التي استوطنتها.

وسمى الفصل الأول ب: ((غرب إفريقيا قبل الغزو الاستعماري)) وهو فصل مهمٌ وضروري حيث تناول بالدراسة مختلف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمنطقة قبيل الاستعمار، كما تناول جذور الحركة الفقهية في غرب إفريقيا ومميزاتها، وعوامل سيادة المذهب المالكي وأبرز النوازل الأخرى التي حظيت باهتمام الفقهاء. ووقفت فيه مطولاً عند مكانة الفقهاء في المجتمع ودورهم في مختلف مجالات الحياة، من أجل معرفة التغيير الذي سيحصل بعد دخول وسيطرة الاحتلال الأوروبي على مقاليد الحكم. وتناول الفصل أيضاً قضية بارزة وهي مفهوم الاستعمار، ودوافعه وأساليب تغلغه في منطقة غرب إفريقيا، كما تضمن سياسة الاستعمار في المنطقة وهذه النقاط الأربع كان لها تأثير كبير في مواقف وآراء الفقهاء من هذه النازلة.

أما الفصل الثاني فقد وسمته ب: ((آراء فقهاء غرب إفريقيا في الجهاد)) تناولت فيه كل ما يتعلق بمفهوم الجهاد والكتابات حول هذا الموضوع سواء قديماً أو حديثاً، وأيضاً الحركة الجهادية في منطقة غرب إفريقيا قبل دخول الاستعمار من أجل الإصلاح أو بهدف تكوين ممالك وإمارات أو نشر الإسلام وحتى الحروب بين المسلمين أنفسهم، ثم تناولت آراء الفقهاء المؤيدين للجهاد مع أدلتهم ليعقبها مباشرة آراء المعارضين لهذا المبدأ انطلاقاً من أدلة شرعية وعقلية. ولتأكيد التواصل بين فقهاء غرب إفريقيا وشمالها فقد تناولت بالدراسة آراء علماء من خارج المنطقة وما وقعوا فيه من اختلاف حول هذه القضية. واستكمالاً لمواقف الرفض تناولت أيضاً المقاومة السياسية التي تعتمد الاتجاه السلمي للجهاد. وفي آخر الفصل تطرقت إلى موقف وسياسة الاستعمار تجاه الإسلام والطرق الصوفية.

جاء الفصل الثالث تحت عنوان: ((آراء فقهاء غرب إفريقيا في الهجرة)) وهو تقريبا مكمل لسابقه حيث عرض أسلوب آخر من أساليب الرفض وهو الهجرة، وقد تناول الفصل مفهوم الهجرة وأبرز الكتابات حولها وتاريخ مسألة الهجرة والبقاء في دار الحرب قبل أن يعرض آراء أهم الفقهاء المؤيدين لهذا الرأي والأدلة التي استندوا إليها، وأعقبها مباشرة بنقيضتها المعارضة لهذا الاتجاه. وللوقوف على التواصل الحضاري تناولت آراء ومواقف علماء من خارج المنطقة المدروسة للمقارنة، وتناولت الدراسة بالتفصيل فتوى الشيخ الونشريسي من حيث أدلتها والنقد الذي تعرضت له. كما تم عرض نماذج من الهجرة، وحتى تكتمل الصورة فقد تناولت مواقف الأوروبيين من الهجرة، ليختم الفصل بتقييم شامل لهذا الموقف.

وانطلاقاً من عنوان الأطروحة جاء الفصل الرابع موسوماً ب: ((آراء فقهاء غرب إفريقيا في المهادنة)) استكمالاً للدراسة، وقد تناول بدايةً مفهوم الهدنة والكتابات حولها وعرض مواقف الفقهاء في التعامل مع المستكشفين الأوروبيين ثم تطرقت إلى الآراء والمواقف المؤيدة للمهادنة والمؤالة من مختلف مناطق غرب إفريقيا، وتم التركيز على الأدلة التي اعتمدها الفقهاء سواء المستقاة من النقل أو العقل، خصوصاً أن هذا الرأي لم يستسغه الكثير من المسلمين، وأعقبته هذه الآراء بمثيلاتها المعارضة للمهادنة مع أدلتها، ثم تناولت مواقف علماء من خارج المنطقة حول قضية المهادنة. وقبل الختام تناولت مواقف الطرق الصوفية من قضية المهادنة وهي التي أسالت الكثير من الخبر، وختمت الفصل بتقييم لآراء ومواقف المهادنة.

### الدراسات السابقة:

### الرسائل الجامعية:

قبل البحث في أي موضوع أكاديمي يجب الوقوف على الدراسات السابقة تجنباً للتكرار ولمعرفة النقائص ولتحديد الموضوع المراد دراسته بدقة، وهي في نفس الوقت ترشد إلى أهم المصادر والمراجع، ومن خلال كل هذا فقد اطلعنا على عدد من الرسائل والأطاريح التي لها تقاطع مع دراستنا، ومن أبرزها:

- أطروحة "موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19 وبداية القرن 20"، للباحث شيخ لعرج، وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، نوقشت بجامعة وهران 1 في الموسم الجامعي 2016-2017، وقد قسمها الباحث إلى أربعة فصول ركز فيها على موقف الطريقة التجانية في المقاومة سواء في شمال القارة أوفي غربها وقد أفادني في معرفة التوسع الاستعماري في منطقة غرب إفريقيا وموقف التجانيين سواء المسلح أو السلمي من الاستعمار واستفدت منه من خلال عرض أهم جهود الشيوخ التجانيين الإصلاحية لمواجهة السياسة الاستعمارية، إلا أن حدود هذه الدراسة كانت مع بداية القرن العشرين، وبهذا قد تعرض للمواقف من الدخول الاستعماري وكان تركيزه على منطقة السنغال دون غيرها من أجزاء غرب إفريقيا.

- ومن أهم الأطاريح التي لها تقاطع مع هذه الدراسة ((الطرق الصوفية في الجزائر بين ثنائية المقاومة والموالاة للاستعمار من 1830م-1954م)) لمحمد الأمين شرويك وهي أطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة الجليلي اليباس موسم 2019-2020، وقد قسمها صاحبها إلى بابين يضم كل منهما فصلين الباب الأول بعنوان: ((جزائر المتصوفة)) والباب الثاني: ((الطرق الصوفية والصدمة الاستعمارية)) وهي دراسة مهمة تناول فيها الخطاب الجهادي لمختلف الطرق الصوفية في بداية الاحتلال مركزاً على أربع طرق وهي القادرية، التجانية، السنوسية والشيخية. ثم تطرق إلى سياسة الاستعمار تجاه زعماء الطرق الصوفية ومحاوله فرنسا احتواء الزعماء، ليعرج بعدها على مرحلة الاضمحلال وتراجع الخطاب الطرقي في الجزائر، ويختتم الدراسة في النهاية بمواقف الطرق الصوفية من الحرب العالمية الثانية ومواقفهم من قيام الثورة التحريرية الجزائرية. وقد أظهرت هذه الدراسة بحق دور الصوفية في مقاومة الاستعمار إلا أنها لم تتناول الطرق الصوفية الموالية للاستعمار.

- ونجد أطروحة ((النوازل المتعلقة بجهاد الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي جمعاً ودراسة)) لعبد الجليل أولاد حمادي وهي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تمت مناقشتها بجامعة أحمد درابعية موسم 2020-2021، قسمها صاحبها إلى قسمين، وكل قسم يضم خمسة فصول، تناول القسم الأول (دراسة النوازل المتعلقة بالجهاد الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي) أما القسم الثاني فقد وسمه ب: (جمع النوازل المتعلقة بجهاد الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي) ، فكانت بحق دراسة معتبرة بذل فيها صاحبها جهداً جباراً حيث جمع عدداً هائلاً من الفتاوي لقدماء الفقهاء وحتى المعاصرين ورغم

اختلاف الإطار المكاني إلا أن هذه الدراسة ساعدتني في فهم موضوع الدراسة من الناحية الفقهية. وقد تناول صاحب الدراسة الفتاوي والنوازل المؤيدة للجهاد لكنه لم يذكر المواقف السلبية من الجهاد إلا عارضاً ومثل لها برسائل قليلة، وكذلك الفتاوي المعارضة للهجرة لم يولها اهتماماً كبيراً. وقد دافع عن رأي الفقهاء المهادين بأنهم أحسنوا الظن بفرنسا ووثقوا بعهودها لا أكثر.

- أطروحة ((الشيخ ماء العينين القلقمي ودوره العلمي والجهادي في الصحراء الغربية(1831-1910م)) لحمادو نور الدين، وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، نوقشت بجامعة أحمد درايعية موسم 2020-2021، قسمها الباحث إلى ستة فصول، شملت التعريف بالشيخ وبيئته وتلامذته وإنجازاته، وتناولت في الفصل السادس المواجهات المباشرة بين الشيخ ماء العينين والاستعمار الفرنسي في المنطقة حيث ركز صاحب الدراسة على الدور الهام الذي قام به الشيخ ماء العينين في مؤتمري السمارة الأول 1904م والثاني 1907م.

- رسالة ((الطرق الصوفية في موريتانيا ومواقفها من الاستعمار الفرنسي)) للمختار ولد محمد مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، بجامعة الجزائر 2، تمت مناقشتها موسم 2010-2011، وهي دراسة مهمة قسمها صاحبها إلى ثلاثة فصول تناول في الفصل الثالث مواقف الرفض والقبول لدى الطرق الصوفية الموريتانية من الاستعمار وقد استفدت منه في تتبع مراحل استعمار موريتانيا وأيضاً استفدت من الفصل الثالث من رسالته لتعرضه لمواقف الرفض والقبول من الاستعمار وسياسته، فقد ركز على مواقف زعماء القادرية الذين واجهوا الاستعمار والزعماء الذين هادنوا، أما الطريقة التجانية فلم يورد سوى موقفاً واحداً رافضاً، إلا أنه لم يورد أسباب الرفض ولا أسباب القبول ولا الأدلة التي استند لها كل فريق.

- رسالة الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960م) لعلي بدوي علي سلمان، وهي رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، نوقشت بجامعة القاهرة سنة 2003، وقد قسمها إلى خمسة فصول وركز في الفصل الثاني منها على موقف الموريتانيين من الاستعمار الفرنسيين حيث أورد فيه أسباب المقاومة ونهايتها كما حلل المواقف القادرية المؤيدة للاستعمار وأبرز روادها والقوى المعارضة للاستعمار وروادها كما أورد في الفصل الثالث الدور الثقافي للطريقة القادرية ودورها في المقاومة.

## المخطوطات:

تعتبر المخطوطات بمثابة المصادر البكر الأصيلة بما تضيفه على كل عمل أكاديمي من تجديد، وبما تحدثه من ثورات في عدة مواضيع حيث تدحض الكثير من المسلمات وتثري العديد من المعارف، حيث أن المخطوطات في غالبها وثائق بكر. ومن أجل هذا عمدنا إلى جمع كل ما وصلت إليه أيدينا من مخطوطات من أجل إثراء دراستنا ومن أهم المخطوطات:

- ((جواب الشيخ أحمد البكاي إلى أحمد بن أحمد الفولاني)) وهي وثيقة مهمة لفهم تعامل الفقهاء مع المستكشفين النصارى قبل دخول الاستعمار الفرنسي حيث أبرز فيها الشيخ البكاي موقفه بالأدلة من القرآن والسنة، وقد استفدت منها في المبحث الرابع من أجل تحديد مواقف آل كنته في التعامل مع الأوروبيين ومواقف الطريقة البكائية بصفة خاصة.
- ومن أهم المخطوطات: ((فتاوي الشيخ سيدي باب ورسائله في شأن جهاد النصارى والهجرة عنهم)) للشيخ باب سيديا، تناول فيها الشيخ كل ما يتعلق بالمواقف من الاستعمار، فكانت دراسة شاملة لمواقف الجهاد والمهادنة والهجرة، حيث تناول الشيخ هذه المواقف الثلاثة بكثير من التفصيل مع الاتيان بالأدلة العقلية والنقلية الخاصة بكل موقف، وقد استهلها بعرض للحالة التي كانت تعيشها بلاد شنقيط قبل قدوم الأوروبيين ثم أعقبها بطرح الخيارات الثلاث بشكل منظم يدل على مكانة الشيخ العلمية وتمكنه من ناصية اللغة العربية.

## المصادر والمراجع المطبوعة:

- كتاب: ((أكثر الراغبين في الجهاد بعد النبيين من يختار الظهور وملك البلاد ولا يبالي بمن هلك في جهاده من العباد)) للمؤرخ السنغالي موسى كمر، يضم تسعة فصول، ورغم صغر حجم الكتاب، وانتماء الشيخ كمر إلى الطريقة التجانية إلا أنه كما يظهر من عنوان هذه الدراسة انتقادها ومعارضتها الشديدة لمسمى الجهاد من أصله، حيث أبرز فيها كاتبها أهمية وجود الاستعمار في المنطقة ونوه بحضارتهم وثقافتهم وبمسالمتهم ودورهم في الرقي ببلاد المسلمين إلى مصاف الدول المتحضرة.

- كتاب: ((المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا)) لعبد الله عبد الرزاق إبراهيم وهو من الدراسات المتخصصة، تتضمن ستة فصول، تناول فيها صاحبها مواقف المسلمين من الاستعمار الأوروبي واهتم بجهاد الزعامات الإفريقية في غرب إفريقيا، وفي نفس الوقت حاول المؤلف الرد على كتابات المستشرقين الذين حاولوا تشويه هذه الحركات، وبالتالي تصحيح النظرة الأوروبية التي لم تكن موضوعية بتاتاً. وقد ركز المؤلف أكثر على غرب إفريقيا حيث قسم هذه المنطقة إلى أربع إمارات أو مقاطعات هي: إمارة الفولان، إمارة التكرور، منطقة السنغامبيا، وإمارة ساموري توري وبهذا فقد استفدت من هذه الدراسة في تحديد مواقف الجهاد ضد الاستعمار، والأسباب الداعية له.

- كتاب ((جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850-1914م)) للدكتورة إلهام محمد علي ذهني، وهي دراسة مهمة من حيث تقاطعها مع دراستنا زمانياً ومكانياً، ضم الكتاب خمسة فصول وقد استعنت بها في الفصلين الأول والثاني. وقد تناولت هذه الدراسة قيام الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا (مملكة الفولان، امبراطورية التكرور، امبراطورية الماندنغو، والامارات الموريتانية)، كونها المرحلة التي سبقت التواجد الاستعماري. كما ركزت الدراسة على مواقف الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي وخاصة في منطقتي فوتا تور والسنغامبيا ولم تتناول الجهاد في منطقة شنقيط إلا جزئياً.

- كتاب: ((المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء)) ليحيى ولد البراء يضم 12 جزء جمع فيه أهم المخطوطات من الخزائن المغربية والموريتانية، وقد تعلق الجزء السابع بأمور الجهاد والتعامل مع الأوروبيين سواء السلمي أو الحربي، حيث صنفها الباحث بأسلوب مبدع يدل على همة عالية. وقد استفدت من الجزء السابع من هذه السلسلة من خلال تتبع أهم فتاوى العلماء ورسائلهم وجدالهم ونصائحهم حول قضية الجهاد والمهادنة والهجرة، فكان هذا الكتاب بحق كمنجم استخلصت منه مختلف المواد الخام لإتمام هذا العمل، وكان أكبر سند لي في إنجاز هذه الرسالة.

- كتاب ((الشيخ ماء العينين علماء وأمرء في مواجهة الاستعمار الأوروبي)) للطالب أختيار بن الشيخ مامينا وهو كتاب مهم مكون من جزئين تناول فيه صاحبه جهاد الشيخ ماء العينين القلزمي الذي قاد جهادا طويلا في وجه الاستعمار الفرنسي لبلاد شنقيط، وأبرز الأسباب التي دعت الشيخ إلى مواجهة العدو، وقد فصل الكتاب في نضال الشيخ وأولاده من بعده. وقد استفدت من هذه الدراسة من خلال

الجزء الثاني والذي يحتوي على بابين، تناول في الأول حركة الجهاد وجهود الشيخ ماء العينين في مواجهة الاستعمار، وتناول في الثاني: جهاد أبناء الشيخ ماء العينين في مراكش وسوس وبلاد شنقيط. كما تكمن قيمة هذه الدراسة في رد كاتبها على محاولات الكتابات الفرنسية تشويه حركة جهاد الشيخ وأبنائه من بعده.

- من الدراسات الحديثة نجد مؤلف: ((الأزواد خلال القرن 13هـ/19 م دراسة تاريخية اجتماعية اقتصادية)) للدكتور مبارك جعفري، وقد قسمها إلى بابين تحت كل منهما أربعة فصول، وهي دراسة أكاديمية لجزء واسع من غرب إفريقيا، نوع فيه صاحب الدراسة بين المصادر المخطوطة والمطبوعة والمراجع من عدة لغات واستعمل طريقة منهجية تجعل هذه الدراسة مرجعاً لا يستغنى عنه أي باحث في تاريخ المنطقة، وقد استعنت به في الفصل الأول من الأطروحة في فهم الحياة الاجتماعية والنظام القبلي والمظاهر الإيجابية والسلبية في مجتمع الأزواد كما أفادني في الجانب الاقتصادي من خلال تفصيله للنشاط التجاري حيث تناول بالتفصيل طرق التجارة والسلع والبضائع والمعاملات التجارية.

- ومن الدراسات المعاصرة: ((رسائل الشيخ سيدي إلى الكيانات السياسية والمجموعات القبلية)) تحقيق وتقديم الدكتور محمد المختار ولد السعد، أبرز فيه دور عائلة سيديا في الإصلاح ودورها القيادي، كما أبرز سلطة الفقهاء على مختلف الشرائح الاجتماعية. وقد تناول فيه صاحبه أهم المراسلات للشيخ سيديا للأمراء ولشيوخ القبائل سواء في بلاد شنقيط ومنطقة الأزواد وفوتاتور وكذا مراسلاته مع الفرنسيين في المنطقة، وتمثل هذه الرسائل وثائق خام يمكن تجسيدها في عمل أكاديمي خاص، نظراً لكثرة المعطيات التاريخية التي تضمها لفهم تاريخ المنطقة في مختلف ميادين الحياة.

- كتاب ((دراسات حول الإسلام)) لپول مارتني وهو من الدراسات الغربية التي تناولت بالكثير من التفصيل ما يتعلق بفقهاء المنطقة وقبائلها، مما يجعلنا لا نكاد نستغني عنها من حيث أنها تبرز وجهة نظر الطرف الآخر، حتى لا يكون نظرنا أحول. وقد تناول المؤلف بالدراسة مواقف الشيخ سيديا وهو من الشخصيات المحورية في دراستنا، كما تناول الطريقة الفاضلية وهي إحدى أبرز الطرق في موريتانيا التي تعددت مواقف شيوخها وأقطابها من قضية الاستعمار ما بين الرفض والقبول.

## الصعوبات:

إن طريق البحث مملوءة بالمصاعب والعراقيل فهي ليست بالسهولة التي يتصورها الكثير في ظل الزخم المعرفي في هذا العصر، ولهذا لا بد أن يلاقي الباحث عقبات وصعوبات متنوعة. وهذه التحديات في نفس الوقت تعطي البحث نكهة خاصة بعد التعب في تجاوزها الواحدة تلو الأخرى، ومن أبرز الصعوبات:

- وجود كم هائل من الوثائق تتشابه وتتشابك بها المادة المعرفية مع شح وغياب لبعض الوثائق التي تخص منطقة معينة أي عدم وجود توازن في المادة المعرفية.
- طبيعة الموضوع الفقهي مما يخلق صعوبة في الخروج به من إطار الفقه إلى التاريخ. حيث إنه يتطلب الإلمام بالكثير من المصطلحات الفقهية، وفي نفس الوقت صعوبة التحلي بالموضوعية لأن التجرد من القناعات في مثل هذه الموضوعات صعب.
- صعوبة الحصول على الوثائق والمصادر الاصلية، مما يجعل الباحث أحيانا يصل إلى مرحلة اليأس والملل، ويتوقف طويلا من أجل تغيير خطة العمل.
- ومن الصعوبات المنهجية أنني لم أقدر حجم الموضوع حق قدره عند اختياره، حيث كان الإطار المكاني للدراسة واسع، مما صعب مهمة التحكم فيه.
- تزامن فترة البحث مع وباء كورونا مما صعب مهمة التنقل والاختلاط خصوصا مع زيارتنا لبعض المكتبات في أرجاء الوطن سواء العامة أو الخاصة. لكن بحمد الله كان البديل استغلال وسائل التواصل المعاصرة التي أفادتني في ربط علاقات مع أسر بعض الفقهاء الذين ساعدوني ببعض الوثائق والمخطوطات.
- وفي الأخير أود أن أتوجه بجزيل الشكر للأستاذ المشرف الدكتور عبو الطاهر الذي كان نعم الرفيق، وأفضل سند لي طوال الطريق من خلال توجيهاته ونصائحه وتقويماته، ليخرج هذا العمل على هذه الصورة.

المدخل

يتميز الإنسان عن غيره من الكائنات بما حباه الله من قدرات تجعله قادراً على التأثير والتأقلم مع مختلف الظروف، وبهذا فهو المحرك الرئيس في عملية البناء الحضاري، لكن عوامل كثيرة تتداخل لتؤثر على خياراته من أهمها العوامل الجغرافية، فرغم تطور أساليب الحياة وتقنيات إنتاجها يبقى تأثير المحيط واضحاً على حياة الإنسان في كل مكان. ولهذا دراسة التاريخ البشري منذ بداياته لم تكف تنفك عن علم الجغرافيا. وبناء على هذا تم تخصيص هذا المدخل لتحديد معالم منطقة إفريقيا الغربية والوقوف على طبيعتها الجغرافية والسكانية والتعريف ببعض المصطلحات المتعلقة بالموضوع بإيجاز.

## التسمية والموقع:

### التسمية:

يُرجَّح أن العرب هم أول من أطلق كلمة السودان على الشعوب القاطنة جنوب الصحراء، من أجل التمييز بين المناطق التي يسكنها البيض والمناطق التي يسكنها السود.<sup>1</sup> فأقدم من ذكرها الرحالة الإصطخري في كتابه ((المسالك والممالك)) في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وقد وصفها بقوله: "بلاد السودان الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد مكنف ليس بينه وبين شيء من الممالك اتصال..."<sup>2</sup> وكلمة السودان مشتقة ومستوحاة من لون البشرة أي السواد، فهو الغالب على سكان هذه المنطقة.<sup>3</sup> ولم يكن الاسم يختص بهؤلاء الأقاليم فقط بل كان يشمل جميع السود الإفريقيين.<sup>4</sup>

### الموقع:

اختلف الجغرافيون والرحالة في تحديد دقيق لحدود غرب إفريقيا فقد حددها الجغرافيون العرب المنطقة منذ القدم اعتماداً على معالم جغرافية أو بناء على معالم سياسية. ومن ذلك ما ذكره الإصطخري:

1 عبد الرحمن محمد ميغا: الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13 هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2011، ص 16.

2 أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي (الإصطخري): المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العالي، دار القلم، مصر، 1961، ص 10.

3 عبد الرحمن محمد ميغا: المرجع السابق، ص 15.

4 عبد الله سالم محمد بازينة: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2010، ص 37.

" غير أن حداً لها ينتهي إلى البحر المحيط وحداً لها بينه وبين أرض المغرب وحداً لها بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات وحداً لها ينتهي إلى بركة"<sup>1</sup> وقد حددها حسن الوزان ب: " يبتدئ شرقاً بمملكة كاوكة، ويمتد غرباً إلى مملكة ولاته، ويتأخم في الشمال صحراء ليبيا وينتهي جنوباً إلى البحر المحيط".<sup>2</sup> فمن الصعوبة بمكان تحديد الحدود الشمالية والشرقية لغرب إفريقيا نظراً لعدم وجود معالم جغرافية بارزة يمكن أن نُعلم بها، ولهذا اختلف حولها الجغرافيون.<sup>3</sup> فمن الناحية الشرقية يمكن أن نضع الحدود الشرقية لنيجيريا الحالية هي المعلم، أما الناحية الشمالية فالصحراء الكبرى.<sup>4</sup> كما يمكن القول إنه يحدها شرقاً بحيرة تشاد وغرباً المحيط الأطلسي وجنوباً خليج غينيا.<sup>5</sup> ويمثل غرب إفريقيا وحدة جغرافية واضحة يحدها شمالاً الصحراء الكبرى وجنوباً وغرباً المحيط الأطلسي، أما الناحية الشرقية فتحدها هضاب تبدأ ببركان الكامبيرون وبحيرة تشاد.<sup>6</sup> وهي بمفهومها الواسع تمتد من الصحراء الكبرى شمالاً إلى المحيط الأطلسي جنوباً ومن بحيرة تشاد شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً.<sup>7</sup> وباختصار فنقطة ارتكاز غرب إفريقيا هي حوض نهر السنغال والنيجر الأعلى والأوسط.<sup>8</sup> أما سياسياً فيمكن تحديدها بالمنطقة الممتدة من النيجر شرقاً إلى موريتانيا غرباً، ومن موريتانيا شمالاً حتى ليبيريا جنوباً.<sup>9</sup> ومن الناحية السياسية كذلك يمكن تقسيم غرب إفريقيا إلى جزئين متميزين جغرافياً، ثقافياً وتاريخياً هما: الجزء الغربي: ويعرف أيضاً بالسودان

1 أبو إسحاق الاصطخري: المصدر السابق، ص 11.

2 الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج 01، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 29.

3 محمد عبد الغني سعودي: إقليم غربي إفريقيا، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مج 12، الإدارة العامة للثقافة والنشر لجامعة الامام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 18.

4 إلهام محمد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988، ص 19.

5 نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، كوناكري، 1960، ص 01.

6 محمد رياض، كوثر عبد الرسول: إفريقيا دراسة لمقومات القارة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص 384.

7 مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من القرن 15 إلى بداية القرن 18م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 19.

8 عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي عطا الله الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الإسكندرية، مصر 1998، ص 05.

9 عبد القادر مصطفى الميشتي، عبد العباس فضيخ الغريبي، سعدية الصالحي: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، 2000، ص 159.

الغربي WEST SUDAN ويشمل الدول التي تسمى حالياً: بوركينا فاسو، الرأس الأخضر، غامبيا، مالي، النيجر، السنغال، موريتانيا. والمنطقة الساحلية: وتعرف أيضاً بساحل غينيا COSTAL REGION تشمل: بنين، ساحل العاج، غانا، غينيا (بيساو)، ليبيريا، نيجيريا، سيراليون، توغو، غينيا (كوناكري).<sup>1</sup>

### التحديد الفلكي:

عدم التحديد الدقيق لجغرافية غرب إفريقيا يجعل الموقع الفلكي أيضاً غير دقيق، فهي فلكياً تنحصر بين دائرتي عرض 4° و 16° درجات شمالاً أي شمال دائرة الاستواء وبين خطي طول 13° شرقاً و 17° غرباً. ويذكر الدكتور كامل مروة إن غرب إفريقيا ينحصر بين دائرتي عرض 04° و 24° شمالاً، وبين خطي طول 20° شرقاً و 20° غرباً. وتقدر مساحته بستة ملايين كيلو متر مربع.<sup>2</sup> بينما يرى الكابتن دوفو إن غرب إفريقيا الفرنسي ينحصر بين خطي عرض 05° و 20° درجة شمالاً وبين خطي طول 20° غرباً و 03° شرقاً.<sup>3</sup>

### التضاريس:

يمكن تقسيم تضاريس منطقة غرب إفريقيا إلى ثلاثة أقاليم متباينة وهي: أولاً: المنطقة الشمالية وتنحصر بين الصحراء الكبرى والنيجر الأوسط وهي منطقة صحراوية تتخللها بعض العيون والأودية والواحات. وتتميز بوجود كتبان رملية تمتد حتى أواسط النيجر وشمال نيجيريا.<sup>4</sup> ثانياً: المنطقة الوسطى وتنحصر بين بحيرة تشاد ومنطقة فوتاتور السنغالية، تتميز بهضاب النيجر في الوسط، كما تتميز بالسهوب الخضراء الملائمة للرعي. ثالثاً: المنطقة الجنوبية: وهي المشرفة على خليج غينيا، تضم كتلاً جبلية وتمتاز بالغابات الاستوائية الكثيفة، تكثر فيها الوديان والسهول.<sup>5</sup>

1 ( محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ص 20.

2 كامل مروة: نحن في إفريقيا الهجرة اللبنانية السورية إلى إفريقيا الغربية ماضيها، حاضرها ومستقبلها، المكشوف، لبنان، 1938، ص 19.

3 Capitaine Devaux : L'Afrique occidentale française, Vollaire, Paris, 1901, p 03.

4 عبد القادر مصطفى المحيشي، عبد العباس فضيخ الغريبي: المرجع السابق، ص 160.

5 محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص 21.

وسطح غرب إفريقيا عبارة عن كتلة هضبية تنقسم إلى قسمين: المنطقة الداخلية، تضم عدة مرتفعات أهمها فوتاجالون، لوما ونيميا في الغرب ومرتفعات اتاكورا وبوشي في الشرق كما توجد منخفضات مثل منخفض السنغال والتشاد والنيجر. أما المنطقة الساحلية فهي عبارة عن سهول منخفضة يزداد عرضها عند مصبات الأنهار مثل مصب النيجر، الفولتا والسنغال. وتنحصر الجبال في المنطقة الغربية والشرقية من غرب إفريقيا، وقد وصف الشريف الادريسي جبال بلاد التكرور بالعلو وبلونها الأحمر الذي يجعلها تلمع من بعيد وتنحدر منها ينابيع وجداول عديدة.<sup>1</sup> وأبرزها جبال فوتا جالون تمتد في غينيا كوناكري، غرب ليبيريا وشمال سيراليون وأعلى قمة في هذه السلسلة قمة نيمبا Nimba حيث يصل ارتفاعها حوالي 1752م. أما الجبال الشرقية فأبرزها جبال آداما Adamoua التي تقع في الكاميرون ومعدل ارتفاعها لا يتجاوز 1035متر.<sup>2</sup>

تتباين الشواطئ في غرب إفريقيا إلا أن معظمها غير ملائم للنشاط البشري وهذا ما جعلها مستعصية في وجه الغزو الأوروبي لقلة عدد المرفئ الطبيعية التي تمكن السفن العملاقة من الوصول إلى الشاطئ<sup>3</sup>. ويمكن التمييز بين نوعين من الشواطئ في المنطقة: شواطئ صخرية في كل من موريتانيا والسنغال وشواطئ رملية تمتد من غينيا بيساو إلى نيجيريا، تتخللها خلجان قليلة، أما الجزر فتتمثل في أرخبيل بيجاغوس Bijagos المقابل لغينيا وجزيرتي ساوتومي وبرانسيب (SaoTomé et Principe) وجزر الرأس الأخضر<sup>4</sup>.

### المجاري المائية في غرب إفريقيا:

تعتبر جبال الفوتاجالون والهضبة الغينية التي تمثل الجزء الجنوبي من هذه الكتلة مصدراً أساسياً يغذي أنهار المنطقة، وهذا لطبيعة هذه الجبال الجيولوجية التي تسمح بتخزين المياه وكثرة الأمطار التي تشهدها هذه الجهة<sup>5</sup>. وقد أسهمت المجاري المائية بدور كبير في تاريخ منطقة غرب إفريقيا من خلال الاستقرار

1 الشريف الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج 01، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.ن، ص106.

2 محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص21.

3 أنور عبد الغني العقاد: الوجيز في إقليمية القارة الأفريقية، دار المريخ، الرياض، 1982، ص262.

4 محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص22.

5 نعيم قداح: المرجع السابق، ص06.

القديم، وقيام الممالك ودورها في استعمار المنطقة حديثاً، ومن أبرز المجاري نجد نهر النيجر الذي ينبع من مرتفعات الفوتاجالون وتتصل به عدة أنهار أهمها البنوي كما تتصل به عدة روافد مما يشكل مستنقعا يشبه البحيرة ليصب في نهايته في المحيط الأطلسي مشكلا دلتا ذات فروع متعددة تعرف بأنهار الزيت<sup>1</sup>. وقد سماه المستعمرون الأوائل بهذا الاسم لاشتهار هذه المنطقة بإنتاج الزيوت النباتية بكميات وفيرة<sup>2</sup>. يبلغ طول نهر النيجر 4200 كلم، ينبع من هضبة بين غينيا وسيراليون، حوضه الأعلى في جمهورية غينيا والأوسط في مالي ثم ينحدر بعد مدينة قاو إلى النيجر ونيجيريا ليصب في المحيط، وهو صالح للملاحة بداية من مدينة كوروسا Korussa في غينيا<sup>3</sup>. أما النهر الثاني فهو نهر السنغال وهو أيضا ينبع من فوتا جالون ويتجه نحو الشمال ثم يغير اتجاهه جهة الغرب ليصب في المحيط الأطلسي ويتميز بانحدار مجراه وقلة عمقه عند المصب حيث خلال 350 كلم الأخيرة لا يتجاوز عمقه ثلاثة أمتار<sup>4</sup>. ويبلغ طول هذا النهر 1700 كلم، وهو ينقسم إلى رافدين كبيرين يجتمعان ليصب في المحيط الأطلسي قرب سان لويس<sup>5</sup>. والنهر الثالث من حيث الأهمية، هو نهر غامبيا، يتميز بصلاحيته للملاحة والأراضي الخصبة المبسوطة على جانبيه. كما يوجد نهران آخران وهما نهر سالوم والكازمنس وهما صالحان للملاحة. هذه الشبكة من المجاري المائية أعطت للمنطقة أهمية اقتصادية كبيرة من خلال صلاحيتها لممارسة مختلف الأنشطة وخاصة الزراعة والرعي والتجارة وفي نفس الوقت هي التي أسالت لعاب المكتشفين الأوروبيين وبعدها فتحت الباب للتسابق الاستعماري على المنطقة.

### التربة:

بفعل التغيرات والتقلبات المناخية خلال عهود جيولوجية تغطت الأرض بتربة حمراء معدنية إثر تفتت الصخور، وبهذا فإن تربة المنطقة متنوعة حيث نجد أراضي خصبة ما بين 07 و14 درجة شمالاً، ومناطق رملية متاخمة للصحراء، وكلما اتجهنا غربا اتسعت السهول الساحلية، ومن أجود الأراضي في

1 أحمد بوعتروس: الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 13 هـ -19م، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص52.

2 إلهام محمد علي: المرجع السابق، ص 20.

3 نعيم قداح: المرجع السابق، ص 07.

4 أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 53.

5 نعيم قداح: المرجع السابق، ص 06.

المنطقة هي تلك التربة الفيضية على ضفاف الأنهار مثل أحواض غينيا أما السهوب الصالحة للرعي فهي تسود المناطق الوسطى<sup>1</sup>.

## المناخ:

لقد أورد الشريف الادريسي في الجزء الأول من الإقليم الثاني في كتابه ((نزهة المشتاق في اختراق الأفاق)) كلاماً مهماً عن مناخ المنطقة فقد ذكر بأن أمطارها قليلة فهي صحراء ماؤها قليل وشمسها قاتلة ولذلك فهي قليلة الإنس ولا عامر بها<sup>2</sup>، وهذا ينطبق على الجزء الشمالي فقط. لأن منطقة غرب إفريقيا تتميز بوجود نطاقات -تشمّل المناخ، التربة، النبات الطبيعي- تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل متوازي<sup>3</sup>. وهي منطقة التقاء الاقليمين المداري والاستوائي لذلك فهي تتميز بمناخ حار ممطر تقريباً طوال العام، وتتسم الجهة الساحلية بأمطار غزيرة مما جعلها تعرف بإقليم المطر ويقل تماثل الأمطار تدريجياً كلما اتجهنا نحو الداخل<sup>4</sup>.

وعموماً فالمناخ الغالب في منطقة غرب إفريقيا هو مناخ شبه استوائي، يتميز بارتفاع درجات الحرارة وغزارة الأمطار التي تتناقص تدريجياً كلما اتجهنا شمالاً أو نحو الداخل، بينما المنطقة الساحلية غزيرة التساقط بكميات كبيرة<sup>5</sup>. وهي دائمة طوال العام خصوصاً جنوب دائرة العرض 10 شمالاً<sup>6</sup>. ومن أبرز الصعوبات التي يعاني منها السكان في المنطقة هي تزاوج الحرارة مع الرطوبة المرتفعة مما يجعل الجو غير مُتحمّل ولا يُطاق<sup>7</sup>.

وخلاصة القول إن مناخ غرب إفريقيا يخضع لتأثير عدة عوامل فهي تمتد بين مدار السرطان ودائرة الاستواء، وبهذا مناخها شبه استوائي على العموم، يتميز باستقرار في أحواله والتي تغلب عليها

1 نعيم قداح: المرجع السابق، ص 05.

2 الشريف الادريسي: المصدر السابق، ص 107.

3 محمد عبد الغني سعودي: المرجع السابق، ص 22.

4 يوسف روكر: إفريقيا السوداء سياسة وحضارة، المؤسسة الجامعية للدراسات، مصر، 1986، ص 36.

5 محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص 23.

6 عبد القادر مصطفى الحيشي، عبد العباس فضيخ الغريبي: المرجع السابق، ص 160.

7 أنور عبد الغني العقاد: المرجع السابق، ص 272.

شدة الحرارة مع ارتفاع نسبة الرطوبة، وتهب على المنطقة رياح تجارية وهي باردة عموماً ورياح موسمية دافئة ومشبعة بالرطوبة وهناك رياح سودانية جافة تهب من الشمال والشمال الشرقي. وبهذا يمكن التمييز بين أربعة مناخات متباينة وهي: المناخ الصحراوي، الساحلي الشمالي، الغيني، ومناخ المرتفعات<sup>1</sup>.

### الأعراق البشرية في غرب إفريقيا:

تتنوع الإثنيات البشرية في منطقة غرب إفريقيا نظراً لاتساع المساحة، فهم ليسوا زنوج كما يعتقد الكثير أو لنقل إنهم زنوج بصورة جزئية<sup>2</sup>، نتيجة للتزاوج بين مختلف الأجناس. وهذا ما طرح عدة إشكاليات حول أصول وتقسيم سكان هذه المنطقة، فلم يجمع علماء الأجناس على نظرية واحدة حول أصول سكان المنطقة، ولهذا لا بد من تأزر علماء الأجناس وعلماء اللغات وعلماء الاجتماع من أجل تحقيق هذا الأصل<sup>3</sup>. فسكان غرب إفريقيا مزيج من الشعوب ذات الأصول المختلفة وهناك عدة فرضيات حول أصول هؤلاء السكان ولعل أهم تلك الفرضيات إن سكان المنطقة هاجروا من شرق إفريقيا وتستند هذه الفرضية إلى التشابه اللغوي بين قدماء المصريين وسكان غرب إفريقيا مما جعلهم يعتقدون إن المصريين القدماء وسكان وادي النيل هاجروا عبر بحيرة التشاد والصحراء حتى استقروا في المنطقة، بل ذهبوا إلى إن اللغات الإفريقية هي تطور للغة المصرية القديمة<sup>4</sup>. وبالرجوع للتاريخ نجد إن سكان غرب إفريقيا مزيج من الأجناس البشرية، حيث استوطنتها أجناس بشرية قادمة من وسط إفريقيا وعناصر بربرية تركزت في المراعي والاحواض الداخلية والبعض منها تمازج مع السلالات الزنجية، إضافة إلى السلالات الأوروبية في القرون الحديثة والتي تركزت خاصة في المناطق الساحلية<sup>5</sup>.

وفي الحقيقة يمكن تقسيم سكان غرب إفريقيا وفق ثلاثة أسس: الأول وهو على أساس قدم التعمير (سكان محليون وسكان وافدون) والثاني على أساس مواقع سكنهم والثالث على أساس اللون فابن خلدون ذهب إلى التقسيم الأول حيث ذكر إن بلاد السودان تضم قبائل سودانية محلية، وعرفت تتابع

1 نعيم قداح: المرجع السابق، ص ص 07-08.

2 أنور عبد الغني العقاد: المرجع السابق، ص 274.

3 نعيم قداح: المرجع السابق، ص 12.

4 محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص 23.

5 يوسف روكز: المرجع السابق، ص 41.

هجرات كثيرة بداية بهجرة القبائل الصنهاجية من الشمال والتي لا يعرف لها بداية. إضافة إلى الهجرات العربية التي صاحبت الفتح الإسلامي (القرن 7م) وتلتها هجرات قبائل بنو حسان بن معقل (القرن 5هـ/ 11م)<sup>1</sup>.

كما يمكن تقسيم السكان من حيث مواقع سكنهم إلى قسمين: شعوب الشمال، وتضم المجموعة السنغالية، وهم شعب الولوف، السرير<sup>2</sup> التوكولور<sup>3</sup>.<sup>4</sup> وتضم هذه المجموعة شعب الماندينغ<sup>5</sup> أو المالاينكة Manding, Malinké وشعوب السنغاي<sup>6</sup> Songhai والهُوسا Haoussa<sup>7</sup>. بينما القسم الثاني: شعوب الجنوب، وأبرزهم قبائل الموشي الوثنيين المنتشرين في حوض الفولتا<sup>8</sup>. كما توجد المجموعة الغينية بين منروفيا والكاميرون والتي لم تتأثر بالحضارة الإسلامية. وكذا السونينك<sup>9</sup>، ويسمون

1 عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، ج 06، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001، ص 17

2 السرير يتركزون قرب نهر الكازمنس يتميزون بالصلابة والخشونة وجوههم مسطحة، شفاه كبيرة، عضلات جيدة ومتناسقة، بشرتهم أقل سوادا من الولوف. ينظر D.Lasnet et A.Cligny: Une Mission au Sénégal, Augustin Challamel, Paris, 1900, p137.

3 التوكولور: لغتهم مشتقة من البول مع تمازج في العديد من الكلمات بلغات مختلفة، وهم أكثر السود تعصبا للإسلام في السنغال وهم على استعداد دائم لشن الحروب، وصفاتهم الجسدية صغيرة الى حد ما ولها أطراف صغيرة لكنها مفتولة العضلات بشكل جيد، ولون جلدتهم متغير من الأسود إلى الفاتح. ينظر: D.Lasnet et A.cligny: Op.cit, p70.

4 نعيم قداح: المرجع السابق، ص 14

5 الماندينغ: كان مركز مملكتهم ارض ماندينغ، دولة صغيرة تقع على جانبي النيجر، جنوب سيغو، يتميزون بشدة السواد والقبح، وهم مسالمون، لكن يتميزون بالجشع الشديد. ينظر: Dr. A. Bordier: la colonisation scientifique et les colonies françaises, C. Reinwald, Libraire Editeur, Paris, 1884, p266.

6 كلمة السنغاي: لا تخص جماعة معينة فهي في الأصل تطلق على البلاد، فشعب السنغاي زنوج مختلطون بالطوارق والمغاربة. ينظر محمد عبد الغني سعودي: المرجع السابق، ص 69.

7 بلاد الهوسا وهي أقاليم سبعة يجمعهم لسان واحد وعلى كل إقليم أمير نظير للآخر وهي: كشنه، زكرك، جوبر، كنو، دورا، رنو وبريم. ينظر محمد بلو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مختارات من مؤلفات أمير المؤمنين محمد بلو، م 01، دار اقرأ للطباعة والنشر، نيجيريا، 2013، ص 147.

8 نعيم قداح: المرجع السابق، ص 16.

9 السونينك: يختلفون عن الأنواع الأخرى من الناحية الجسدية وهم يشبهون الولوف، يتميزون بوجه يبدو أطول، الشفاه سميقة ومقلوبة، الأطراف متناسبة مع الجسم، البشرة داكنة وأحيانا بنية. ينظر D. Lasnet et A. Cligny: Op.cit, 1900, p98.

السونزاي السراكوليت، موطنهم فوتا السنغالية، طردوا من وطنهم في القرن الخامس عشر الميلادي، وهم محبوبون للسلام، وهذا ما جعلهم يخضعون لعادات الشعوب الجديدة، الذين يدعونهم الرجال البيض<sup>1</sup>.

بينما تقسم الدكتورة إلهام محمد علي الأعراق البشرية في غرب إفريقيا إلى مجموعتين كبيرتين: السلالات البيضاء Race Blanche والسلالات السوداء Race Noir. فالأولى البيضاء تتركز على الضفة اليمنى لنهر السنغال والضفة اليسرى لنهر النيجر وهي خليط من العرب والبربر والطوارق، وهذه المجموعة تضم قبائل عديدة مثل الترازرة والبراكنة أولاد دليم...معظمها مسلمة<sup>2</sup>. أما السلالة الزنجية تعيش في منطقة الغابات وفيما يلي الصحراء وفي المناطق المكشوفة والمطلة على خليج غينيا وهم عدة شعوب الفولان: اختلف في أصولهم<sup>3</sup> فمنهم من يربطهم بالبربر استقروا في منطقة أدرار والسنغال ثم توسعوا نحو الشرق حتى بلغوا برنو ووصلوا حتى الكاميرون، وقد اشتهر الفولان بحبهم للحرية وعدم الخضوع لأي ملك، أما نشاطهم الاقتصادي فقد تميزوا بزراعة القمح والقطن، ويمكن تقسيمهم إلى: فولان البقرة Cow Fulani وفولان الجيدا Fulani Gidda أي الحضر سكان المدينة. وتوجد الشعوب السنغالية وتشمل: الولوف<sup>4</sup> والسريير والتكرور<sup>5</sup>.

ويقسم محمد فاضل علي باري سكان غرب إفريقيا إلى أربع مجموعات كبرى: أولها الزنوج، وهم غالبية السكان الحاليين، وهم عدة قبائل وإثنيات، يتميزون بجمام مستطيلة وشعر مفلفل وبشرة سوداء، وبأنف عريض وشفاه سميقة وأقدام مفلطحة، ومن أبرز الأعراق الزنجية زنوج بيغمي Pygmy وهم من سلالة الاقزام<sup>6</sup> حيث تتراوح أطوالهم ما بين 120 و150سم، يتوزعون في الغابون والكاميرون.

<sup>1</sup> Dr. A. Bordier : Op.Cit., p 264-265.

<sup>2</sup> إلهام محمد علي: المرجع السابق، ص 26.

<sup>3</sup> ينظر علي يعقوب: "الفلاينيون الشعب واللغة"، قراءات افريقية، المنتدى الإسلامي، لندن، ع 24، ابريل-جون 2015، ص 23-24.

<sup>4</sup> الولوف: يتميزون بالضخامة والجمال بين السود، جلدهم ازرق أسود، جبهتهم عريضة ومرتفعة الانف، يتميزون بالغرور والخفة وحبهم للمتعة. ينظر Dr. A. Bordier : Op.Cit., P264

<sup>5</sup> إلهام محمد علي: المرجع السابق، ص 27

<sup>6</sup> الاقزام: ويطلق عليهم اسم البيغمي أونجرللو وقد ورد اسم الاقزام في أحد وثائق الدولة القديمة في الحضارة المصرية، كما سماهم هيرودت في القرن الخامس قبل الميلاد ب Pygmaioi وهي تعني باليونانية القديمة الرجل الذي لا يتجاوز طوله ما بين الكوع وأصابع القدم للرجل العادي. ينظر محمد سالم بازينة: المرجع السابق، ص 40.

ثانياً الحاميون، وهم من السلالة القوقازية والأرجح إنهم قدموا من آسيا وخاصة شبه الجزيرة العربية، يمتازون بقامة طويلة وبشرة بيضاء وأنف دقيق ووجه بيضوي وأجسام نحيلة مع عرض في الكتفين، ومن أبرزهم فروعهم البربر وخاصة الطوارق المنتشرين في مالي والنيجر، ويشكل الفلانيون المجموعة الثالثة، وقد تضاربت الأقوال في أصولهم كما أسلفنا على عدة أقوال منها: فرس، يهود، عرب أمويين، يونانيين، إيطاليين، وقول آخر إنهم نتيجة احتكاك واختلاط الزنوج بالعرب والبربر والطوارق. ومهما يكن من اختلاف في أصولهم إلا إن الشعب الفولاني حالياً ينتشر في غرب إفريقيا من السنغال حتى الكاميرون ومعظمهم في شمال نيجيريا ونشاطهم الغالب هو رعي الماشية. رابعاً المور وهم مزيج من العرب والبربر يتميزون ببشرة سمراء وطول القامة وضمور الجسم يتركزون بكثرة في موريتانيا وبنسبة أقل في السنغال وغامبيا ومالي، وكلمة مور غير عربية فهي تعني عند الأوروبيين مسلمي الاندلس وسكان شمال إفريقيا، أما الآن فهي تعني سكان موريتانيا كما تطلق على مسلمي سريلانكا ومسلمي الفلبين<sup>1</sup>.

أما عبد الرحمن زكي فله تقسيم آخر لشعوب السودان حيث قسمهم إلى تسع مجموعات وهي: الفولان، الشعوب السنغالية، قبائل الماندي الشمالية، السوننكي، البمبر،<sup>2</sup> قبائل فولتا الشمالية، السنغاي والزيروما والدندي، شعوب تشاد، عرب السودان<sup>3</sup>.

### اللغات في غرب إفريقيا:

عرفت اللغة العربية انتشاراً واسعاً في غرب إفريقيا قبل الاستعمار الأوروبي، فاستعان بها الملوك والأمراء لفهم الدين وحرصوا على تعلمها وتعليمها، واستقدموا إلى بلادهم العلماء العرب لتدريسها، وهذا لسببين رئيسيين: أولاً الاعتقاد أنها لغة الإسلام ولغة القرآن والعبادات المختلفة، ثانياً اعتبارها لغة حية في العالم والعدو يدبر مؤامرة للقضاء عليها<sup>4</sup>. فلم يكن في غرب إفريقيا لغات ذات بال غير العربية

1 محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص 24-25.

2 ينحدرون من جبال الكونغ، طردوهم الفولان من موطنهم، جلدتهم داكن، انفهم مهشوم واسناعم مائلة، وهم اقل استقلال من الشعوب الأخرى ويعملون كمرتزقة. ينظر Dr. A. Bordier: Op.Cit, p267.

3 عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، ج2، مطبعة يوسف، مصر، د.ت.ن، ص 102-106.

4 موسى عبد السلام مصطفى أيبكن: "الغزو الفكري الاستعماري على التراث العربي الإسلامي في غرب إفريقيا"، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، ع 21، 2014، ص 86-87.

قبل الاستعمار الأوروبي، ولهذا كان من أهداف الاستعمار القضاء على هذه اللغة وعلى اللهجات الإفريقية<sup>1</sup>.

يرى الباحث ريتشارد مولار أن التحديد اللغوي يعتبر أكثر دقة لتحديد الأجناس الإفريقية لكن هذه النظرية يعترضها وجود أكثر من 150 لغة، وأيضاً الكثير من الشعوب الإفريقية تركت لغاتها، بينما يرى البعض الآخر إن كثرة اللغات دلالة على تعدد الأصول واختلافها<sup>2</sup>. وتعد لغة الهوسا الأكثر شيوعاً في المنطقة حيث يتعامل بها أكثر من 25 مليون نسمة وتتركز أساساً في نيجيريا<sup>3</sup>. ورغم هذا فلغة المستعمر هي الأكثر انتشاراً حالياً وهي اللغة الرسمية للكثير من الدول. ويتكلم سكان هذه المنطقة العديد من اللهجات أهمها التوي (Twi) والايوى (Ewe) واليوروبا (Yoruba)<sup>4</sup>.

وقد أرجع الكثير من العلماء لغات غرب إفريقيا إلى أصول مشتركة للتقارب في اشتقاق كلماتها حيث تلتقي جميعها في اللغة السودانية التي انقسمت إلى زمر متعددة وهي: الزمرة السنغالية الغينية، النيجيرية السنغالية، النيجيرية التشادية، الفولتا السودانية، الليبرية الداهومية. وتضم كل زمرة مجموعة من اللغات تتفاوت في تطورها وأماكن انتشارها وكلماتها وحروفها<sup>5</sup>.

### الأديان في غرب إفريقيا:

يقول المستكشف الأسكتلندي لفينجستون متحدثاً عن ديانة الإنسان الإفريقي: " ثلاثة أمور لم أجد فيها فرقاً بين الأبيض والأسود: الله، العائلة، وعاطفة الحب " ويمكن تقسيم الناس من حيث الدين في غرب إفريقيا إلى ثلاث فئات: المسلمون، الوثنيون والمسيحيون<sup>6</sup>. وقد كان الإسلام سابقاً في المنطقة إلا أن الأوروبيين استغلوا الدين كغطاء لتحقيق مآربهم حيث عملوا على نشر المسيحية من أجل إضعافه وذلك من خلال شغله في دياره بمعارضين من بيئته، ولذا فاستعمار هذه المناطق لا يعدو أن يكون

1 أحمد شلي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج6، ط5، دار العلوم، القاهرة، 1990، ص449.

2 نعيم قداح: المرجع السابق، ص 22.

3 محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص 26.

4 فيج جي دي: تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد يوسف نصر، دار المعارف، مصر، 1982، ص15.

5 نعيم قداح: المرجع السابق، ص 22-24.

6 كمال مروة: المرجع السابق، ص 43.

حلقة من حلقات الحروب الصليبية<sup>1</sup>. ويرى جون فيج في الفصل الرابع من كتابه ((تاريخ غرب إفريقيا)) "إن المسيحين الأوائل الذين دخلوا غرب إفريقيا كان هدفهم نشر المسيحية بين شعوب إفريقيا والوصول لمملكة الحبشة المسيحية لبناء تحالف معها لتطويق مسلمي شمال إفريقيا من الشمال ومن الجنوب في إطار الحرب الصليبية، لكن هذا المشروع لم ينجح لصعوبة المسالك الصحراوية على القوات الأوربية المنطلقة من الجنوب باتجاه الشمال عبر الصحراء الكبرى"<sup>2</sup>. وعموماً فقد توقف انتشار الإسلام في إفريقيا عند حدود الغابات الكثيفة، وبهذا استغل المسيحيون المدن الساحلية وبعض القرى على أطراف الغابات لنشر أفكارهم، لكنها لم تلق نجاحاً كبيراً لعدم شعور الإفريقي بالأخوة التي يروج لها المسيحي، ولا يمكن القيام بدراسة دقيقة للأديان في غرب إفريقيا، وخاصة المناطق الداخلية، لأن الدراسات الإحصائية للسكان غير دقيقة، والسجلات المدنية مضطربة وغير منظمة. ورغم هذا يعترف الكثير من الباحثين إن المسلمين يشكلون أكثر من نصف سكان غرب إفريقيا<sup>3</sup>.

وفي الأخير يمكن أن يتسأل البعض عن الحاجة إلى مثل هذه المقدمة الجغرافية؟، فنقول إن هذا التنوع الجغرافي سواء الطبيعي أو البشري قد أثر في طبيعة الإنسان في غرب إفريقيا مما سيسهم في الخلاف بين مختلف العناصر في المنطقة حول الكثير من القضايا، وهذا ظاهر لحد الساعة.

1 أحمد شلي: المرجع السابق، ص 449.

2 J. D. Fage, A History of West Africa, Cambridge University Press, 1969, pp. 47-62

3 نعيم قداح: المرجع السابق، ص 26

# الفصل الأول: غرب إفريقيا قبيل الغزو الاستعماري

المبحث الأول: أوضاع غرب إفريقيا قبل مجيء الاستعمار

المبحث الثاني: مكانة الفقهاء قبيل الاستعمار

المبحث الثالث: استعمار غرب إفريقيا

المبحث الرابع: تنظيم وسياسة المستعمرات

يقال: "الحكم على الشيء فرع عن تصوره" لهذا خصصنا هذا الفصل لإعطاء صورة عن الأوضاع العامة في منطقة غرب إفريقيا قبيل الاستعمار، وانتشار المذهب المالكي في المنطقة، وللحديث عن مكانة الفقهاء ومختلف الأدوار التي اضطلعوا بها، ومدى تأثيرهم في مجتمعاتهم، وتوقفنا طويلاً عند مفهوم الاستعمار ودوافعه وأساليب توغله في المنطقة، وتعدد أشكاله وأخيراً تنوع السياسة الاستعمارية.

### المبحث الأول: أوضاع غرب إفريقيا قبل مجيء الاستعمار:

ربط الأوروبيون علاقات عديدة مع شمال إفريقيا لعدة سنوات قبل الميلاد لكنهم لم يعرفوا دواخل إفريقيا وخاصة الجهة الغربية، رغم كل تلك الرحلات الاستكشافية التي سبقت القرن التاسع عشر الميلادي، ولم تتطور معرفتهم للداخل إلا مع تقدم الاحتلال. ومن هنا كان لا بد لنا أن نقف على أوضاع إفريقيا الغربية في كل مجالات الحياة ومختلف التنظيمات التي عرفتها قبيل الغزو الاستعماري.

#### 1-الأوضاع السياسية:

تباينت الأوضاع السياسية بين مختلف مناطق غرب إفريقيا قبل الاستعمار، فقد تمايزت قوة وضعفاً من منطقة إلى أخرى، حيث وُجدت إمارات وتنظيمات عُرفية، كما وُجدت وحدات سياسية أقل أهمية ومجمعات مدن ومجتمعات بلا دولة<sup>1</sup>. ولعل أبرز ميزة للقرن التاسع عشر في هذه المنطقة هي نمو الروح القومية لدى الشعوب مثل الاثانتي والداهومي والبميرا واليوربا، وكذا شعوب الفولان، فقد حاول كل منها التكتل في وحدات سياسية، وأصبحت هذه الروح عباءة يختفي تحتها الصراع على السلطة، كما استخدم الفولان لغة الهوسا وسيلة لتحقيق أغراضهم وذلك من خلال استعمالها في كل الأغراض الرسمية والاجتماعية<sup>2</sup>، مما جعلنا نقف هنا على أبرز الأوضاع السياسية في مختلف أجزاء المنطقة.

1 هيلين دالميدا: إفريقيا في القرن العشرين، ترجمة، صباح ممدوح كعدان، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، 2013، ص 20.

2 ك.مادهو بانيكار: الوثنية والإسلام تاريخ الامبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا، ط 02، تر: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الإعلامي للثقافة، مصر، 1998، ص ص 271-273.

## 1-1 الأوضاع السياسية في منطقة فوتاتور بداية القرن 19م:

نظرا للتواجد الأوروبي القديم في هذه المنطقة خاصة بعد بناء أول مركز للفرنسيين وهو سان لويس<sup>1</sup>، فقد تميزت الأوضاع العامة بالتفتت السياسي حيث ظهرت العديد من الإمارات الصغيرة في كايور، بأول، بامبوك ووالو...ومن أبرز الإمارات الوثنية سيغو وكارطا. كان الصراع جليا بين هذه الإمارات والنزعات الانفصالية كانت غالبية لعدة أسباب أهمها محاولة التقرب من الأوروبيين والحصول على الصدارة في التجارة الأطلسية، وكان الهدف من الحروب المؤقتة الحصول على الأسرى<sup>2</sup>، وفي نفس الوقت شهدت المنطقة محاولات للتنظيم والتوحيد السياسي تجسد في إمارة الحاج عمر تال<sup>3</sup> والذي استطاع تشكيل إمارة واسعة الأرجاء في غرب إفريقيا تمتد مساحتها من السنغال غرباً إلى تمبكتو في أعالي النيجر، في حين لم يكن الوجود الفرنسي في المنطقة يتجاوز بعض المحطات التجارية مثل سان لويس والتي تأسست 1659م وكذلك أرجوين وجوريه في السنغال<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سان لويس: أول مركز تجاري أوروبي سماها الفرنسيون نسبة الى ملكهم لويس الرابع عشر (1638-1715) تكريماً له، استولى عليها الانجليز أثناء حرب السبع سنوات بين فرنسا وجيرانها، ثم استردها الفرنسيون، أعاد الانجليز السيطرة عليها ثم استردتها فرنسا بعد مؤتمر فيينا 1815م. ينظر: محمد جوف بن تفسيرباب البرني: أعلام الهدى بغرب إفريقيا، السنغال، د.م.ن، 1999، ص 99.

<sup>2</sup> عبد الله عيسى: مجمل تاريخ السنغال من القرن 11 إلى نهاية القرن 19م، مركز الكتاب للبحوث والدراسات، 2020، ص 296.

<sup>3</sup> ولد الحاج عمر الفوتي سنة 1795 مع اختلاف في سنة مولده بمنطقة فوتاتور Fouta toro في قرية ألوار Alwar تلقى تعليمه وتربيته على يد والده سعيد Seido ومن أبرز المحطات في حياته رحلته إلى الحج حيث مكث ثلاث سنوات وخلال عودته زار الأزهر الشريف وجالس العلماء ورجال الصوفية، توفي سنة 1864م. ينظر أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 307-326. وأيضاً عبده بدوي: شخصيات إفريقية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، د.ت.ن، ص 40-43. وأيضاً عبد الله عيسى: مجمل تاريخ السنغال، المرجع السابق، ص 359-363. وأيضاً: محمد جوف: المرجع السابق، ص 122-131. Yves Saint-Martin: Un fils d'El Hadj Omar: Aguibou Roi du Dinguiray et du Macina (1843-. 1907), Cahiers d'Etudes Africaines, vol. 08, cahier 29, (1968) p 145-147.

<sup>4</sup> تمام هماد تمام: "المقاومة الوطنية ضد التوسع الفرنسي في أعالي النيجر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر"، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر، ع 08، 1979، ص 106.

1-2 الأوضاع السياسية في بلاد شنقيط<sup>1</sup>:

غلب على الأوضاع السياسية في منطقة شنقيط قبيل الاستعمار الفرنسي خلافات وصراعات كبيرة بين الإمارات العربية والقبائل ذات الشوكة وفي نفس الوقت لم يقف الأوروبيون المتواجدون في المنطقة موقف المتفرج من هذه الأحداث والوقائع، بل عملوا على إذكاء نار الفتنة وتأجيجها تطبيقاً لسياسة فرق تسد في الباطن، وتمويلاً لبعض الأطراف بالسلاح في الظاهر وللآخر في الخفاء، وهذا ما جعل الفقهاء في وضعية صعبة من أجل ترقيع هذا الخرق الذي ظل يتسع يوماً بعد يوم<sup>2</sup>.

تميزت بلاد شنقيط بحكم السببية<sup>3</sup>، وهي الفوضى وعدم التقيد بالقوانين والحكم، وهذا المصطلح أصله محزني كما يرى الدكتور محمد المختار ولد السعد: "يعبر عن تأرجح حضور المخزن في الوسط القبلي بين وضعية الشغور ووضعية الجور"<sup>4</sup>، فكثر الحروب داخل المدن ومحيطاتها مما نتج عنه انحطاط الإمارات الكبرى وازدياد الحروب والصراعات بين القبائل وتفككها مما انعكس سلباً على الحياة الاقتصادية والاجتماعية<sup>5</sup>. ولم توجد سلطة نظامية حاكمة تُنظم وتحكم، فقد كان قوة السلاح غالباً هي الحاكمة<sup>6</sup>. ولم يفكر المدنيون ولا الرُّحل في جنوب شنقيط في إقامة سلطة مركزية، ولم تكن شبكات طرق أو سكك حديدية لتسهل في ذلك الترابط، ولهذا قبلوا بكل تواضع استضافة حكام السنغال<sup>7</sup>.

- 1 شنقيط: هو الاسم القديم لموريتانيا وجاء اسمها من قرية تشنقاط التي هاجر منها بعض أهل شنقيط وقد تأسست شنقيط القديمة آبير سنة 160هـ الموافق 776م، وتعني عيون النخيل. حماد الله ولد السالم: حجاج ومهاجرون علماء بلاد شنقيط (موريتانيا) في البلاد العربية والتركية من القرن التاسع الى القرن 14هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ص 392.
- 2 المختار ولد محمد: الطرق الصوفية في موريتانيا ومواقفها من الاستعمار الفرنسي، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص 120
- 3 السببية: تعني غياب السلطة وشيوع الفوضى وكانت استثناء في أيام الجوائح والمجاعات والأزمات في بيوت السلطة الاميرية، أما الوضع العام فكان يتسم بالنظام وتسير الحياة بشكل عادي. حماد الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ص 194.
- 4 محمد المختار ولد السعد: الإمارات والنظام الاميري الموريتاني، أبو ظبي للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2007، ص 27.
- 5 حماد الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا، المرجع السابق، ص 207-208.
- 6 محمد امبارك شرقي: الأوضاع العامة في بلاد البيضان خلال القرن 19م خلال كتابة البادية للشيخ المامي ولد البخاري، الصحراء في العلاقات المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015، ص ص 136-140.

7 Ahmed Baba Miske: la decolonization de l'Afrique revisitee la responsabilite de l'Europe, Karthala, 2014, p 89.

## 1-3 الأوضاع السياسية في الأزواد:

كان النظام القبلي هو السائد في المنطقة قبل مجيء الاستعمار الفرنسي حيث توجد عدة سلطنات قائمة وهي: سلطنة الفولان، مملكة الصونغاوي، سلطنة كونته، سلطنة البرايش، سلطنة كلنتصر، سلطنة إفوغاس وسلطنة إمدن...<sup>1</sup> وخلال القرن التاسع عشر الميلادي وبعد انهيار القوة المركزية في منحني نهر النيجر، سنحت الفرصة لبعض القبائل الصحراوية لفرض سيطرتها على المنطقة وذلك من خلال مهاجمة جميع القوافل، وأهم تلك القبائل قبيلتان كبيرتان هما: الكيل أوي والاوليمندن، ومع مرور الأيام توغل الطوارق ببطء في وادي النيجر واستطاعوا التأثير في النشاط السياسي للمنطقة.<sup>2</sup>

وقد أفاض الشيخ محمد محمود الأرواني في كتابه (الترجمان) في الحديث عن هذه الأوضاع حيث ذكر إن بلاد الأزواد وضواحيها كانت قبل مجيء الاستعمار تعيش في هرج كبير وظلم خطير وسفك للدماء وفساد في الأحكام، فلا الوزير ولا الأمير عادل ولا نظام قائم، الحقوق مهضومة، والجور سائد، فالمال منهب والعرض مسلوب والقتل بلا سبب، فلا راحم ولا ناصر وكل لهواه متبع.<sup>3</sup>

## 1-4 الأوضاع السياسية في بلاد الهوسا:

تميزت منطقة الهوسا خلال القرن التاسع عشر الميلادي عن غيرها بنظام جديد على رأسه الفقهاء على عكس ما كان سائداً من قبل، من خلال حكم محليين من أصول ملكية، فتأسست دولة إسلامية عاشت حوالي قرن من الزمن تقريباً، ضمت أقاليم شاسعة في غرب إفريقيا.<sup>4</sup> فاقت غيرها من المناطق في غرب إفريقيا، ألا وهي دولة صكتو<sup>5</sup>، والتي صورها البعض بالدولة الإسلامية المثالية، وهذا نتيجة

<sup>1</sup> بول مارتي: البرايش (بنو حسان)، تر: محمد محمود ولد ودادي، د.م.ن، دمشق، 1985، ص 05

<sup>2</sup> ك. مادهو بانيكار: المرجع السابق، ص 274.

<sup>3</sup> محمد محمود الأرواني: تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان، تحقيق: مبروك الدالي، دار

الكتب الوطنية بنغازي، 2009، ص 249.

<sup>4</sup> عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص 142.

<sup>5</sup> صكتو: نسبة إلى صكة وهي اسم لرجل حائك سكن المكان فسميت باسمه، وتكتب بالسين أو الصاد، ويقال إنها صكة على

وزن مكة لأنها تعني الضربة وهي نفس معنى مكة التي تسمى بكة أي التي تدق أعناق الجبارة، بنيت صكتوسنة 1224هـ على

يد الشيخ محمد بلو بن عثمان بن فودي وكانت لها ثمانية أبواب تيمنا بأبواب الجنة. ينظر الوزير جنيد بن محمد البخاري: التحفة

السنية في التعريف بصكتو البهية، تحقيق: آدم بللو، نيجيريا، د.د.ن، د.ت.ن، ص ص 24-27.

تلك الإصلاحات التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي<sup>1</sup> وخلفاؤه من بعده، حيث عرفت تطوراً وتنظيماً لا مثيل له في المنطقة، مما جعل الأوروبيون يندهشون من المستوى الحضاري الذي وصلت إليه البلاد، ويقررون الإبقاء على النظم القائمة في بلاد الهوسا، ولم يحاولوا التدخل في شؤون المسلمين هناك. فبلاد الهوسا إن سقطت عسكرياً فهي لم تسقط حضارياً بل ازدادت ازدهاراً مع مرور الأيام<sup>2</sup>.

## 2- الأوضاع الاجتماعية قبل الاستعمار:

عرف النسيج الاجتماعي تماسكاً في مناطق وتشتتاً في أخرى، لأن الأوضاع الاجتماعية عادة ما تكون انعكاساً للأوضاع السياسية، والطبقية لا يمكن القضاء عليها نهائياً في أي مكان أو أي زمان، ولأن المنطقة شهدت تمايزاً في الأديان والأجناس فكان لا بد من تصور انعكاسات كل هذا على الحياة الاجتماعية. ويرى الباحث غاستون دوني بأن مجتمعات غرب إفريقيا مثل بقية المجتمعات المسلمة يأتي في أعلى مراتبها المحارب والمربي وفي الوسط التجار والحرفيين الذين يدفعون ضرائب مقابل الاحتفاظ بحرياتهم أما الطبقة الدنيا فهي طبقة العبيد الذي لاحق له سوى الإطعام<sup>3</sup>. أما المؤرخ السنغالي يوسفو غيسي فيرى إن الأفارقة خلال تاريخهم الطويل كانوا ينتمون في أمة واحدة ومجتمعات مشتركة موحدة تماماً. إلا أن هذا الأمر غير صحيح تماماً والدليل هو وجود المنشآت الكبرى فطبقة النبلاء والمحاربين طالما سيطروا على الإنتاج الفلاحي والحيواني وهذا في معظم المجتمعات الإنسانية حيث لا يمكن نكران

1 ولد الشيخ عثمان بقرية ماراته Maratta بالقرب من سوكونو سنة 1754م، من إحدى قبائل (التورودي) أهم وأكبر قبائل الفلان العربية، من أسرة علمية، تلقى تعليمه الأولى في أسرته ثم أقادس Agadas. لم يحفل الشيخ عثمان بالعرش الذي كونه ولا المجد بل ترك كل ذلك ليتفرغ للعلم ووضع قواعد متينة لسياسة الدولة وقد خلف العديد من المؤلفات في شتى العلوم وخاصة الفقه ومن أبرزها: أصول الولاية، إحياء السنة، بيان البدع، ترغيب العباد، تمييز المسلمين. توفي 1817م. ينظر محمد بلو: المصدر السابق، ص 158-176. وأيضا: أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 130-167. وأيضا آدم عبد الله اللوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2013، ص 133-172. وأيضا، عبده بدوي: المرجع السابق، ص 35-39. أيضا: بشار أكرم جميل: تاريخ الإسلام في إفريقيا، دار الفكر، المملكة الأردنية الهاشمية، 2014، ص 213-218. وأيضا أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، 1887، ص 59-63.

2 عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جويلية 1989، ص 39.

3 Gaston Donnet: Une mission au Sahara occidental du Sénégal au Tiris, Augustin Challamel, Paris, 1896, p 24.

الطبقية<sup>1</sup>. وقد حاول بعض المجددين والملوك القضاء على الطبقية، فمثلا حاول الحاج عمر الفوتي تزويج أصحاب المهن المختلفة ببعضهم البعض، وهذا من أجل خلق توازن اجتماعي واقتصادي في المملكة<sup>2</sup>، لكن تبقى مثل هذه التدابير جزئية وفي مناطق وأوقات محددة.

ساد مجتمع بلاد البيضان (موريتانيا) نظام طبقي إقطاعي، وهو نظام ظل يسود تقريبا لمدة ألف سنة في المنطقة، ويمكن تقسيم المجتمع الموريتاني إلى طبقتين متميزتين: الطبقة الأرستقراطية وتضم شيوخ القبائل والأمراء كما تضم فئة من التجار والمشايخ والفقهاء، إضافة إلى القبائل المحاربة ذات الشوكة. بينما الطبقة الثانية تضم الحرفيين التجار المزارعين والرقيق وهي تقريبا مسخرة لخدمة الطبقة الأولى من رجال الدين والمحاربين<sup>3</sup>. وكانت القرى تتعرض مراراً للنهب من طرف المحاربين الذين لم يترددوا في السلب والنهب بانتظام ولم تمنعهم الأخوة في الدين من هذا العمل حتى في أوقات الصلاة<sup>4</sup>. كان المجتمع الموريتاني قبل الاستعمار كما يرى الخليل النحوي ينقسم على أساس وظيفي لا سُلالي وعلى رأسه قيادة ثنائية بنو حسان وقبائل الزوايا: الأولى تمتلك القيادة العسكرية والثانية تمتلك الزعامة العلمية واشتركت المجموعتان في القيادة السياسية وبهذا كانت الكلمة العليا للطرفين معاً لا لغيرهما، وهذا ما يلخصه المثل الشعبي: (العيش إلا تحت الركاب والل تحت كتاب))<sup>5</sup>. وقد كان الحكم القبلي هو السائد وحياة البداوة هي المظهر العام في موريتانيا فلم تعرف البلاد وحدة سياسية أو أي نوع من السلطة قبل الاستعمار الفرنسي، فكانت الأسرة هي الوحدة الصغيرة والقبيلة هي الوحدة الكبيرة التي تحتضن كافة أنواع التفاعل الاجتماعي<sup>6</sup>. وقد فصل كزافيي كابولاني في كتابه ((مهمتي في السودان الفرنسي)) في أصول القبائل الموريتانية وعاداتها وخصائصها والعلاقات التي تربط بينها وتأثير البيئة على تلك الحياة الاجتماعية، انطلاقاً من معاشته للسكان عن قرب وإجادته للعربية<sup>7</sup>.

1 أمين أسير: إفريقيا سياسياً إقتصادياً واجتماعياً، دار دمشق، سوريا، 1985، ص 133.

2 أمين أسير: المرجع السابق، ص 135.

3 حماد الله ولد السالم: جمهورية الرمال حول أزمة الدولة الوطنية في موريتانيا، دار الكتب العلمية، لبنان، 2014، ص 32-33.

4 Gaston Donnet: Op.cit, p 29.

5 خليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص 36.

6 علي سعدي عبد الزهرة: "الاستعمار الفرنسي في موريتانيا"، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، مج 04، ع 02، 2020، ص 180.

7 X. Coppolani: Rapport d'ensemble sur ma Mission ou Soudan Français, Imprimerie F. Levé, Paris, 1899, p 04-05.

أما في بلاد الهوسا فقد أصبح الدين الإسلامي مع بداية القرن التاسع العاشر الميلادي أساس النظام السياسي والاجتماعي حيث كانت لرجال الدين مرتبة سامية في المجتمع من خلال المناصب التي يتولونها كالتدريس والقضاء، ولم تكن هذه الطبقة مقتصرة على فئة معينة بل هي مفتوحة لكل من تفقه ونال درجات واستحسان العلماء، وبذل جهده في خدمة الدين من خلال النصح والإرشاد والوعظ<sup>1</sup>. كما وجدت في غرب إفريقيا بعض المراكز الحضارية المتميزة قبل مجيء الأوروبيين مثل جني تمبكتو بوتليميت... تميزت هذه المناطق بوجود إسلام حضاري، شمل كل الميادين وليس مجرد تعاليم دينية ونظرية، متمثلاً في إقامة الشعائر صلاة صيام زكاة، وختان وتعدد زوجات واحتفالات ومهرجانات تشبه السوق والحج. وقد سلمت المدن السابقة المشعل فيما بعد لمدن جديدة مثل توارون وتوبا وغيرها مما يجعلك تلاحظ مجتمعاً متضامناً ومتماسكاً<sup>2</sup>.

### 3- الأوضاع الثقافية في غرب إفريقيا:

كان انتشار الإسلام ورسوخه عاملاً مهماً في تطور الحياة الثقافية في المنطقة والتي لم تتأثر كثيراً بالأوضاع السائدة، وخاصة منطقة شنقيط والأزواد حيث نجد سيطرة بعض العائلات التي توارثت مكانة ثقافية متميزة، وقد كانت اللغة السائدة قبل مجيء الاستعمار هي اللغة العربية سواء في الإدارات أو التعاملات وهي لغة العلوم، قبل أن تقم الإدارة الاستعمارية استعمال هذه اللغة عن طريق منع إدخال أي كتاب عدا القرآن، ومنع التواصل بين الجاليات المسلمة في غرب إفريقيا والشرق الأدنى<sup>3</sup>. وقد حاولت الدراسات الأوروبية التركيز على أن أهل السودان كانوا يرفضون هذه الثقافة العربية المقتصرة على العلوم الدينية والنحوية والتي لم يستطيعوا استيعابها، بدعوى أنها خارج النطاق الفكري للسود<sup>4</sup>.

ففي بلاد شنقيط مثلاً بالرغم من حالة السيبة التي كانت تعيشها المنطقة من سلب ونهب وحروب واعتداءات إلا أن ذلك لم يمنع من وجود نهضة ثقافية في منطقة شنقيط كما عبر عنها الشيخ المامي<sup>5</sup>:

1 عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص142.

2 Joseph Roger : Tendances Actuelles de l'Islam en Afrique de l'Ouest, études, Pères de la Compagnie de Jésus, France, décembre 1983, pp 668-669.

3 Ibid, p 670.

4 Jules Salenc-Paul Marty : Les écoles Maraboutiques du Sénégal La Médersa de Saint -Louis, Ernest Leroux, Paris, 1914, p 36.

5 هو محمد إمامي بن البخاري بن أحمد بزيد ولد سنة 1206هـ، ترك الشيخ محمد العديد من المؤلفات يقال انها بلغت الأربع مئة مؤلف من أبرزها: الدولاب في المذاهب الأربعة والأربعين، نظم الخراج في عشرة الاف بيت نظم لمختصر خليل، ألفية في السيرة،

إن لم يكن شنقيط فيه زمزم فهو له في العلم أصل أقدم  
 إن لم يكن لهم إمام قائد تضيق عن قضاته الموارد  
 وألف ثعلب يقودها أسد خير من ألف أسد إن لم تُقد

فالعلم كان منتشرًا بشتى فنونه خاصة الشعر والآداب وحتى الفقه عرف نهضة من خلال كثرة المحاضر لكن أحكامه معطلة ولا تطبق<sup>1</sup>. ويلخص كتاب البادية للشيخ مامي الأوضاع العامة لبلاد البيضان بالمتأزمة ففي المجال الديني كثر الخلاف والتضارب بين فتاوي العلماء مما جعلها لا تجيب عن تساؤلات الواقع المعاش هناك<sup>2</sup>.

#### 4-الأوضاع الاقتصادية قبل الاستعمار:

لا يمكن الحديث عن الأوضاع الاقتصادية خلال هذه المرحلة دون الكلام عن تجارة الرقيق التي كانت عصب الاقتصاد للمنطقة، وكان إعلان إنجلترا سنة 1807م ثم فرنسا نهاية هذه التجارة بمثابة الموت لاقتصاد غرب إفريقيا لأنه كان معتمدها، فكان الرقيق يشكل عصب الحياة إذ يكفي رأس مال هذه التجارة لدفع ثمن كل الواردات، وحتى باقي الدول الأوروبية كان لا بد لها من بديل لهذه التجارة التي كانت مكسباً لعدة قرون، وهذا ما أجبر هذه الدول لاحقاً للتوغل نحو الداخل الإفريقي<sup>3</sup>. وفي نفس الوقت كانت المدن التجارية الكبرى مثل تمبكتو تعيش حالة احتضار حيث انقطعت علاقاتها مع طرابلس والمغرب ولم تعد توجد تلك الأشياء الثمينة والسلع الفاخرة بل اقتصر على الملح والحبوب وبعض السلع العادية<sup>4</sup>.

نظم في تفسير القرآن، الزبدة في معاني الحروف، الشيخ الاجم والشيخ الاقرن، ولعل أشهر كتبه (البادية). محمد عبد الله ولد المصطفى: من أبرز علماء شنقيط، إدارة الثقافة والفنون، موريتانيا، 2013، ص 16-17.

1 الشنقيطي الحسن بن محمد الأمين: الجهود الدعوية في منطقة شنقيط وتأثيرها في غرب إفريقيا من القرن 11 إلى القرن 13هـ، رسالة ماجستير، كلية الدعوة، جامعة طيبة، السعودية، 2004، ص 235.

2 محمد امبارك شرقي: المرجع السابق، ص 136.

3 ك. مادهو بانيكار: المرجع السابق، ص 269.

4 Edouard Guillaumet : La vérité sur Tombouctou l'esclavage au Soudan, Albert Savine, Paris, 1895, p 76.

وفي هذا المجال أيضاً يذكر محمد امبارك شرقي ظهور قسمات شاذة في الغنائم مثل قسمة القرعة وقسمة المراضة التعديلية، إضافة إلى فرض القبائل المحاربة ضرائب على من يوجد في مجالها.<sup>1</sup> وتمثل الضرائب عادة في الأغنام والجمال والماعز والسكر المجفف... في حين تعفى بعض القبائل من جميع الضرائب.<sup>2</sup> وقد شهدت قبائل الشمال في موريتانيا انهماكاً اقتصادياً كبيرها من المناطق وهذا بسبب تعطل تجارة القوافل وهجرة السكان عن مناطقهم بحثاً عن الهدوء والأمن إضافة إلى انتشار الأوبئة والمجاعات، ففي سنة 1282هـ/1865م حسبما أورده صاحب حوليات تيشيت جاء الجراد لجميع البلدان وظهر وباء البقر، ووقعت شدة وقحط ومجاعات قاتلة في تيشيت وشنقيط وأروان وولاته وتمبكتو وحتى بلاد التكرور.<sup>3</sup>

وقد حاول بعض الغربيين من أمثال ريموند موني (Tableau de l'Ouest Africain au Moyen age) التلميح إلى عنف القبائل الصحراوية ضد القبائل السودانية، وهو ما ذهب إليه الكثير من المستكشفين أمثال دولافوس (les relations du Maroc avec le Soudan à travers les âges)، إلا أن التاريخ يثبت العكس ويرد عليهم أقوالهم، فكيف سيفسر هؤلاء حماية القبائل الصحراوية بمختلف فروعها للطرق التجارية بين السودان والشمال وتوفير الماء والغذاء للمسافرين خلال تلك المرحلة؟<sup>4</sup>، وقد عرف الاقتصاد الإسلامي أنذاك نجاحاً باهراً من خلال مساهمة التجار في تطوير الاقتصاد، حيث صارت المعاملات الإسلامية أساس التعامل حيث حرم الإسلام الربا وكل العادات السيئة التي كانت سائدة من قبل.<sup>5</sup>

1 محمد امبارك شرقي: المرجع السابق، ص 138.

2 Gaston Donnet : Une Mission au Sahara Occidental du Sénégal au Tiris, Augustin Challamel, Paris, 1890, p21.

3 حماد الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا، المرجع السابق، ص 211.

4 أحمد الشكري: "الصحراء والتجارة الصحراوية بعيون المؤرخ الفرنسي ريموند موني"، أعمال اليوم الدراسي: الذاكرة والهوية،

المغرب، 2013، ص 228.

5 عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص 142.

## المبحث الثاني: أوضاع الفقهاء في غرب إفريقيا قبل الاستعمار:

## 1- مفهوم الفقهاء:

بالرجوع إلى معاجم اللغة نجد شبه اتفاق حول معاني هذه الكلمة، فالفقهاء في اللغة مشتقة من كلمة الفقه، وهو كما يرى ابن منظور في لسان العرب والفيروز أبادي في القاموس المحيط، الفقه بالكسر هو العلم والفهم<sup>1</sup>، يُقال أوتي فلان فقهاً في الدين، أي فهما فيه. والفقه العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم. ومع مرور الأيام اختص الفقه بعلوم الشريعة فأصبح كل عالم بالحلال والحرام يطلق عليه اسم فقيه. أما قديماً فقد كان يقصد به معرفة علوم الدين من الكتاب والسنة وما يتعلق بهما مطلقاً، دون تفرقة بين أصول الدين وفروعه<sup>2</sup>.

وقد وردت كلمة الفقه حوالي 17 مرة في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾<sup>3</sup> ووردت أيضاً في دعاء موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَاحْلِلْ وَأَخْلِلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (26) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾<sup>4</sup> ووردت في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي دِينِ رَبِّهِمْ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>5</sup>. وقد عرّف الشيخ محمد الخليفة الكنتي<sup>6</sup> علم الفقه بـ "العلم بوجوه إيصال المنافع والمضار إلى مستحقيها على وجهها المعروف من الشارع"<sup>7</sup>. وقد كان

1 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ط8، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005، ص1250.

2 نصيرة دهبينة: مدخل إلى فقه النوازل، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، 28، وزارة الشؤون الدينية والوقف، عين الدفلى، الجزائر، 29 أبريل 2010، ص19-20.

3 سورة النساء: الآية 77.

4 سورة طه: الآية 26-27.

5 سورة التوبة: الآية 123.

6 محمد الخليفة: هو محمد بن المختار الكنتي درس على يد والده القرآن والفقه والنحو، وتولى أمر المشيخة الكنتية بعد وفاة والده، من أبرز مؤلفاته (الطرائف والتلائد في أخبار الشيخين الوالدة والوالد) وقد توفي عام 1270 هـ -1854م. محمد سعيد قشاط: أعلام من الصحراء، دار الملتقى للطباعة والنشر، لبنان، 1997، ص171. وأيضا حناني فردوس: محمد الخليفة الكنتي حياته وأثاره التاريخية، رسالة ماجستير، التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2008-2009، ص ص 09-30.

7 محمد الخليفة الكنتي: الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد، Gallica.bnf.fr/ département des manuscrits. Arab6755، و 202.

المصطلح في الصدر الأول للإسلام يعني معرفة علوم الدين من الكتاب والسنة دون تفریق بين الأصول والفروع، أما المتأخرون فقد خصوه بالأحكام الشرعية دون العقديّة<sup>1</sup>.

## 2- الحركة الفقهية في غرب إفريقيا:

لعل غنى منطقة غرب إفريقيا هو ما جعل العلماء يتجهون نحوها ويتوافدون عليها من كل حدب وصوب، ليستقروا في مدنها الكبرى مثل تمبكتو، جني، ولاته، غاو وأروان... وكان هذا الاستقرار إضافة نوعية للمنطقة حيث انسجم الوافدون مع سكان وعلماء المنطقة وانصهروا فيهم وبهذا نشطت الحركة العلمية عموماً والفقهية خصوصاً<sup>2</sup>.

ازدهرت الحركة الفقهية في غرب إفريقيا، ومما يدل على هذه الحركة والنهضة التي وصلت إليها هي تلك المؤلفات المتنوعة والكثيرة التي أُلِّفت، وتلك الأسر العلمية الكبيرة التي ذاع صيتها في كل أنحاء المنطقة مثل عائلة أقيت، عائلة بغيغ، وكورد الفولاني وما تركته قبائل كنته والماسينين. وقد تنوعت هذه المؤلفات ما بين كتب، نوازل فقهية<sup>3</sup>، رسائل، وثائق، وغيرها<sup>4</sup>.

## 3- انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا:

يستغرب بعض المفكرين من انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي انطلاقاً من الخلفية التاريخية، فالمدينة وهي موطن الإمام مالك عبر تاريخها القديم كانت خاضعة إما لحضارة سامية سواء عربية أو يهودية بينما بلاد المغرب كانت خاضعة للحضارة البيزنطية<sup>5</sup>، وأيضاً لبُعد المسافة بين المغرب والمدينة. ولقد وصل المذهب المالكي إلى غرب إفريقيا عبر بلاد المغرب، حيث تمكن وأصبح المذهب الوحيد الذي به العمل والفتوى بداية من القرن الخامس الهجري إلى يوم الناس هذا، وقد تخصص بعض

1 نصيرة دهبنة: المرجع السابق، ص 20

2 عبد الرحمن محمد ميغا: المرجع السابق، ص 72.

3 الفتوى في الاصطلاح هي إخبار بحكم شرعي من غير إلزام، ولها عدة تسميات منها النوازل، الأسئلة والأجوبة... غير أن النوازل تختص بالحدوث والوقوع أما الفتوى فهي أسئلة عن أمور حدثت أم لم تحدث. عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، الهلال المغربية للطباعة والنشر، المغرب، 1993، ص 128.

4 عبد الرحمن محمد ميغا: المرجع السابق، ج 01، ص 176.

5 نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، تبر الزمان، تونس، 2004، ص 58.

العلماء في تدريس كتب المذهب ومختصراته، فهذا هو الشيخ أحمد بابا التمبكتي (ت 1306هـ-1626م) يقول عن شيخه محمود بن عمر بن أقيت إنه كان متخصصا في تدريس أمهات كتب الفقه المالكي: المدونة، الرسالة ومختصر خليل<sup>1</sup>. كما كان ابنه عبد الله مستحضرا لمسائل الفقه ونوازله ولمختصر خليل ورسالة بن أبي زيد نصب عينيه، بينما لاحظ له في غير الفقه المالكي<sup>2</sup>. وهذا الانتشار راجع لعدة أسباب أهمها انتصار المرابطين الذين نشروا الإسلام في المنطقة للمذهب المالكي مما جعل السكان يتبعونهم، فبعد الله بن ياسين كان يُعلم أهل شنقيط المذهب المالكي باعتباره الدستور الرسمي للدولة التي ينوي تأسيسها<sup>3</sup>. كما أن الفضل في انتشار الإسلام وتثبيتته في المنطقة يعود إلى أهل المغرب وهم على المذهب المالكي وقلعته الأمامية، ويتجسد العامل الثالث في ثناء العلماء على الإمام مالك وشهرته وشهادتهم له، وأما الأمر الرابع فهو شهرة المدينة حيث اعتبر أهل المنطقة أن ما جاء منها هو حق مطلق، وهذا ما جعلهم يتشبهون بالمذهب المالكي<sup>4</sup>. كما كان لرحلات الحج التي كانت تجتمع في بلاد المغرب لتكتمل مسيرها نحو البقاع المقدسة الأثر الأكبر في تلاقح الأفكار وتأدية المناسك كلها تبعاً للمذهب المالكي<sup>5</sup>، ومن أشهر الرحلات رحلة الملك منسا موسى الذي أصر على شراء وجلب أمهات الكتب المالكية فقط لبلاد السودان أثناء عودته من الحج<sup>6</sup>.

ويُرجع الحسن اليوبي انتشار المذهب المالكي إلى عاملين أساسيين وهما اتصال الغرب الإسلامي بالحجاز وخاصة المدينة المنورة وهي مستقر الإمام مالك والعامل الثاني هو طبيعة البيئة الغالبة في المغرب الإسلامي وبلاد الحجاز حيث لم تخالطها المدنية كما في باقي الامصار<sup>7</sup>. ويرى الباحث جعفر أحمد

1 أحمد بابا التمبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتاب، طرابلس، ط02، 2000، ص 607. ينظر أيضا أحمد بابا التمبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج 02، تح، محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، ص 245.

2 أحمد بابا التمبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 236.

3 مسعد حسين محمد: وقفات على بلاد شنقيط، ط02، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر، 2019، ص 90.

4 عبد الرحمن محمد ميغا: المرجع السابق، ج01، ص 34-35.

5 أحمد جعفري: "المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب قراءة في المصادر العربية والإفريقية ما بين القرنين (8هـ-11هـ/14م-17م)"، مجلة أفاق علمية، جامعة تمراست، الجزائر، مج 12، ع 01، 2020، ص 216.

6 T. ABBOU, "Mansa Musa's Journey to Mecca and Its Impact on West Africa", Conference Proceedings, "The Routes of Hajj in Africa", The International University of Africa, Khartoum, Sudan, 2016. P 08.

7 الحسن اليوبي: الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1998، ص 139-140.

إن طبع الفرد السوداني في التمسك بكل ما هو أصيل كان سبباً في تمسك سكان غرب إفريقيا بهذا المذهب كونه قادماً من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>. فهو يمثل السنة بعيداً عن البدعة والأهواء، كما أن المذهب المالكي اجتماعي كونه يراعي أعراف الناس وعاداتهم فهو يعتمد الواقع ولا يقتصر على الجانب النظري وهذا ما ناسب فطرة أهل المغرب التي تمتاز بالبساطة بعيداً عن التعقيدات<sup>2</sup>. ولا ننسى أن منصب القاضي وهو من أعلى المناصب في الدولة كان الشرط فيمن يتولاه الإحاطة بالمذهب المالكي<sup>3</sup>.

#### 4-أمهات الكتب المالكية:

لكل مذهب ديني أو فكري قديماً أو حديثاً مجموعة من المصادر تعتبر المرجع والأصل الذي تتفرع عنه الحقائق ويُرجع إليها في حال الاختلاف، وهذا ينطبق على المذهب المالكي الذي يعتمد على مجموعة من المصادر الأصلية. ولقد أفاض محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي في كتابه (فتح الشكور) الكلام عن الكتب والمناهج التي نالت الحظوة والاهتمام لدى أهل غرب إفريقيا عند حديثه على جل العلماء في المنطقة، وهي نفس الكتب التي كان يتداولها المغاربة ومازالت إلى اليوم محل عناية طلبة العلم في المنطقتين وعلى رأسها الموطأ للإمام مالك، مختصر خليل، الشفاء للقاضي عياض، وكتب المغيلي، وشروحات ابن القاسم والامام سحنون، والمعيار للونشريسي، والعقيدة السنوسية...<sup>4</sup> وقد اعتنى علماء غرب إفريقيا بتعليم طلبتهم هذه الأمهات من الكتب المالكية شرحاً وتحفيظاً وخاصة المختصرات لما لها من عظيم الفائدة، وقد أورد الشيخ محمد الخليفة كلاماً مطولاً عن دراسة أبيه الشيخ المختار الكنتي<sup>5</sup>

1 أحمد جعفري: المرجع السابق، ص 215.

2 نجم الدين الهنتاتي: المرجع السابق، ص 64.

3 عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الاسفيين 1493-1591، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، د.ت.ن، ص 77.

4 محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: عبد الودود ولد عبد الله وأحمد جمال ولد الحسن، دار نجيبويه، مصر، 2010، ص 54، 57، 62، 64.

5 المختار الكنتي: المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي ولد بكتيب أوغال 1142هـ/1729م حفظ القرآن على يد أخيه وأمه ثم انتقل الى المناطق المجاورة حيث تزلع في الفقه والتفسير والحديث والبلاغة وغيرها على يد شيخه علي بن النجيب، ولما جلس للتعليم أمه الطلبة من كل فج عميق، ولم يمنعه هذا عن التأليف فقد ترك ما يربو على ثلاثمئة مؤلف في شتى الفنون. ينظر محمد السعيد قشاط: المرجع السابق، ص 58. ينظر أيضا أحمد الحمدي: الريادة العلمية والمشيخة الصوفية بأزواد، دار قوافل، مورتانيا، 2017.

ووضح لنا أهم الكتب التي كان يدرسها وأبرزها تفسير القرآن والأحاديث الست الصحاح وجامع الأصول لابن الاثير وجامعي السيوطي الكبير والصغير، والشفاء للقاضي عياض وفي الفقه رسالة بن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل وجامع الأمهات لابن الحاجب وغيرهم...<sup>1</sup> كما أشار الخليل النحوي إلى نفس هذه الكتب المالكية المعتمدة عند الشناقطة مع شروحها<sup>2</sup>.

## 5-مراحل تطور الحركة الفقهية في السودان الغربي:

قسم الباحث عبد الرحمن محمد ميغا الحركة الفقهية في غرب إفريقيا إلى ثلاثة مراحل كبرى: مرحلة النشأة والتأسيس من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري، وتميزت بالارتباط بالفاتحين والصلوات مع الدولة الرستمية وانتهاء بفتوحات المرابطين ومن أبرز علماء هذه الفترة الشيخ فاتح بن عثمان التكروري (ت 695هـ) والشيخ صبيح بن عبد الله التكروري (ت 731هـ) والمرحلة الثانية: مرحلة الازدهار والنضج والإنتاج من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر الهجري، شهدت جهود منسا موسى وأخيه سليمان مروراً بدولة الأسقيين الذين أولوا عناية بالغة بالعلم حيث ازدهرت المدن والمراكز العلمية وظهرت أسر علمية تركت بصماتها في الفقه مثل أسرة أقيت، وعائلة كداد والكنتيين أما المرحلة الثالثة: طور الضعف والركود بداية من نهاية القرن الثاني عشر الهجري، وهذا بسبب الاضطرابات وانعدام الأمن والاستقرار، حيث أصبح العلماء يدورون في حلقات مفرغة من الشروح، لكن رغم هذا الضعف إلا إن المدارس ازدهرت في الأرياف، كما ظهر بعض الفقهاء الذين أحدثوا ثورة علمية وفقهية مثل العائلة الكنتية والفودية<sup>3</sup>.

## 6-مميزات الحركة الفقهية في غرب إفريقيا:

رغم التطور والإنتاج الكبير الذي تميزت به الحركة الفقهية في غرب إفريقيا ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين، الرابع عشر والتاسع عشر الميلاديين إلا أنها اصطبغت بعدة مميزات تبعاً لما كان يغلب على الحياة الفقهية في تلك الفترة، إذ أن التأثير بين ضفتي الصحراء لم يكن لينقطع بل ازداد متانة

1 محمد الخليفة: المصدر السابق، و108.

2 خليل النحوي: المرجع السابق، ص 198-199.

3 عبد الرحمن محمد ميغا: المرجع السابق، ج01، ص ص 41-48.

وتوثقت عراه بمرور الزمن، ومن أبرز تلك الخصائص ثلاث: وهي طابع التقليد، الاختصار والحفظ<sup>1</sup>. فالتقليد تجسد في الاكتفاء بالحواشي والتعليقات وشرح كتب السابقين أما الاختصار فتمثل في اعتماد كتب المختصرات والمتون وثالث الخصائص وهو الاعتماد على الحفظ باعتباره معياراً للفقهاء وتحكيم قاعدة: (من حفظ حجة على من لم يحفظ). وعلى إثر هذا الركود قام مجموعة من الفقهاء بمحاولات للتجديد ومنهم الشيخ المامي الذي ألف كتابه (البادية) ويذكر أن سبب تأليفه لهذا الكتاب هو انقسام علماء زمنه إلى قسمين: حيز أصولي يدعو إلى الاجتهاد وحيز ينحو نحو الفقه والالتزام ب (مختصر خليل)، وكلا الفريقين يطعن في صاحبه<sup>2</sup>. ومما يؤكد ضعف هؤلاء الفقهاء هو تألم الأسقيا محمد الكبير في أسئلته للإمام المغيلي (ت 909هـ-1503م) حيث اشتكى للشيخ بأن علماء وفقهاء دولته لا يدركون إلا الأمور السطحية من الدين وبعض الأحكام البسيطة وفهمهم سقيم لكثير من المسائل<sup>3</sup>. لكن رغم تلك المميزات فإن جهود هؤلاء الفقهاء والأعلام في نشر الثقافة العربية الإسلامية واضحة ولا يمكن إنكارها في مجتمع ساد فيه السحر والشعوذة وطبعته الخرافة والدجل، حيث تحول تدريجياً من ظلمات الوثنية إلى نور الإسلام<sup>4</sup>.

## 7- أهم مؤلفات النوازل والفتاوي:

نظرا لبعدها منطقة غرب إفريقيا عن الحواضر ومراكز الخلافة في المشرق وأيضا لما يُحدث للناس في أمور دينهم ودنياهم مع تطور الأزمان كانت الحاجة ماسة إلى نوازل وفتاوي خاصة ومقيدة لإقامة شرع الله في هذه المنطقة. وبعد جهود كبيرة تم جمع نوازل غرب إفريقيا في عدة مجلدات منها (نوازل التكرور) والذي تضمن مجموع النوازل التي تم تناولها من طرف علماء وفقهاء المنطقة مثلما فعل الشيخ الونشريسي بجمع الفتاوي في كتابه (المعيار) ومن أبرز النوازل التي ضمها مؤلف (نوازل التكرور): فتاوي الشيخ سيد المختار بن أحمد، أجوبة سيد المختار الكنتي، أجوبة محمد الصغير الملقب بباي، أجوبة سيد عبد الله بن الفق، نوازل القصري، فتاوي أحمد بابا التنبكتي، أجوبة محمد بن محمود بن بغيغ، أجوبة

1 عبد الرحمن محمد ميغا: المرجع السابق، ج 01، ص 51.

2 محمد المامي ابن البخاري: البادية، زاوية الشيخ محمد المامي، انواذيبو موريتانيا، د.د.ن، 2006، ص 12.

3 عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص 159.

4 لعماري مرزقلال: الحياة الثقافية الإسلامية في مملكة سنغاي على عهد الاسقيين، مذكرة ماجستير، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، 2009-2010، ص 113.

أحمد البكاي، أجوبة محمد بن محمود بن عمر بن أقيت...<sup>1</sup> وكثرة تأليف النوازل في هذه المنطقة راجع كما يرى الشيخ محمد المامي إن العمل عند الفقهاء ثلاثة: مطلق ومقيدان: فالمطلق وهو الفتوى الشاملة للحكم والمقيدان هما: المقيد بمدينة والمقيد بما بين العبد وربه.<sup>2</sup>

## 8- أدوار الفقهاء قبيل الاستعمار:

بعيدا عن أوضاع العامة التي سبق لنا الحديث عنها، لا بد من الوقوف عند فئة متميزة في مجتمع غرب إفريقيا قبيل الاستعمار ألا وهي فئة الفقهاء وذلك من خلال الأدوار التي اضطلعت بها ومن خلال إسهاماتها في الحياة اليومية ومن خلال المكانة التي تبوأتها في مختلف مجالات الحياة.

## 8-1 الدور السياسي والإداري للفقهاء:

تبعاً لما أسلفنا من الحديث عن الأوضاع السياسية في غرب إفريقيا التي لم تعرف تنظيماً محكماً وفي نفس الوقت وجود دول قوية ومنظمة، إلا أن ذلك لا يعني حياة الهمج والسيية المطلقة، فقد برزت قبيلة كنته مثلاً كقوة قبلية ثقافية دينية وسياسية، حيث سيطرت على المنطقة الممتدة من شرق القبلة إلى تنبكت، ولعبت دور الوسيط بين ضفتي الصحراء خلال القرنين 18 و19م وخاصة ما بين توات وأزواد. وذلك من خلال سلطانتها الروحية والدينية بفضل علمائها، وقد انتقل ذلك الدور إلى التأثير على المجال السياسي<sup>3</sup>. وقد ورثت قبيلة كنته هذالزعامة للطريقة للقادرية والمكانة الروحية عن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.

ويلخص الشيخ محمد الكنتي مدى اتساع نفوذ الطريقة القادرية ومكانة الشيخ المخترار الكبير السياسية والروحية في تمكن هذا الأخير من تجميع كيانات سياسية متنافرة، مثل أمير برنو وما والاها محمد الباقر الذي راسل الشيخ ودخل تحت طاعته وولائه كما دخل تحت الطاعة علماء وأمراء الفلان وخاصة الشيخ عثمان وأخوه عبد الله وابنه محمد بلو، ودخل أيضاً تحت طاعته رؤساء الطوارق، والسودان

1 عبد الرحمن محمد ميغا: المرجع السابق، ج01، ص 83.

2 محمد المامي: المصدر السابق، ص 21.

3 جان هانويك: العلاقات الفكرية بين المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء عبر العصور، تر: أحمد الشكري ويحي أبو الفراح، معهد الدراسات الإفريقية، المغرب، 2015، ص29.

والبنابرة ورؤساء المغافرة وإدوعيش وأولاد الناصر، وعرب الصحراء، وأولاد محمد وعرب توات وغيرهم<sup>1</sup>. فقد كان شيوخ كتته ملوك من دون ممالك محددة، فمحمد الخليفة مثلا ربط صلات مع الامراء والسلطين ومنهم سلطان المغرب، وأمراء صكتو الشيخ عثمان وأخوه عبد الله<sup>2</sup> وأمير المؤمنين محمد بلو وتبادل معهم الرسائل والوفود، والاستشارات، ويمكن تفسير هذه العلاقات بأن فقهاء كتته كانوا بمثابة حكام احتياطين، يرجع إليهم في المهمات والقضايا الكبرى<sup>3</sup>.

وغير بعيد عن سلطة كتته كان مخيم الشيخ سيديا الكبير في بلاد شنقيط مأوى للكثير من الفارين في زمن الفوضى، فكان ملاذاً للمقهورين وحتى طالبي اللجوء السياسي الذين تُوفر لهم الحماية التامة بدخولهم في حرم الشيخ، وخصوصا أن تلك الفترة كما أسلفنا شهدت الحروب بين القبائل وحتى بين أفراد الاسرة الواحدة حول تولي الحكم<sup>4</sup>.

كان الإسلام ملهما للعديد من الحركات السياسية في غرب إفريقيا والتي كانت تصبو إلى قيام دويلات إسلامية وبالطبع كان الفقهاء هم العقول المدبرة لتلك الحركات وشكل الإسلام حافزاً ايديولوجياً ومنطلقاً لقيامها قبل النزعة القومية والقبلية، ومن أشهر تلك الكيانات إمامة بوندو في أعالي السنغال خلال القرن 17م، وماسينا شمال مالي وصكتو شمال نيجيريا في النصف الأول من القرن 19م، ودولة الحاج عمر وورثته في منتصف القرن 19م<sup>5</sup>. وقد تميز الفقهاء في غرب إفريقيا بالدراية والإطلاع على

1 عبد الكريم رفيق: "الطريقة القادرية الكنتية ودورها في تمتين العلاقات المغربية الافريقية"، الصحراء في العلاقات المغربية الافريقية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2015، ص 159.

2 ولد الشيخ عبد الله بن فودي بقرية مارتا صكتو شمال نيجيريا الحالية سنة 1180هـ الموافق 1766م، درس على يد والده ثم على يد الشيخ جبريل بن عمر، ورافق أخاه الأكبر عثمان في رحلاته لطلب العلم، ولازمه في كل تحركاته فكان ساعده الأيمن. ينظر أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 103 وأيضاً آدم عبد الله اللوري: المرجع السابق، ص 93.

3 حناني فردوس: المرجع السابق، ص 36-37.

4 بول مارتى: دراسات حول الإسلام في موريتانيا، تر: البكاي ولد عبد الملك، طرابلس، د.م.ن، 2009، ص 77.

5 عبد الودود ولد الشيخ: القبيلة والدولة في إفريقيا، تر: محمد بابا ولد أشفع، مركز العربية للدراسات، قطر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2013، ص 89-90.

أمور الإدارة سواء من خلال اقتباس تلك النظم من عند العرب والمسلمين أو من خلال أفكارهم الخاصة فمثلا في دولة صكتو انشئت الدواوين<sup>1</sup> وأقيمت المحاكم الشرعية، وكانت العربية هي لغة الإدارة الوحيدة.

## 8-2 الدور القضائي الفقهاء:

نظرا لأهمية القضاء في حياة المجتمعات كونه أحد السلطات الثلاث التي تحكم المجتمع، فقد حرص الأمراء والقادة في غرب إفريقيا على تنصيب قضاة في كل المدن ليفصلوا في قضايا الناس، ويفضوا النزاعات بناء على الشريعة الإسلامية، وكانت سلطات القضاة وصلاحياتهم واسعة ولهذا نالوا درجة عظيمة من الاحترام والتقدير سواء من الشعب أو من الحكام<sup>2</sup>. وهذا ما استوجب لهم المكانة العالية، وفي نفس الوقت أعطى حيوية للحركة الفقهية لمواكبة التطورات من خلال بحثهم عن حلول لما يحدث ويستجد من مشكلات ونوازل<sup>3</sup>. ونظرا لأهمية القضاء في حياة المجتمع فإن هذا المنصب لم يكن يتولاه إلا من حاز ناصية الفقه وكان له سعة اطلاعٍ خصوصاً على المذهب المالكي المعتمد في جميع نواحي غرب إفريقيا، ففي ولاته مثلا تولت أسرة المحاجيب هذا المنصب من خلال ستة قضاة وهذا التوارث كان يخضع لهيئة الحل والعقد، وهذا المنصب المشرف لم يكن يقتصر على ولاته، ولا على سكان مدينة معينة، فلربما يكون القاضي من خارجها مثلما حدث في تيشيت وودان، وأروان... أما في بعض الامارات الشنقيطية فلا نجد ذكرا للقضاة، حيث قامت السلطة القضائية على عصبية أهل العلم أو الزوايا كما يطلق عليهم في المصادر الصحراوية<sup>4</sup>.

## 8-3 مكانة الفقهاء الاجتماعية:

تميز المجتمع في غرب إفريقيا بسيادة النظام الطبقي حيث تباينت المكانة والطبقة الاجتماعية لمختلف شرائح المجتمع لعدة اعتبارات، ونظرا للدور البارز للفقهاء فقد حظوا بمكانة سامية في المجتمع

1 صالح محمد جمعة الأشو: "التعليم العربي في نيجيريا بين مؤامرات التدمير ومجهودات التعمير"، المعرفة، جامعة الإسلام سلطان شريف علي، بروناي، مج 16، نوفمبر 2019، ص 84.

2 عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 76.

3 عبد الرحمن محمد ميغا: المرجع السابق، ج 01، ص 68.

4 محمد مولاي: القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع الهجري حتى الثاني عشر هجري، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2018-2019، ص ص 101-103.

هم وعائلاتهم من خلال مختلف الأدوار التي اضطلعوا بها، فقد كانوا قبل الاستعمار قادة المجتمع حيث كانت لهم مكانة راقية في المجتمع الأهلي سواء في المدن أو البوادي لما لهم من دور في تذليل المشكلات الشرعية التي تنتج عن التعامل مع التجار الأوروبيين أو مع الوثنيين على التخوم السودانية شرقاً<sup>1</sup>. وقد نال الفقهاء هذه المكانة المتميزة بفضل كرمهم وتوسيعهم على الناس وخاصة العامة الذين يتوافدون على هؤلاء الفقهاء من أجل حل مشاكلهم، فكان الشيخ المختار مثلاً يبالغ في إكرام هؤلاء الوافدين رغم كثرة أعدادهم بل حتى يلومهم عند مغادرتهم ولا يتغير كرمه وضيافته مع طول إقامتهم سواء في أيام الشدة أو الرخاء<sup>2</sup>.

ومن ذلك أيضاً ما كان يقوم به الشيخ سيدي الاييري<sup>3</sup> من جهود في إصلاح ذات البين مثل تدخله في الصراع بين أولاد اييري وأجيبة سنة 1860م حين هاجم رجل من أولاد الفاللي بعض افراد قبيلة أجيبة على حين غفلة وقتل منهم 16 رجلاً، وتدخل الشيخ ودفع ديات القتلى والتي بلغت قيمتها 16000 من القماش الغيني. واستمرت تبعات الخلاف بين القبيلتين إلى زمن حفيد الشيخ المكفي سيدي باب حيث قام بدوره بالإصلاح بينهما في قضية التقاتل حول أبار المياه ( بوطلحاية وحسي العافية، وإعجكل) حين ادعت كل قبيلة ملكيتها لهذه الأبار<sup>4</sup>. وقد ورث الشيخ سيدي بابه مكانة متميزة عن جده فكان خليفة له في الإصلاح بين القبائل ونصرة المظلوم وإقامة العدل وإعانة الفقراء وحتى الإصلاح بين الامراء، في زمن السبية والفوضى التي طغت على البلاد، وهذا بفضل ما أوتيته الشيخ من فصاحة وقوة استحضر للشواهد وكرم أخلاق فكان وسم الشيخ على المشاية والأنعام

1 محمد عبد الله بن زيدان بن عالي البوصادي: تحريم نهب أموال المعاهدين للنصارى، تح: حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ص 26.

2 حناني فردوس: المرجع السابق، ص 138.

3 ولد الشيخ سيدي الكبير سنة 1770م - 1190هـ في منطقة القبلة جنوبي غربي موريتانيا وبالضبط امارة الترازة، تلقى معارفه الأولى في مسقط رأسه ثم رحل في رحلة علمية دامت 38 سنة أمضاها في حفظ القرآن وتجويده وعلوم اللغة والفقه ومطالعة مختلف الفنون وختم رحلته بالجلوس 16 عاماً في المحلة الكنتية. ينظر سيدي الكبير: رسائل الشيخ سيدي الكبير إلى الكيانات السياسية والمجموعات القبلية، تحقيق: محمد المختار ولد السعد، دار الاسراء للطباعة والنشر، 2020، ص 28-34. وأيضا يحي ولد سيد أحمد: ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكنتية، ج 01، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 124-126. وأيضا Paul

Marty: études l'Islam Maure, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1916, p08-09.

4 بول مارتى: دراسات حول الإسلام، المرجع السابق، ص 70.

أمان لها في الصحراء وهذا يدل على المكانة الرفيعة التي تبوأها الشيخ بين القبائل<sup>1</sup>. ومع منتصف القرن 19م كانت الزعامات الدينية وشيوخ الطرق الصوفية يحتلون مكانة عالية في المجتمع تضاهي مكان الارستقراطية المالكة، وقد كانت لهم سيطرة خاصة على الأرياف<sup>2</sup>.

كما كان للفقهاء دوراً صحياً وتحمداً في توليهم أمر العلاج خصوصاً إن الطب آنذاك كان يعتمد على الرقية فقد نقل الشيخ المختار مثلاً العديد من الرقيات الشرعية كالعلاج لسلم العقرب أو المعدة أو علاج القلب... فكثيراً ما كانت ترسم جداول مخروزة في جلد تعلق على صدر المريض أو في عضده، أو عن طريق قراءة بعض الآيات وفي بعض الأحيان توصيف بعض النباتات والعقاقير كدواء<sup>3</sup>. وقد اشتهرت المنطقة أيضاً بتعلم أسرار استخدام الجن لمعالجة بعض الامراض عن طريق تسخير بعض الأتباع وحتى الطلبة من الجن لقضاء بعض المصالح<sup>4</sup>. أما ممارسة الطب كفن متعارف عليه فقد كان يقتصر على التعرف على الامراض ومعالجة ظاهر الجسم عن طريق الأعشاب وهو ما يزال مستعمل لحد الآن في الأزواد<sup>5</sup>.

#### 8-4 دور الفقهاء في الحركات الإصلاحية:

عرفت الكثير من مناطق غرب إفريقيا في القرن 19م انتشاراً واسعاً للإسلام لكن الشعوب ظلت تحتفظ بالكثير من العادات المناقضة للدين، فلم تصلح عقيدة هذه الشعوب ولم تنتظم شعائرهم، وهذا ما دفع الكثير من الفقهاء إلى أن يتركوا الكتب والأقلام ويتقلدوا السيوف والرماح بل ويتركوا المدن ويسكنوا القرى من أجل الإصلاح، وقد قاد الشيخ عثمان بن فودي حركة إصلاحية ضد ملوك وأمراء بلاد الهوسا، ليتمكن من خلالها من تأسيس دولة مركزية في منطقة الهوسا على أسس إسلامية صحيحة

1 سيد محمد ولد محمد: فتاوى الشيخ سيدي بابيه من الاستعمار، مذكرة ماستر، التاريخ في المجالين الساحلي والصحراوي، جامعة نواكشوط، موريتانيا، 2015-2016، ص 11.

2 عائشة بومدين: "الصوفية والسياسة في السنغال، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل"، المركز الديمقراطي العربي، برلين، مج 01، ع 03، سبتمبر 2018، ص 288

3 محمد الصالح حوتيه: آل كتنه دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين 12 و13هـ، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008 ص 207.

4 محمد الخليفة الكنتي: المصدر السابق، و218.

5 محمد الصالح حوتيه: المرجع السابق، ص 209.

عرفت بدولة صكتو، ونظرا لهذا الدور الإصلاحية الذي قام به الشيخ والمؤلفات التي تركها هو وأخيه عبد الله وابنه محمد بلو والتي تزيد عن 300 مؤلف، فإن أبناء وحفدة الشيخ عثمان يحظون إلى اليوم بتقدير كبير لدى الشعب النيجيري حتى بعد فقدان هذه العائلة للسلطة السياسية<sup>1</sup>. وقد بدأ الشيخ عثمان إصلاحاته بالوعظ والإرشاد في أوساط العامة وكان شغله الشاغل هو الاهتمام بتوعية الناس والقضاء على العادات المبتدعة والدخيلة على الإسلام، أما الحكام فلم يلتفت لهم ولم يقيم بزيارتهم أو الاكتراث بشؤونهم أو مجالستهم<sup>2</sup>. كما قام الشيخ عثمان بالاتصال بالأمراء والعلماء التائبين على الصواب فدعاهم إلى الفهم الصحيح للإسلام وتصوره على حقيقته كما جاء من عند الله، وآثار دعوة الشيخ وإصلاحاته مازالت ماثلة في نيجيريا إلى اليوم وخاصة في المدن الكبرى مثل صكتو، زاريا وجص وغيرها<sup>3</sup>. وقد كان همُّ الشيخ القضاء على البدع والرجوع بالدين إلى ما كان عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا فلم يكن جهاده ضد الوثنيين وحدهم بل حتى ضد المرتدين المستهترين بالإسلام<sup>4</sup>. أما الشيخ المختار الكبير الكنتي فقد تجسدت سياسته للخاصة بالدلالة على الخير والنصح والإرشاد والتربية والرياضة والترقية، وبالنسبة للعامة فتجسدت في نوعين: المدارة، والنصح والملاينة تارة وأحيانا بالزجر والضرب والقهر والنهي وحتى القتل تطبيقا للحدود التي شرعها الله تعالى، فالسياسة تقتضي عادة نوعا من التجبر والتعظيم والتحجب، وعلى كل فالشيخ جمع مع ذلك حسن الخلق والمداراة والملاينة على حسب الحاجة وعلى ما تقتضيه المصلحة من غير مداينة<sup>5</sup>.

## 8-5 الدور الجهادي للفقهاء:

عرفت منطقة غرب إفريقيا العديد من الحركات الجهادية مثل حركة ناصر الدين الشمشوي، حركة المجيدري، عبد القادر كن والشيخ مالك ساي... فلم يقتصر دور الفقهاء في غرب إفريقيا على نشر العلم فقط، بل إن الكثير منهم شارك في حمل السلاح وقيادة المعارك، ومن ذلك الشيخ الحاج عمر

1 جون هانويك: المرجع السابق، ص 33-34.

2 عثمان برايم: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة، مصر، 2000، ص 104.

3 محمد أمان بن علي الجامي: الإسلام في إفريقيا عبر التاريخ، مطابع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، د.ت.ن، ص 32.

4 محاسن عبد القادر حاج الصباني: "جهاد الشيخ عثمان بن فوديو في غرب إفريقيا وجهاد السيد محمد عبد الله حسن في الصومال دراسة مقارنة"، الشيخ عثمان بن فودي، الندوة العالمية، جامعة إفريقيا العالمية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 19-21 نوفمبر 1995، ص 146.

5 محمد الخليفة الكنتي: المصدر السابق، و 130.

الذي يُجمع المؤرخون أنه حمل السلاح وقاد بنفسه 30 معركة وعمره قد تجاوز 58 سنة، كما أرسل 52 سرية خلال 12 سنة، وفي خضم هذه الحروب لم يتوقف قلمه عن الكتابة، فقد كتب أثناء حروبه أجود الأشعار وصنف العديد من الكتب<sup>1</sup>. وقد قاد الجيوش بنفسه في الغالب وخاض معارك على عدة جبهات أمام الوثنيين وأمام الفرنسيين بل وحتى ضد المسلمين بمهاجمته لإمارة ماسينا والقضاء على أميرها أحمد بن أحمدو لبو وأخيراً ضد الشيخ أحمد البكاي، وبهذا الجهاد استطاع الشيخ خلال فترة وجيزة تكوين دولة جهادية تضم رقعة كبيرة حول مجرى السنغال ونهر النيجر<sup>2</sup>.

قاد الشيخ عثمان بن فودي حركة جهادية وخاض معارك طويلة قادها بنفسه ضد ملوك بلاد الهوسا، وكانت شرارة الجهاد الأولى حين تعرض الشيخ لمحاولة اغتيال مما جعله يجند أتباعه وطلبته للقضاء على الملكية الظالمة القائمة على الضرائب والرشاوي والاستبداد واستغلال الطبقات الكادحة، كما أن الإسلام كان اسماً فقط عند هذه الممالك فهو مشوب بالوثنية والسحر والشعوذة والعادات البالية، مما حتم على الشيخ القيام بحركته الجهادية<sup>3</sup>. وقد أورد الشيخ محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور ذكراً وتفصيلاً لتلك الحروب التي خاضها الشيخ عثمان وسمّاها بالغزوات<sup>4</sup>، حيث كان معظم جيش الشيخ من طلبته وبعض الفقهاء الذين اقتنعوا برأيه، بينما عارض عدد كبير من الفلان هذه الحركة ومعهم بعض كبار العلماء ومن أبرزهم محمد الأمين الكانمي سلطان برنو<sup>5</sup>. وقد أسس الفقهاء الجيوش من غير تجنيد للنظاميين ولا المرتزقة بل من خلال طلبتهم ومريديهم فقط من أجل تحقيق أهدافهم. ومع مرور الأيام وجهود هؤلاء الفقهاء تكونت إمارات مستقلة على أطراف الممالك القديمة وفي مناطق جديدة نشروا فيها الإسلام، حيث سعت كل إمارة إلى تقوية نفوذها وبسط سيطرتها على أوسع رقعة ومجال<sup>6</sup>.

1 الحسن يروبي: "جهاد الحاج عمر الفوتي تال نظريا وتطبيقيا"، مجلة الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ع 20، 1998، ص 58.

2 مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وأثاره الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، 1998، ص 561.

3 عثمان برايم: المرجع السابق، ص 110.

4 محمد بلو: المصدر السابق، ص 205-262.

5 محاسن عبد القادر حاج الصابي: المرجع السابق، ص 152.

6 محمد شقرون: الإسلام الأسود، دار الطليعة للطباعة والنشر ورابطة العقلايين العرب، بيروت، 2007، ص 45-46.

## 8-6 المكانة الروحية للفقهاء:

انتشر الإسلام في غرب إفريقيا في الفترة المعاصرة بفضل الطرق الصوفية، مما جعل زعماء وقادة هذه الطرق يحظون بمكانة مرموقة تضاهي مكانة الزعماء السياسيين. ومن ذلك الطريقة القادرية التي توارث آل كنته قيادتها أباً عن جد نقلاً وإجازة عن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ففي عهد الشيخ المختر الكبير عرفت الطريقة القادرية انتشاراً واسعاً عن طريق تكوين مقدمين مهمتهم نشر الطريقة. وقد ألف الشيخ العديد من التصانيف أهمها ((الكوكب الوقاد)) كما صنف في أذكار القادرية وبهذا خلف ثروة كبيرة في علم التصوف تضم قصائد ومخطوطات ورسائل وأذكار متنوعة<sup>1</sup>. فكان الشيخ المختر الكبير كما يروي ابنه محمد الخليفة: " يرى إن علم التصوف ومعرفة علل النفوس وعلاجاتها وكيفية الأذكار وخلواتها بعد أحكام فرض العين أهم من كل العلوم وأولى بالتقديم في هذه الأزمنة التي استولت الغفلة والاعراض عن الآخرة وعلومها على العام والخاص...<sup>2</sup>". ولم تكن الطريقة التجانية أقل أهمية عن القادرية فقد خلف الفقهاء التجانيون مئات القصائد والرسائل والمخطوطات والأذكار.

## 8-7 دور الفقهاء في الحركة العلمية:

تبوأ الفقهاء مكانة عالية في مجتمعاتهم وذلك من خلال توليهم أمر التعليم والإجازات، فبعد أن يتعلم التلميذ بداية أبجديات القراءة والكتابة ويحفظ أجزاء من القرآن أو يجتّمه، والتي عادة ما تكون على يد النساء، ينتقل الطالب إلى مرحلة أخرى وهي الجلوس إلى المشايخ والفقهاء الذين يتولون مهمة تلقيه العلوم الشرعية كالفقه والأصول والنحو، فكان الفقيه يجلس في حلقة من عشرة أو اثنا عشر طالبا يلتفون حوله في حله، وفي بعض الأحيان حتى في أسفاره، يشرح لهم أمهات الكتب في كل فن من فنون العلوم المختلفة<sup>3</sup>.

كانت الإجازات العلمية بمثابة الشهادات الجامعية حالياً لما لها من وزن فقد كان طلبة العلم يحرصون على تحصيل أكبر قدر من الإجازات في مختلف الفنون، وكان الفقهاء يجيزون طلبتهم إما إجازات مطلقة أو مقيدة، وتعظم قيمة الإجازات المتصلة بالأسانيد، أما عن محتوى هذه الإجازات فهي

1 محمد الصالح حوتيه: آل كنته، المرجع السابق، ص 235-237.

2 محمد الخليفة الكنتي: المصدر السابق، ص 189.

3 حناني فردوس: المرجع السابق، ص 164.

تبدأ بعبارات الحمد والثناء على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم تليها عبارات مدح المجاز وتتناول أيضاً كل عبارات المودة والحب، ويتخللها أدب جم من المجيز حيث يعرب عن قصور علمه، وتختتم عادة بالدعاء للمجاز ونصحه بتقوى الله تعالى والاجتهاد في طلب العلم<sup>1</sup>.

أسس الشيخ المختار الكنتي زاويته في بولنوار<sup>2</sup> وهي تتولى تدريس جميع القادمين إليها من مختلف الجهات وبرنامجهما على غرار الجامعات التقليدية حيث يتدرج الطالب من التعليم القرآني إلى غاية التخرج كفقهاء متمكن ذو مستوى جامعي<sup>3</sup>. ونظراً لاتساع وانتشار قبائل كنته في المجال الصحراوي ما بين توات، الأزواد، فاس، موريتانيا... مما جعل فتاويهم وأحكامهم الشرعية ذات مكانة هامة ضمن مجال التشريع وذلك من خلال سؤال القاضي والداني عنها، ومن أبرز النوازل التي لاقت شهرة كبيرة نوازل الشيخ باي الكنتي (ت1927م) التي شملت العديد من المجالات وتنوعت مواضيعها وشكلت مصدراً لا غنى عنه لدراسة تاريخ المنطقة وموضوعاً للعديد من الرسائل الأكاديمية المعاصرة<sup>4</sup>. وفي بلاد الهوسا أقام الشيخ عثمان بن فودي نهضة علمية عظيمة شملت جميع الميادين وخاصة الجانب العلمي الذي كان ركيزة تأسيس الإمارة<sup>5</sup> حيث علت منزلة الطلاب والعلماء ونجبت مئات الفقهاء والعلماء الذين انتشروا في مختلف الأصقاع وهذا راجع لكون الفقهاء هم أهل الحل والعقد في دولة صكتو واستمر الأمر على ما هو عليه حتى احتلال الإنجليز. وعن هذا النجاح والنهضة الثقافية يقول الشيخ عبد الله بن فودي:

ومدارس أضنى بحب شهودها      فيها نجاح حوائج المتحوج  
وجحاح علماء يجلب رفدهم      كل كبحر في العطا متموج<sup>6</sup>.

1 الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 179.

2 بولنوار: تقع قرب قصر الشيخ، تبعد حوالي 340 كلم شمال مدينة قاو. ينظر مبارك جعفري: الأزواد خلال القرن 13هـ/19م دراسة تاريخية اجتماعية اقتصادية، دار الكتاب العربي، 2021، الجزائر، ص81.

3 عبد الرحمن محمد ميغا: المرجع السابق، ج01، ص 164-165.

4 محمد الصالح حوتيه: آل كنته، المرجع السابق، ص 205.

5 T. ABBOU, Usman Dan Fodio's Conception of Good Governance, Muslim Written Intellectual Tradition in Africa, Organised by the African Studies Association (ASAUUK, University of Birmingham, United Kingdom, 11 - 13 September, 2018, p001.

6 موسى عبد السلام: المرجع السابق، ص 98.

ولقد أسهم الشيخ عثمان في حركة التأليف حيث خلف ما يقارب من مئة مؤلف ما بين مقالة وكتاب، ولم يكن أخوه عبد الله ولا ابنه محمد بلو أقل شأنًا منه في هذا المجال من حيث عدد المؤلفات وتنوعها<sup>1</sup>. وما يدل على تطور التعليم في صكتو أن لوجارد عند احتلاله لشمال نيجيريا قدر عدد المدارس فيها بـ 20 ألف مدرسة يرتادها حوالي ربع مليون تلميذ<sup>2</sup>.

وفي إمارة ماسينا أسهم الشيخ أحمدو لوبو<sup>3</sup> في نشر التعليم والثقافة الإسلامية في مالي من خلال بناء المدارس القرآنية في المدن والقرى، وفرض دراسة القرآن إجبارياً على كل طفل بلغ السابعة من عمره، مما جعل نسبة الحفاظ للقرآن ترتفع في دولته كما كان للشيخ نفسه حلقة لتفسير القرآن في الجامع الكبير ب(حمد الله)، وتشير بعض الإحصائيات إن عدد العلماء في إمارة ماسينا جاوز 300 عالم، لكن للأسف تراث هذه الدولة ضاع أثناء الصراع مع دولة الحاج عمر الفوتي<sup>4</sup>.

وقد أشار الشيخ محمد بلو إلى منهاج وبرامج الشيخ عثمان في مجالسه العلمية وقسمه إلى خمسة أقسام: فالأول خاص بذكر ما فرضته الشريعة من أصول وفروع، والثاني الحث على اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، والثالث: رد الأوهام التي توهمها الطلبة في علم التوحيد للخروج من التقليد، والرابع: إخماد البدع الشيطانية ورد العوائد الردية، وأما القسم الخامس فقد تناول بث العلوم الشرعية وتحرير المشكلات والنوادر والغرائب<sup>5</sup>. وفي منطقة فوتا تاتور ركز الشيخ الحاج عمر في بدايته على إصلاح التعليم باعتباره الأساس الذي ينتج تحسين السلوك الخلقي للمجتمع، وكذلك الحياة الروحية والمادية،

1 علي يعقوب: "دور العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في غرب إفريقيا نموذجاً"، قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، لندن، العدد 03، ديسمبر 2008م، ص 19.

2 صالح محمد جمعة الأشو: المرجع السابق، ص 85.

3 ترجع أصول أحمدو لوبو إلى قبائل الفولان وقد تأثر تأثراً بالغاً بالشيخ عثمان بن فودي، ولد الشيخ أحمدو لوبو باري بن أحمدو بن أحمدو لوبو في قرية يوغنسيرو بماسينا سنة 1189هـ الموافق 1775م، بدأ تعليمه بمسقط رأسه ثم انتقل إلى مدينة جني ليتفقه على يد علمائها، وهناك اغترف من مختلف العلوم: فقه، أصول، العربية وآدابها، التاريخ. ينظر أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 201.

4 علي يعقوب: دور العلماء، المرجع السابق، ص 19.

5 محمد بلو: المصدر السابق، ص 169.

وفي نفس الوقت هو الأساس للفهم السليم للشريعة الإسلامية، كما اعتبر الحاج عمر تربية النفوس وتهديبها هو الضمان لها لتقبل الحكم الإلهي<sup>1</sup>.

اشتغل الفقهاء قبل الغزو الاستعماري بحركة التأليف والتصنيف في مختلف فنون العلم، وتميزوا بالإكثار في هذا المجال فمن ذلك ما خلفه الشيخ عثمان بن فودي فقد أورد الشيخ محمد بلو إن أباه قد ترك ما يزيد عن مئة مؤلف منها كتاب ((نور الاولياء))، ((عمدة البيان))، ((علوم المعاملة))، ((مرآة الطلاب))، ((إحياء السنة وإخماد البدعة))، ((سوق الصادقين))، ((وشفاء الغليل في كل ما أشكل من كلام شيخنا جبريل))، ((رجوع الشيخ السنوسي عن التشديد في التقليد))، ((مسائل مهمة))، ((الجهاد))<sup>2</sup>.... وقد خلف فقهاء دولة صكتو تراثاً عربياً مخطوطاً لا يقدر بثمن، مما أسهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تلك المملكة، وكمثال على هذه الحركة العظيمة في التأليف أن نانا أسماء<sup>3</sup> بنت الشيخ عثمان تركت لوحدها ما يزيد عن 37 مؤلفاً في مختلف الفنون<sup>4</sup>. ومن أبرز تلك المؤلفات ((تاريخ خلافة سوكتو))، ((تبشرة الاخوان بالتوسل بسور القرآن عند الخالق المنان))، ومن أشعارها مرثية عمها عبد الله بن فودي ومرثية المعلم البخاري<sup>5</sup>. وقد خلف عمها الشيخ عبد الله بن فودي ما يقارب 170 مؤلفاً في شتى الفنون ومن أبرزها: ((ضياء التأويل في معاني التنزيل))، ((كفاية ضعفاء السودان))، ((مفتاح التفسير))، ((سراج جامع البخاري))، و((ضياء السياسات والفتاوي

1 مهدي رزق الله: المرجع السابق، ص 562.

2 محمد بلو: المصدر السابق، ص 318.

3 أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي وارثة علم أبيها برعت في الشعر والتفسير وكانت تجيد الكتابة بالعربية والهوسا، اهتمت بتعليم المرأة الفلانية وخلفت عشرات المؤلفات أهمها: علامات القيامة كما أرخت لحياة والدها وأخيها محمد بلو. ينظر محمد سعيد قشاط: المرجع السابق، ص 40. ينظر أيضاً محمد خير رمضان: المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي، ط 02، دار ابن حزم، لبنان، 2000، ص ص 97-99.

4 أبو سليمانو: "نانا أسماء بنت عثمان بن فودي وإبداعاتها الفنية"، مجلة وميض الفكر، إتحاد الجامعات العربية، لبنان، ع 10، 2021، ص 48-49.

5 محمد خير رمضان يوسف: المرجع السابق، ص 98.

والنوازل))<sup>1</sup>... أما في الأزواد فقد شكلت خيام الكنتيين قبلة لطلبة العلم، ويقال: إن المخترار الكبير خَلَّف من الكتب بمقدار عمره 84 مؤلفاً، ومنهم من يوصلها إلى 312 مؤلفاً<sup>2</sup>.

### المبحث الثالث: استعمار منطقة غرب إفريقيا:

#### 1- مفهوم الاستعمار:

بالرجوع إلى معاجم العربية نجد إن كلمة استعمار مشتقة من كلمة عَمَّر يقال: أعمار المكان واستعمره فيه: جعله يُعمره.<sup>3</sup> ويمكن القول إن كلمة الاستعمار تتميز بكونها من كلمات الأضداد ففي اللغة العربية تفيد الكلمة الانتقال إلى العمران إلا أن الواقع يجعل من هذا الاسم يرمز إلى التخريب والدمار.<sup>4</sup>

أما المعنى الاصطلاحي لكلمة الاستعمار، فهو يطرح عدة إشكاليات، فقد عرف كوامي نيكروما (أول رئيس لجمهورية غانا المستقلة) الاستعمار في كتابه ((نحو تحرير المستعمرات)) ب: "سيطرة دولة على دولة أخرى واستخدام هذه الدولة المستعمرة قوتها الصناعية المتفوقة لإخضاع شعب آخر، واستغلاله اقتصادياً"<sup>5</sup>. وعرفه سعد بدر الحلواني في كتابه ((تاريخ إفريقيا الحديث)) ب: "تسخير إرادة الشعوب ومصالحها لصالح الشعب المستعمر وللسياسة التي ينتهجها بطريق الاستغلال"<sup>6</sup>. ويعرف الأستاذ زاهر رياض الاستعمار: "امتداد نفوذ لدولة ما إلى دولة أخرى، على أن يصحب هذا النفوذ استغلال للأرض والسكان لصالح الدولة صاحبة النفوذ"<sup>7</sup>. ويعرفه الدكتور فيصل محمد موسي: "قيام دولة بفرض سيطرتها الكاملة خارج حدودها على شعب دولة أخرى بدون موافقة ورضا أهلها"<sup>8</sup>. ومن أهم التعاريف الجامعة

1 أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 104-105.

2 علي يعقوب: "الفلاينيون الشعب واللغة"، المرجع السابق، ص 20.

3 الفيروز أبادي: المصدر السابق، ص 445.

4 أحمد شليبي: المرجع السابق، ص 417.

5 شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط 2، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، 2002، ص 45.

6 سعد بدير الحلواني: التاريخ الإفريقي الحديث، دار الكتب المصرية، مصر، 1999، ص 12.

7 زاهر رياض: استعمار إفريقيا، الدار القومية، مصر، 1965، ص 6.

8 فيصل محمد موسي: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الجامعة المفتوحة، بنغازي ليبيا، 1997، ص 157.

لهذا المصطلح نجد تعريف الأستاذ محمد عوض حيث عرفه بقوله: "العمل، أو مجموعة الاعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة، أو جماعة منظمة من الناس، على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم. أو على سكان تلك الأرض، أو على الأرض والسكان في آن واحد"<sup>1</sup>.

ويبقى السؤال المطروح هنا: هل النفوذ الاقتصادي والثقافي يعتبر شكلاً من أشكال الاستعمار؟ يرى الدكتور عبد الله عبد الرزاق إبراهيم والدكتور شوقي عطا الله الجمل في كتابهما ((تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر)) إن المشاريع الاقتصادية والثقافية إن لم تؤد إلى بسط نفوذ سياسي لا تعتبر نوعاً من الاستعمار، لكن إن اتخذت البعثات العلمية والدينية سبيلاً لبسط السيطرة فتعتبر لا محالة سبباً ممهداً للاستعمار<sup>2</sup>.

وجدير بالذكر أيضاً أن نقف عند مصطلح آخر مرتبط ومتداخل مع مصطلح الاستعمار لا ينفك عنه ألا وهو (الامبريالية) وهي كلمة غير عربية، تعود جذورها إلى الأصل اللاتيني Imperieum وتعني التوسع وبسط النفوذ السياسي الاقتصادي والثقافي. وبالرجوع للتاريخ فهي تعني: بسط دولة ما سلطتها بالقوة لتشمل شعوباً خارج حدودها الأصلية. وتعني حالياً بإيجاز التوسع الرأسمالي، أي أن الرأسماليين الأوروبيين أجبرهم منطق المنافسة عن البحث عن المواد الخام والأسواق الخارجية، فهي مرحلة من مراحل النظام الرأسمالي وعلاقتها بمفهوم الاستعمار أنها تمثل المفهوم العام للاستعمار أما الاستعمار فهو تجسيد الإمبريالية وترجمتها إلى واقع عملي<sup>3</sup>.

## 2- مميزات الاستعمار الحديث:

هناك بون شاسع بين الاستعمار التقليدي والحديث، فقد تميز الاستعمار التقليدي بالتدخل العسكري لتحقيق أهدافه وعلى رأسها نهب الخيرات واستغلال الشعوب والعمل على تشويه حضارة المستعمرات من خلال تشجيع الاستيطان وتهجير السكان الأصليين وإبادتهم<sup>4</sup>. أما الاستعمار الحديث

1 محمد عوض محمد: الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، ط4، دار المعارف، مصر، 1957، ص38.

2 شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص47.

3 محمد رماح عبد السلام مخلص، إبراهيم جابر السيد: تاريخ شعوب القارة الأفريقية، دار العلم والامان، مصر، دار الجديد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020، ص33.

4 فيصل محمد موسى: المرجع السابق، ص157.

فقد ارتبط بأعمال الدول المتقدمة، وعرف تطوراً في أساليبه، واستطاع هذا الاستعمار الوصول إلى أبعد البقاع دون حاجز بل ضم مناطق متفرقة، كما تميز الاستعمار الحديث بأن أضحى من متطلبات الشعوب لإرضاء النعرات القومية، وأهم مميزاته هو التنوع في أساليبه وطرق تغلغله من خلال الشركات، إغراق البلدان بالديون، عقد الاتفاقيات، الحصار وإيقاع الفتن...<sup>1</sup>

### 3-دوافع وأسباب الاستعمار:

يقسم الباحث سعد بدير الحلواني دوافع الاستعمار إلى عوامل طبيعية، نفسية، علمية عسكرية، دينية وعوامل اقتصادية<sup>2</sup>. لكن قبل الكلام حول هذه الأسباب والدوافع وتفصيلها يمكن القول إنه يمكن تقسيمها وتصنيفها إلى قسمين: أولها ذرائع ومبررات، والثانية دوافع وأسباب حقيقية غير معلنة، كما يمكن القول إن معظم الدوافع كانت مشتركة وفي نفس الوقت لا يمكن إنكار وجود دوافع خاصة بكل دولة. والمتأمل لدوافع الغزو الاستعماري يجد أنها متشابهة لدى كل الدول، فعلى حسب رأي الكثير من المنادين بهذا النشاط والغزو الاستعماري نهاية القرن التاسع عشر الميلادي نجد أنهم يصرحون بضرورة إيجاد مستعمرات خارج أوروبا تماشياً مع متطلبات العصر ونفس الادعاءات تقريبا هي التي خططت لنظرية التوسع الاستعماري<sup>3</sup>. ولنبدأ أولاً مع المبررات والذرائع:

### 3-1العامل الحضاري والإنساني:

يعتبر هذا الدافع أهم ما تدرعت به الدول الأوروبية وذلك من خلال ادعاء تفوقهم المدني والأخلاقي (العربي والحضاري)، وفي نفس الوقت صوّر الأوروبيون خريطة أفريقيا بأنها تفتقد لأي ثقافة، بل يميزها (الحياة البدائية): تجارة الرقيق وتقديم القرابين الإنسانية لمعبوداتهم فقط. ومن هذا المنطلق اعتبرت معظم الشعوب والحكومات الأوروبية إن لها رسالة حضارية وجب تصديرها نحو باقي الشعوب، فالبريطانيون كانوا يرون التوسع شكلاً من أشكال الكفاح من أجل الحياة، وهو مرتبط بالكرامة، أما فرنسا فقد صرح جول فيري إن التخلي عن كل إشعاع خارج أوروبا هو التنازل عن مستوى الدول

1 سعد بدير: المرجع السابق، ص 13-14.

2 نفسه، ص 14.

3 جلال يحيى: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 312.

العظمى، بينما ألمانيا التي لم تكن لها تقاليد استعمارية سابقة كونها دخلت متأخرة لساحة الاستعمار، فإنها أصرت على ضرورة تأكيد حيوية الدولة الألمانية<sup>1</sup>.

اعتقد الأوروبيون إن من واجبهم تغيير الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للشعوب المتخلفة<sup>2</sup>، لأن هذه الشعوب لا تستطيع حكم نفسها بنفسها وليست قادرة على النمو والاستفادة من الحضارة التي وصلت إليها الدول الأوروبية، ولهذا سيحتاجون إلى وصي وهذا يعني بذل جهد كبير في حياة التعليم والتدريب والصحة<sup>3</sup>. فمثلا سيسيل رودس كان يصرح بأن خير البشرية في سيطرة الجنس الانجلو ساكسوني، لكن هذا الادعاء من السياسيين والمتقنين الأوروبيين وجد من يرد عليه من الأوروبيين أنفسهم. خصوصاً بعد مرور سنوات وتقدم الأحداث<sup>4</sup>.

### 3-2- دعوى نشر الإنسانية:

وذلك من خلال تقديم الدول الاستعمارية نفسها على أنها محررة لا محتلة، وفي نفس الوقت تقديم الزعماء المحليين المقاومين على أنهم مجرمي حرب، فمثلاً جاء في مضمون الحكم الذي قرأه دو ترانتينيان الفرنسي على ساموري توري بعد استسلامه: "كنت أقسى الرجال الذين عرفتهم السودان، لم تتوقف خلال ما يزيد عن عشرين عاما عن قتل السود المساكين، لقد تصرفت كما يتصرف حيوان ضار، أنت وأولئك الذين كانوا أدوات جرائمك كلها...."<sup>5</sup>.

### 3-3 دعوى محاربة الرق:

أعلنت الدول الأوروبية مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي الحرب على تجارة الرق والتي كانت سائدة في العالم منذ القدم، فقد فاقت أرباح تجارة البشر جميع البضائع والسلع الأخرى، وكان السبق في تأسيس هذه التجارة للبرتغاليين لكن ما لبثت بريطانيا أن استولت على هذا الريادة، وفقدت إفريقيا من جراء هذه التجارة مئات الملايين من خيرة شبابها، حيث قُدرت الاحصائيات ما بين

1 جلال يحيى: المرجع السابق، ص 314.

2 فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص 161.

3 Ahmed Baba Miske: Op.cit, p87.

4 شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم: تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص 61.

5 هيلين دالميدا: المرجع السابق، ص 27.

1680 و1780م ب 40 مليون<sup>1</sup>. بينما يرجح الباحث الطاهر عبو نقلاً عن فيليب كيرتن وجون فيج إن هذه الأرقام مبالغ فيها، ولم يصل إلى الأمريكيتين من الأفارقة سوى ما بين 9 إلى 11 مليون<sup>2</sup>. ومع تصاعد مشاكل الأفارقة في المهجر بدأ التفكير في إلغاء نظام وتجارة الرق، وقد حمل الإنجليز لواء هذا التغيير حيث تمت المصادقة على قانون إلغاء تجارة الرق 1807م<sup>3</sup>، وشُرع في تنفيذه سنة 1808م، وتبعت الدول الأوروبية إنجلترا في المصادقة على المشروع ليتم الاتفاق على الغائه بصورة جماعية في مؤتمر فيينا 1815م<sup>4</sup>. ومع بداية القرن التاسع عشر كان لا بد من إيجاد بديل حيث حلت التجارة الشرعية legitimate trade محل تجارة الرقيق slave trade مما ترتب عنه بداية المواجهة بين الأفارقة والأوروبيين<sup>5</sup>. وبحجة محاربة تجارة الرقيق تدخلت وتسلمت الدول الأوروبية على إفريقيا<sup>6</sup>.

### 3-4 دعوى حماية المصالح:

بررت الدول الاستعمارية فرض الحماية على كثير من أجزاء إفريقيا بدعوى حماية مصالحها الإقليمية انطلاقاً من معاهدات أو حتى صكوك حصلت عليها من بعض الزعماء، فقد أبرمت فرنسا 220 معاهدة ما بين سنتي (1880 و1890م)، متفاوتة القيمة وفي الغالب من وقوعها لم يكونوا ملوكاً بالمعنى الحقيقي، إضافة لهذا فمن وقع عليها لم يكن يفهم معنى الحماية، أما الأعلام التي رفعها هؤلاء الأفارقة جهلاً ظنوا أنها هدايا لا تلزمهم بشيء ولهذا كثيراً ما استبدلوا علماً بعلم مما كاد أن يؤدي إلى حروب طاحنة<sup>7</sup>.

1 شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم: تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص 53.

2 Tahar Abbou: The Abolition Act of 1807: between Humanitarian and Economic Interpretations, مجلة المعارف

للبحوث والدراسات التاريخية، م 07، ع 04، جامعة الشهيد لخضر حمة، ماي 2022، ص 759.

3 A. Lacord: L'esclavage Africain, imprimait Paul Michel, dunkerque, 1989, p 13.

4 S.N. L'Afrique explorée et civilisée, la conférence anti esclavagiste de Bruxelles, <http://doi.org/10.5169/seals-133897>, p254.

5 إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 36.

6 أحمد شليبي: المرجع السابق، ص 445.

7 هيلين دالميدا: المرجع السابق، ص 22.

### 3-5 التدخل بحجة توفير الأمن:

يعتبر توفير الأمن من بين الأساليب التي اتخذها الاستعمار كذريعة لتدخله في غرب إفريقيا، وقد استغلت الخصومات التي كانت قائمة بين بعض الإمارات أو بين القبائل، والتي من خلالها سيلجأ أحد الخصمين إلى طرف ثالث لمساندته، مثلما حدث بإمارة الترازرة<sup>1</sup> بعد وفاة محمد الحبيب سنة 1902م حين اندلعت صراعات دامية بين أفراد أسرة الامارة فتدخلت فرنسا وأنشأت قاعدة عسكرية في المنطقة بعد طلب من الأمير أحمد سالم بن أعلي<sup>2</sup>.

تلك كانت أبرز المبررات والذرائع التي برر بها الاستعمار غزوه لغرب إفريقيا، أما الدوافع الحقيقية وهي تلك الدوافع الخفية التي لم تعلن عنها الدول الأوروبية صراحة، وهي التي تمثل الأسباب الحقيقية الكامنة والدافعة لهذا الغزو الاستعماري وهي دوافع اقتصادية، دينية، استراتيجية، نفسية وداخلية.

### 3-6-الدافع الديني:

تعود جذوره إلى الصراع بين المسلمين والمسيحيين في شبه الجزيرة الايبيرية، وأيضا الصراع الذي قاده الدولة العثمانية، والذي سماه الأوروبيون بالقرصنة البحرية<sup>3</sup>. وقد انغمست الحركات التبشيرية في العمل على نشر المسيحية والحضارة بين الأفارقة، واشتهر الكثير من رجال الدين كدعاة للاستعمار، وكثرت في كتاباتهم وأقوالهم الحديث عن الأبوية والإنسانية، ودور الرجل الأبيض الذي عبر عنه بالأب الأبيض White Father أو الأخ الأكبر Old Brother ومع مرور الزمن انكشف القناع إذ لم تكن البعثات التبشيرية سوى تمهيدا للاستعمار<sup>4</sup>. وقد أجمع الكثير من الباحثين على أن الإرساليات التنصيرية جزء من الاستعمار نظراً لاستحالة انفكاك أحدهما عن الآخر، هذا إن لم يكن التنصير هو الأصل

1 إمارة الترازرة: نسبة إلى تروز بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفرد مجموعة الترازرة الحسانية، تقع في الجهة الغربية من بلاد شنقيط بمنطقة القبلة، وأصبحت أهم وأقوى إمارة في المنطقة بداية من سنة 1630م. ينظر الحسين بن محض: تاريخ موريتانيا الحديث من دولة الامام ناصر الدين إلى مقدم الاستعمار، دار الفكر، نواكشوط، 2010، ص 45-46.

2 حمادو نور الدين: الشيخ ماء العينين القلطي ودوره العلمي والجهادي في الصحراء الغربية (1831-1910م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2020-2021، ص 187.

3 فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص 159.

4 شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق: تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص 50.

والاستعمار يزحف من ورائه<sup>1</sup>. كما أسهمت البعثات التنصيرية في الجانب الاقتصادي من خلال تشجيع السكان على زراعة المحاصيل النقدية (القطن، زيت النخيل، الفول السوداني، المطاط، جوز الهند...) وتشجيع التجارة تبعاً لاحتياجات الأسواق الأوروبية، لتكون بديلاً عن تجارة الرقيق<sup>2</sup>. واعتبرت هذه الحركة حلقة من حلقات الحروب الصليبية غير المعلنة، وقد أحسن ليبولد الثاني (ملك بلجيكا) استخدام هذا الشعور قبل أن يكشف أخيراً عن مشروعه السياسي.

### 3-7 دوافع استراتيجية:

ويتمثل في تسابق الدول الأوروبية من أجل الحصول على أفضل المواقع مثل طنجة، كيب تاون، القرن الإفريقي، خليج غينيا، ومختلف الجزر الساحلية. هذه المناطق المهمة في التجارة العالمية أسهمت في تكاليف وتسابق الدول الأوروبية عليها<sup>3</sup>. وتأتي أهمية هذه المواقع في السيطرة على نقاط ارتكاز بحرية من أجل ضمان أمن المواصلات، واستغلال هذه النقاط أيضاً مكاناً للتزود بالوقود وإصلاح السفن وكقواعد للعمليات وخصوصاً لدى الانجليز الذين امتلكوا إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس<sup>4</sup>.

### 3-8 دوافع داخلية:

يمكن تفسيرها بحالة القلق التي كانت تعيشها الدول الأوروبية ومحاولتها كسب نصر خارجي لضمان استقرارها الداخلي، وهذا العامل يتعلق بفشل سياسة الحكام الأوروبيين، ومحاولتهم التغطية على هذا الفشل والحد من الاحتقان الشعبي من خلال الاستعمار وكسب أمجاد على حساب الشعوب الضعيفة<sup>5</sup>. وقد انقسم الرأي العام الفرنسي مثلاً حول الاستعمار فالجمهوريون يرون ضرورة الالتزام

1 عبد الرزاق عبد المجيد الأرو: "التنصير في إفريقيا"، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ع 227، 2008، ص 35.

2 Tahar Abbou: British Colonial Policy and its impact on food self-sufficiency in the Gold Coast(1896-1957), Doctoral thesis in African civilization, English department, faculty of foreign languages, University of Oran 2, 2017-2018, p 82-83.

3 شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق: تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص 55

4 جلال يحيى: المرجع السابق، ص 315.

5 شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق: تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص 55.

بمبادئ الجمهورية "العدل، المساواة، الاخاء" وعدم التدخل في شؤون الآخرين، أما أنصار الملكية فيرون ضرورة إعادة الأجداد ونقل الحضارة الفرنسية للأمم الأخرى<sup>1</sup>.

### 3-9- عوامل نفسية:

وتتمثل في حب الظهور وشهوة العظمة، والسيطرة، والغيرة... فالدول كالأفراد يعترتها ويغلب عليها ويسيرها ويتحكم فيها أمثال هذه العوامل النفسية. فمثلا بالنسبة للفرنسيين فقد استأنفوا توسيع إمبراطوريتهم خصوصا بعد سنة 1871م للتعويض عن خسارة الألزاس واللورين، ولم تكن الدوافع الاقتصادية هي الغاية عند الفرنسيين بقدر ما كانت إرضاء لغرورهم وسمعة دولتهم التي كانوا يطلقون عليها أحيانا (فرنسا ذات المليون نسمة) وأحيانا (فرنسا الممتدة في بقاع العالم الخمس) ومرة (فرنسا العظمى) فكانت سُمعة بلادهم كدولة عظمى أكثر ما يعينهم، بل إن فرنسا وشعبها كانوا دائما مستعدين للخسائر المالية والبشرية حفاظاً على هذه الإمبراطورية<sup>2</sup>. ويسمي الباحث سعد بدر الحلواني هذا العامل بالدافع القومي حيث إن الشعوب بدأت تتباهي باتساع مستعمراتها وأصبح الاستعمار يمثل عزة للمستعمرين<sup>3</sup>.

### 3-10- العوامل الاقتصادية:

وهي أبرز الدوافع حيث انجر عن الثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا خلال النصف الثاني من القرن 18م الحاجة الماسة إلى المواد الأولية وفي نفس الوقت الحاجة إلى أسواق واسعة لتصريف فائض الإنتاج<sup>4</sup>. نتيجة استنزاف المواد الأولية وهجرة الفلاحين إلى المدن الصناعية وحدوث فائض كبير في الإنتاج الصناعي بحاجة إلى تصريف<sup>5</sup>. وبرز هذا العمل إثر انتقال مقاليد الأمور إلى طبقة التجار والرأسماليين، فقد تأسست الشركات الكبرى التي عملت على استنزاف الثروات النباتية والحيوانية والمعدنية... مما جعل البعض يُشبه الاستعمار بمضخة ماصة في المستعمرات كابسة في الدول الاستعمارية.

1 الهام محمد علي: المرجع السابق، ص 61.

2 زاهر رياض: المرجع السابق، ص 154.

3 سعد بدير: المرجع السابق، ص ص 14-16.

4 شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق: تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص 56.

5 فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص 160.

ولم يكن هدفهم يقتصر على المواد الخام المعروفة بل تعداه إلى البحث عن مصادر أخرى غير معروفة مثل اليورانيوم، وقد أتاح لهم تقدمهم العلمي والتكنولوجي الوصول إليها واستخدام الثروات المختلفة التي لم تكن تستعمل في وقت سابق<sup>1</sup>. وهذا بعد أن افتقرت أوروبا بفعل تنافس الإنتاج<sup>2</sup>.

كان الأوروبيون يرون إنه بدون أسواق جديدة ستعيش القارة أزمة كساد في ظل سرعة الإنتاج وهذا ما صرح به جول فيري: "الاستهلاك الأوروبي قد تشبع". ويرى بأن وجود طبقات جديدة هو صمام الأمان. وفي نفس الوقت كانت الحاجة إلى المواد الأولية تشكل محفزا لمعظم الدول الأوروبية<sup>3</sup>. فقد صرح جول فيري يوم 21 نوفمبر 1881 أمام مجلس النواب الفرنسي إن الثورة الصناعية أوجدت مشكلات عديدة أهمها إيجاد أسواق لتصريف الفائض الصناعي، ولذلك فإن سياسة الاستعمار سياسة ضرورية<sup>4</sup>. فمن بين ما أضافته الامبريالية للدوافع القديمة للسياسة الاستعمارية دافع الصراع من أجل البقاء<sup>5</sup>.

### 3-11- العامل الاستيطاني:

أرقت مسألة التزايد والانفجار السكاني العديد من الدول الأوروبية وشغلت أذهانهم، مما جعل المفكرين يعملون على فرض خيارات وحلول لهذه الظاهرة<sup>6</sup>. ولهذا حاولوا التخلص من الفائض السكاني من خلال الاستعمار باعتباره ضرورة قصوى للحفاظ على التوازن السكاني، بدلاً من هجرة زهرة شبابهم إلى دول أخرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية عملت هذه الدول على إيجاد مستعمرات مرتبطة بالوطن الأم. ورغم رفض شباب هذه الدول الهجرة إلى المستعمرات فقد عوضته بإرسال المجرمين والمعتقلين والباطالين والمشردين إلى المستعمرات رغما عنهم<sup>7</sup>. فبعض الدول كفرنسا وألمانيا إدعت ضرورة الاستعمار

1 ي. ساقلييف، ج. فاسلييف: موجز تاريخ إفريقيا، تع: أمين الشريف، دار الطباعة الحديثة، مصر، ص 42.

2 محمد رماح، إبراهيم جابر: المرجع السابق، ص 35.

3 جلال يحيى: المرجع السابق، ص 312-313.

4 إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 67.

5 ي. ساقلييف، ج. فاسلييف: المرجع السابق، ص 42.

6 فيصل محمد موسى: المرجع السابق، ص 163.

7 عبد الله عبد الرزاق، شوقي عطا الله: تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص 60.

لتصريف الفائض السكاني، إلا أن شعوب هذه الدول كذبت ادعاءات حكوماتها من خلال رفضها السفر للمستعمرات.

#### 4-أساليب الاستعمار لغزو غرب افريقيا:

تباينت وتنوعت أساليب وطرق غزو واحتلال غرب إفريقيا ما بين طرق سلمية وقمعية، وهذا من أهم العوامل التي ستحدد وتؤثر على الآراء والمواقف من هذه الظاهرة بالرفض أو القبول، سواء لدى الفقهاء أو عند العامة ومن أبرز تلك الأساليب التي انتهجها الاستعمار:

#### 4-1التحايل وعقد الاتفاقيات:

كان تقدم الفرنسيين في غرب افريقيا بطيء جداً حيث أبرموا معاهدات مع الحكام المحليين حتى يتيحوا لأنفسهم الوقت والفرصة ويكون لهم السبق في وضع اليد على هذه المناطق قبل غيرهم من الدول، بغية الاستحواذ على أراضي جديدة<sup>1</sup>. وأبرز ما تضمنته تلك المعاهدات إبرام الصداقة بين الطرفين، والتي من بين بنودها منع ومحاربة تجارة الرقيق، أيقاف الحروب بين القبائل وتأمين طرق المواصلات، وحرية التبشير المسيحي في طول البلاد وعرضها<sup>2</sup>.

#### 4-2شن حملات عسكرية:

يعتبر هذا الأسلوب آخر الحلول المطبقة نظراً لحرص الدول الأوروبية على سمعتها الحضارية، لكنها لم تتخل عنه في الغالب. فقد شنت فرنسا حروباً طاحنة انطلاقاً من قواعدها في السنغال والمحيط الأطلسي ضد كل من يعيق طريق تقدم قواتها في النيجر والتشاد وكل من يعيق اتصالاتها بين ممتلكاتها، فقد قاد فيديرب<sup>3</sup> حربين طويلتي الأمد ضد أحمدو شيخو من 1864م إلى 1893م، وقبله على أبيه

1 ي. ساقلييف، ج. فاسلييف: المرجع السابق، ص 60.

2 آدم عبد الله الالوري: المرجع السابق، ص 207.

3 الجنرال فيديرب: ولد بمدينة ليل الفرنسية في 3يناير 1818م من اسرة ميسورة الحال، دخل مدرسة البوليتكنيك وتخرج منها 1840م، تم نقله الى مستغانم بالجزائر حيث تالق من خلال اشرافه على العديد من المشاريع، عاد بعدها إلى فرنسا 1846م ليلتحق بوزارة الحربية والمستعمرات، وبرز نجمه في احتلال منطقة الاوراس وتخوم الصحراء. وفي سنة 1852 تم نقلها إلى السنغال ليحسد تجربته الاستعمارية على ارض الواقع. المصدر: عبد الله عيسى: مجمل تاريخ السنغال، المرجع السابق، ص 323-324.

الحاج عمر، وضد الإمام ساموري توري من الستينيات حتى استسلام الإمام 1898م.<sup>1</sup> كما قام القائد ارتشينارد Archinard باحتلال سيغو بالقوة في أبريل 1890م، رغم أنه كان بالإمكان احتلالها سلمياً وهذا لأن العسكريين كانوا يبحثون عن أمجادهم الخاصة<sup>2</sup>. وهذا الأسلوب كان الأكثر شيوعاً خصوصاً في المنطقة التي ندرسها، حيث كان تواجد المسلمين أكبر عائق في وجه الاستعمار بشهادة الكثير من المؤرخين الأوروبيين<sup>3</sup>.

#### 4-3 تأسيس الشركات:

كانت هذه الشركات بمثابة دول نظراً لما كانت تمتلكه من ميزانيات وعدة وعتاد وأسلحة، وبهذا مهدت كل شركة لبلدها الطريق، وضمنت لها السبق لأي منطقة، وكمثال على هذا فقد أسس البريطانيون سنة 1878م أربع شركات كبرى للملاحة في نهر النيجر هي: شركة الكسندر ميلر، شركة جيمس بينيكوك، شركة غرب إفريقيا والشركة المركزية الإفريقية وبعد عدة تطورات اندمجت الشركات وأصبحت تعرف بشركة النيجر الملكية من 1886م إلى 1899م. وهي التي سيكون لها الدور الأكبر في احتلال نيجيريا<sup>4</sup>.

#### 4-4 الارساليات التبشيرية:

واجه المبشرون المسيحيون في غرب إفريقيا في البداية صعوبات حمة تمثلت في وعورة التضاريس، تشتت السكان، وعدم اهتمامهم بالدين الجديد، حمى الملاريا<sup>5</sup>، الحمى الصفراء، الغابات الكثيفة. ولكن الاستعمار عرف كيف ييسر لتلك البعثات الطريق ويذل لها الصعاب. كانت البداية بتأسيس

1 هيلين دالميدا: المرجع السابق، ص 24.

2 Gouvernement général de l'Afrique Occidentale Française : Fête cinquantenaire du Soudan Français 1883-1933 Discours et Allocutions, Imprimerie du gouvernement général, 1984, p 91.

3 أحمد شلي: المرجع السابق، ص 475.

4 عبد الله عبد الرزاق، شوقي عطا الله: تاريخ افريقيا، المرجع السابق، ص 305.

5 في سنة 1847 اكتشف لقاح ضد الملاريا ويتمثل في تناول مادة الكينين Quinine وفي سنة 1854 عبرت مجموعة من البحارين أعالي النيجر حتى نهر بنوى دون أن يصابوا بالملاريا، وبهذا أصبحت أكر المناطق خطورة في افريقيا مفتوحة أمام الأوروبيين. كولين ماكيفيدي: أطلس التاريخ الافريقي، تر: مختار السويقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987، ص 186.

فروع لجمعية التبشير الكنسية من طرف اثنين من المبشرين أحدهما من البيض هو تاونزند Townsend والثاني من السود هو كروثر Crowther نجح هذا الفرع بنشر المسيحية في نيجيريا، كما تأسست جمعية (الآباء البيض للسيدة العذراء) برعاية الكاردينال لافيغري، ومما ساعد أيضاً في تحقيق النجاح تأسيس بعثات تبشيرية نسوية مثل (إرساليات الراهبات البيضاء)، (سيدة الرسل) و (الراهبات الزرقوات).<sup>1</sup>

#### 4-5 التجارة:

تعد التجارة أهم الأساليب التي استغلها الأوروبيون تمهيداً للاحتلال، فقد كانت السلع والبضائع التي يجلبونها مثل الأسلحة والأدوية ملفتة لأنظار الملوك والزعامات الدينية في غرب إفريقيا وحتى المواطنين مما جعلهم يتمتعون بحصانة وأمان كتجار مُصدِّرين ومستوردين.<sup>2</sup> عقدت فرنسا عدة اتفاقيات ومعاهدات مع الأمراء المحليين وذلك عن طريق دفع إتاوات وهدايا لهؤلاء الأمراء عن طريق وكلاء تجاريين لتنظيم عملية التبادل التجاري ومن أجل تأمين تجارتها والتي عادة ما كانت تتعرض لهجمات من طرف السكان المحليين.<sup>3</sup> وكان اكتشاف نهر النيجر أهم العوامل المساعدة على التوغل في داخل القارة من خلال تأسيس عدة مراكز تجارية وحرية على ضفتيه.<sup>4</sup>

#### 4-6 الدراسات والأبحاث العلمية:

ومن أبرز الأساليب التي ساعدت على توغل الاستعمار في غرب إفريقيا وهي تلك الدراسات التي قام بها مجموعة من الباحثين والأطباء وحتى العسكريين، وهذه الدراسات كانت مناسبة للاستراتيجية الاستعمارية كونها ساعدت في إضعاف الطرق الصوفية التي واجهت الاستعمار بكل قوة في البداية. ومن خلال تلك النتائج ربط الاستعمار علاقات ودية مع الشريان والعصب الذي يربط المجتمع ويوحده

1 هوير ديشان: الديانات في إفريقيا السوداء، ترجمة: أحمد صادق حمدي، المركز القومي للترجمة، مصر، 2011، ص 165-169.

2 محمد جوف: المرجع السابق، ص 100.

3 علي سعدي عبد الزهرة جبير: المرجع السابق، ص 178.

4 أحمد صوار: كفاف النيجر، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، ص 13.

في المنطقة ألا وهو الطرق الصوفية.<sup>1</sup> وتجسد عمل الجمعيات العلمية من خلال جمع معطيات اجتماعية واقتصادية واثنوجرافية على المنطقة مثلما فعل كابولاني<sup>2</sup> في منطقة موريتانيا فقد قام بدعاية كبيرة ركز فيها على مبادئ الثورة الفرنسية وأخلاقها، ومما ساعده في مهمته إتقانه العربية ومعرفته لتعاليم الدين الإسلامي حتى ظنه البعض مسلم حقيقي، واستطاع بحنكته أن يقنع الكثير من القبائل بالتخلي عن المقاومة كما أقنعها بدفع الضرائب.<sup>3</sup>

#### 4-7 الإعلام والترفيه:

استغل الأوروبيون الثورة الإعلامية التي وصلوا إليها من خلال تطوير وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، والتي ساعدت على تغلغل الاستعمار والمسيحية على حد سواء في غرب إفريقيا بكل يسر، وعلى رأس تلك الوسائل الإذاعات التي أنشأها المستعمر إضافة إلى أشرطة الكاسيت والمجلات والجرائد ونوادي الشباب .... والتي كان لها تأثير إعلامي كبير على عقول الشباب الإفريقي الذي انبهر بها.<sup>4</sup>

#### 4-8 الجانب الصحي:

نظرا للوضعية الصحية التي كانت تعاني منها المنطقة نتيجة تأخر العلوم التجريبية فقد استغل المستعمر الأمراض الكثيرة التي يعاني منها الأفارقة، فقاموا بإرسال مجموعة من الأطباء والمرضىين يجوبون القرى والأرياف من أجل نشر الفكر المسيحي من جهة والتحضير للاستعمار، وكذا جمع المعلومات

1 زاوي خديجة: "الكتابات الكولونيلية حول التصوف الطريقي"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة أم البواقي، الجزائر، مج 04، ع 02، 2015، ص 281.

2 كزافيي كابولاني: نشأ في الجزائر وهناك تعلم اللغة العربية وتخصص في دراسة الطرق الصوفية، وهذا ما جعله يروج لفكرة التسامح مع المسلمين، وتم تكليف كابولاني بأول مهمة في بلاد البيضان سنة 1899م من طرف الحاكم العام الفرنسي في الجزائر. ينظر الحسن بن محض: المرجع السابق، ص 272. وأيضا G-M. Désiré Vuillemin: Cappelani en Mauritanie, revue d'histoire des colonies, tome 42, n 148-149, 1955; p 292-302. Paul Trouillet: l'ouvre de la France en Mauritanie, La .Dépêche coloniale illustrée, n 03, Paris, 15 février 1906, p 25.

3 المختار ولد محمد: المرجع السابق، ص 88.

4 العربي غاتم: "الكنيسة والاستعمار الأوروبي لإفريقيا جنوب الصحراء"، مجلة أفاق علمية، جامعة تلمسان، الجزائر، مج 13، ع 04، 2021، ص 36.

وقد أعدت الدول الاستعمارية لهذه العملية الكثير من الأموال والتي تجسدت في بناء مجموعة من المستشفيات والمستوصفات لنفس الغرض<sup>1</sup>.

## 5- مؤتمر برلين<sup>2</sup>:

### 5-1 دوافع انعقاد المؤتمر:

لقد كانت الحاجة إلى عقد هذا المؤتمر ملحة، ويمكن اختصار دوافع انعقاده في: أولاً نمو القوميات الوطنية في أوروبا وعلى رأسها ألمانيا التي عرفت الوحدة على يد بسمارك، والتي حاولت أن تجد لها مكاناً في الساحة الدولية، ثانياً: الأزمات الحادة التي تعرض لها الاقتصاد الأوروبي ما بين 1870م و1880م، حيث تراجعت السيطرة البريطانية بدخول منافسين جدد<sup>3</sup>، ثالثاً: التكاليف الاستعمارية على المستعمرات الإفريقية مما كاد أن يحدث حروباً، رابعاً: التنافس على منطقة الكونغو الشاسعة في قلب القارة والتي تحتوي على العديد من الثروات<sup>4</sup>.

### 5-2 قرارات المؤتمر:

عُقد هذا المؤتمر ما بين 15 نوفمبر 1884م و26 فبراير 1885م في العاصمة الألمانية برلين، وحضره ممثلوا ثلاث عشرة دولة هي: ألمانيا، فرنسا، بريطانيا، روسيا، إيطاليا، النمسا، المجر، الدولة العثمانية (كشاهد)، بلجيكا، إسبانيا، الدانمارك، البرتغال، هولندا، والولايات المتحدة الأمريكية. وبالنظر والوقوف عند مضامين المؤتمر نجد أن ميثاقه احتوى 38 مادة، وقعت عليها الدول المشاركة، وأهم هذه المواد هي ثلاث: أولها حرية التجارة وحرية الملاحة في حوض الكونغو. وثانيها الالتزام بحرية الملاحة في نهر النيجر. أما ثالثها وهي عدم إعلان الحماية من أي دولة على أي منطقة في القارة الإفريقية ما لم تكن هذه الحماية مؤيدة بوجود واحتلال فعلي<sup>5</sup>.

1 نفسه، ص 37.

2 Michael Crowder, West Africa under Colonial Rule (London: Hutchinson, 1968), PP62-63.

3 شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق: تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص 139-141.

4 جلال يحيى: المرجع السابق، ص 377.

5 تمام همام تمام: المرجع السابق، ص 129.

### 5-3 انعكاسات مؤتمر برلين:

يعتبر مؤتمر برلين أبرز نقطة تحول في حياة إفريقيا المعاصرة حيث حولها من قارة حرة إلى قارة مستعمرة، فمن خلاله عمل القادة والساسة الأوروبيين في منازلهم ومكاتبهم على التخطيط لاحتلال إفريقيا على خرائط غير دقيقة، وفقا لخطوط الطول والعرض بكل استخفاف دون مراعاة لأي اعتبار آخر<sup>1</sup>. وكان المؤتمر بمثابة الضوء الأخضر لاحتلال إفريقيا، حيث شرعت الدول الأوروبية بالسيطرة على القارة بشكل سريع، ورغم أنه لم يتم الاتفاق فيه على تقسيمات محددة، إلا أن المؤتمر حدد آليات الاستعمار حيث تم الاتفاق على إنشاء مناطق نفوذ في غرب إفريقيا لكل من فرنسا وبريطانيا وإسبانيا والبرتغال وبلجيكا وهذه الحدود التي تم الاتفاق حولها آنذاك هي الحدود الرسمية لدول غرب إفريقيا اليوم، بعد أن تم إقرارها من طرف منظمة الوحدة الإفريقية 1963م<sup>2</sup>. لقد كان مؤتمر برلين عملا دوليا لتنظيم السلب والنهب حيث اعتبر إن وضع اليد على أي منطقة لم تسبق لها دولة من دول المؤتمر يعتبر حقا وملكية، من دون أي اعتبار لسكان هذه المنطقة. بل يكفي أن تُعلم الدول الأوروبية الأخرى بهذا الاحتلال<sup>3</sup>. والأدهى والأمر إن هذا المؤتمر لم يحضره أي مندوب عن إفريقيا، واعتُبرت المعاهدات التي وقع عليها رؤساء القبائل دون إدراك لمعناها أو قيمتها أصولا لمعاهدات الحماية أو الاستعمار<sup>4</sup>. فقبل مؤتمر برلين لم يتوغل الأوروبيون سوى أميال قليلة في غرب إفريقيا، ولم يتعد وجودهم هناك سوى بعض المعاملات التجارية. ولم تسيطر فرنسا قبله سوى على السنغال واكتفت بريطانيا بساحل الذهب<sup>5</sup>.

### 6- الصراع بين الأوروبيين في غرب إفريقيا:

رغم أن مؤتمر برلين قد قرر الخطط الكفيلة بالتوسع في إفريقيا إلا أن بعض الجزئيات والطمع اللامحدود كاد أن يؤدي إلى حروب في كثير من الأحيان، ولم يتم حل المشاكل نهائياً إلا عن طريق مجموعة من الاتفاقيات الثنائية. ففي غرب إفريقيا ورغم اعتراف الدول الأوروبية في مؤتمر برلين بمصالح

1 رولاند أوليفر وجون فيج: تاريخ أفريقيا، تر: عقيلة رمضان، دار الكتب المصرية، مصر، 2021، ص 103.

2 محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 159.

3 فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص 133.

4 إلهام محمد علي: المرجع السابق، ص 73.

5 رولاند أوليفر وجون فيج: المرجع السابق، ص 94.

بريطانيا في دلتا النيجر إلا أن فرنسا نافستها في المنطقة سواء في التجارة أو في مجرى النهر وحتى من أجل الحصول على المزيد من الأراضي، وكاد الأمر أن يصل إلى الحرب، مما جعل الدولتان تعقدان معاهدة ثنائية فأصبح لبريطانيا النيجر الأدنى وفرنسا النيجر الأعلى<sup>1</sup>. ومع انطلاق تقسيم إفريقيا بين القوى الاستعمارية كان معين القوة قد نضب وساد التخلف السياسي والاقتصادي، نتيجة بث بذور الخلاف فتفرقت الكلمة ووهنت الشعوب وانعدم التضامن بين الأفارقة، فصعب تأليف جبهة دفاعية معتبرة وموحدة، وهذا ما كانت تسعى إليه هذه القوى الأوروبية مما سهل مهمة الاحتلال<sup>2</sup>.

## 7 الغزو الاستعماري لغرب إفريقيا:

اكتست منطقة غرب إفريقيا أهمية بالغة لدى الأوروبيين مما جعلهم يتسابقون من أجل احتلالها، وقد أعطى مؤتمر برلين حلولاً من أجل تنظيم عملية الغزو ومن هنا بدأ سباق محموم من أجل الظفر بأغنى المناطق وبأكبر مساحة من الأراضي.

### 7-1 التوسع في منطقة السنغال:

شرعت فرنسا في احتلال السنغال بداية من سنة 1637م ومما زاد من أهمية هذه المنطقة هو رواج التجارة الاطلنطية حيث أصبحت السنغال أهم المحطات والقواعد في تجارة العبيد، أما الاحتلال العسكري الفعلي للسنغال فقد كان بداية من سنة 1816م ولم تتخل فرنسا عن السنغال لأهميتها في المنطقة رغم كل الظروف التي مرت بها من ثورات وحروب ولعل هذا يفسر لنا تجنيد فرنسا فيالق كاملة من السنغاليين خاضوا معها الحرب العالمية والحروب الأوروبية وحتى في المستعمرات<sup>3</sup>.

ويمكن القول إن المعاهدات والاتفاقيات سهلت وضع منطقة السنغال تحت السيطرة، ورغم ذلك فقد اتسم التدخل والتوسع الفرنسي في المنطقة بالوحشية والفظاعة فلم يُرحم شيخ ولا طفل ولا امرأة،

1 سعد حمد جمعة القطعاني: حركة التحرر في نيجيريا ضد الاستعمار البريطاني (1914-1960م)، رسالة ماجستير، التاريخ

الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة بنغازي، 2012-2013، ص 43.

2 ي. ساقلييف، ج. فاسلييف: المرجع السابق، ص 46.

3 أبو كروق الناصر عبد الله: "مقومات الثقافة السنغالية دراسة تطبيقية الإسلام والاستعمار"، دراسات إفريقية، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، ع 25، 2001، ص 167.

كما تم استباحة المدن وتقييد الأسرى والاستيلاء على الغنائم<sup>1</sup>. وقد أجمع المؤرخون على أن فيديرب Léon Faidherbe أول حاكم فرنسي جسد الاطماع الفرنسية في غرب إفريقيا من خلال نشاطاته التوسعية وشعار سياسته السلام أو الحرب peace or powder حيث أُجبر بعد تعيينه سنة 1854م القوى الوطنية على التعامل معه وإلا فالحرب<sup>2</sup>. وقد عمل فيديرب منذ تعيينه في غرب إفريقيا على تنفيذ سياسة شاملة لاحتلال المنطقة من خلال تجزئتها والفصل بين أقاليمها وشعوبها وتجسدت تلك السياسة في ست نقاط رئيسية: إنشاء مراكز تجارية على الضفة اليسرى لنهر السنغال، القضاء على المراكز القديمة التقليدية، القضاء على هيمنة الشناقطة من خلال وضع مملكة (الو) تحت الحماية الفرنسية، إقرار حرية الملاحة في النهر مع إلغاء الإتاوات، إلزام سكان الضفتين بالاعتراف بسيادة حكومة السنغال، وأخيراً الاهتمام بالسنغال الأعلى ليكون نقطة الارتكاز لغزو أسواق غرب إفريقيا<sup>3</sup>.

قبل سنة 1854م، لم تتعد المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا سوى جزيرة غوري وبعض المناطق المجاورة مثل ريفيسك (Rufisque) وجوال، وبورتدال، وسان لويس، وبعض المراكز التجارية الثانوية على ضفتي نهر السنغال التي لها أهمية اقتصادية<sup>4</sup>. وبعد تعيين فيديرب شرع في توحيد أجزاء المستعمرة مستخدماً القوة لضم الأجزاء الراضة للرضوخ لسلطة الفرنسيين. فقام باحتلال إقليم وال، سين سالم، كجور، فوتا تور. وبهذا وحد أرض السنغال تحت السلطة الفرنسية<sup>5</sup>.

كانت أولى الأعمال التي ركز عليها فيديرب التخطيط للفصل بين ضفتي نهر السنغال، فكتب بداية برسالة إلى زعماء الوالو يندرهم ويأمرهم بطرد البيضان من المنطقة، إلا أن قبائل الترازرة كما جرت العادة انتقلوا إلى الضفة اليسرى للنهر<sup>6</sup>، فشن فيديرب حرباً على مملكة والو بداية من 25 فبراير

1 ي. ساقلييف، ج. فاسلييف: المرجع السابق، ص 62.

2 إلهام محمد علي: المرجع السابق، ص 83.

3 عبد الله عيسى: مجمل تاريخ السنغال، المرجع السابق، ص 325.

4 عمر هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص 6.

5 محمد جوف: المرجع السابق، ص 99.

6 غاستون دوفور: تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق 17-1920، تر: محمد المختار ولد محمد، مكتبة القرنين 21/15، موريتانيا، 2012، ص 48.

1855م لمدة عشرة أيام استخدم فيها المدافع والسباهية وكل الأسلحة الحديثة وهدد سكان والو بحرق مزارعهم وديارهم إن عادوا للتحالف مع التراززة. كما أعاد الكرة عليهم في منتصف مارس بالهجوم على وسط والو، ليعلن في ديسمبر 1855م أن المملكة أصبحت منطقة فرنسية<sup>1</sup>. وفي نفس الوقت كان يرسل عن طريق البطاقات زعماء تلك المناطق للتقليل من التكاليف<sup>2</sup>. وبعد مملكة والو عمل فيديرب في نفس السنة على ضم مدينة باكل (عاصمة الصمغ)، لأنها ذات موقع استراتيجي، وثانياً من أجل فصل ممتلكات الحاج عمر في كارطا ودينجيراى. ومباشرة بعد الإعلان عن ضمها للممتلكات الفرنسية تم تعيين حاكم محلي عليها من طرف الفرنسيين ورفع علمهم. أما الخطوة الثالثة في مشروع فيديرب فكانت بعقد تحالف مع زعماء الخاسو يوم 30 سبتمبر 1855م، بشروط أملتها فرنسا ليتعزز الوجود الفرنسي خصوصاً ببناء قلعة وامتلاك مساحة كبيرة من الأراضي، ليصبح الفرنسيون هم أسياد الأراضي التي عليها منشآتهم، ولم يقف فيديرب عند هذا الحد بل عقد تحالفات مع الزعامات المحلية من أجل إنجاح مشروعه الاستعماري بأقل تكلفة ممكنة. كما استطاع بسط سيطرته في مدة قصيرة على السنغال الأعلى متبعاً سياسة الترهيب والترغيب في آن واحد<sup>3</sup>.

## 7-2 غزو الأزواد:

تأخر الدخول الاستعماري الفرنسي لحوض النيجر لعدة عوامل أبرزها الحواجز الطبيعية، شراسة المقاومة الإفريقية، وإعطاء فرنسا الأولوية للمناطق الساحلية، هذه العوامل مجتمعة أسهمت في وصول فرنسا إلى المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي<sup>4</sup>. وقد تولى مهمة التوسع في منطقة أعالي النيجر دييورد والذي اعتمد على القوة في توسعته حيث اعتقد أن العلاقات التجارية ومحاوله جذب الزعماء لن تجدي نفعاً، ولهذا عزم على استخدام القوة فقام في 09 يناير 1881م بمهاجمة قلعة مورجولا

1 عبد الله عيسى: مجمل تاريخ السنغال، المرجع السابق، ص 330.

2 أحمد التجاني الهادي: تحرير الأقوال في تاريخ السنغال، ج 01، دار المقطم للنشر والتوزيع، مصر، 2009، ص 122-123.

3 عبد الله عيسى: مجمل تاريخ السنغال، المرجع السابق، ص ص 234-236.

4 أحمد عباد: "موقف الاستعمار الفرنسي من المدارس القرآنية وشيوخ الصوفية في غرب إفريقيا"، الحوار المتوسطي، جامعة جيلالي لباس، الجزائر، مج 10، مارس 2019، ص 86.

Mourgoula ثم اتجه صوب بوريه Boure وسنكران Sankran وواسولو Wassulo الغنية بالذهب محاولاً تفادي الصدام مع التوكلور وبعث رسالة للإنجليز بأن المنطقة تابعة للنفوذ الفرنسي<sup>1</sup>.

كان تقدم فرنسا في المنطقة الغربية بطيئاً نظراً لقوة المقاومة التي واجهتها فلم تستطع الوصول إلى أعالي النيجر إلا سنة 1883م بعد التغلب على أحمدو حفيد الحاج عمر، وبعد وصولها إلى أعالي النهر والسيطرة على باماكو أرسلت الكابتن بورنيه Borgnis Debordes إلى الملك أحمادو الذي كان يسيطر على المنطقة بين النيجر والسنغال وعقد الطرفان اتفاقية سنة 1887م وُضعت بموجبها المنطقة تحت الحماية الفرنسية<sup>2</sup>.

كانت مدينة تمبكت بتاريخها العريق حلم كل الأوروبيين، وحتى اللحظات الأخيرة قبل احتلالها كانت محل صراع وتنافس بين البريطانيين والفرنسيين، فقد قام الإنجليز بمغامرة للوصول إليها عبر نهر النيجر، ولما فشلت تلك المحاولات، أقاموا سنة 1890م مركزاً لهم في كيب جوبي Cape Juby لكن الوقت كان متأخراً لأن القوات الفرنسية كانت قد تقدمت عن طريق السنغال بقيادة كولبرت، وفي سنة 1894م استطاعت القوات الفرنسية دخول المدينة وإجلاء الإنجليز من كيب جوبي<sup>3</sup>. وأوكلت فرنسا مهمة الاحتلال في البداية للعقيد بونيه ثم للعقيد جوفر لكن شدة مقاومة الطوارق وتوفر الحماية الطبيعية للمدينة بوجود البحيرات والمستنقعات كل هذه العوامل أعاققت تقدم الفرنسيين<sup>4</sup>.

### 7-3 احتلال بلاد الهوسا:

وصل البرتغاليون شواطئ نيجيريا منذ القرن 16م، لكنهم لم يلبثوا أن تخلوا عن الدور الريادي في المنطقة للإنجليز، وبعد إلغاء تجارة الرقيق 1807م لجأ الإنجليز إلى أنشطة تجارية أخرى، وكانت لاغوس محل اهتمامهم لموقعها الاستراتيجي، فوجهوا نحوها حملات عسكرية وتم إخضاعها سنة 1862م، ثم زحفوا نحو الشمال شيئاً فشيئاً<sup>5</sup>. وبهذا أقر مؤتمر برلين منطقة نيجيريا للتاج البريطاني،

1 تمام همام تمام: المرجع السابق، ص 119.

2 رياض زاهر: المرجع السابق، ص 158.

3 فليكس دييوا: تمبكت العجيبة، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2003، ص 299.

4 Mgr A. Hacquard : Monographie de Tombouctou, société des études coloniales et maritimes, Paris, 1900, p p 73-80.

5 بابكر حسن قدرماري: دولة نيجيريا، فال للإعلان والطباعة، الخرطوم، 1986، ص 03

ووفقاً لهذا قامت الشركة الملكية البريطانية بداية من سنة 1886م ببسط نفوذها التجاري الحصري على المنطقة، وظلت تمارس نشاطها حتى سنة 1900م حيث تحولت المهمة إلى قوات حدود غرب إفريقيا بمرسوم حكومي، وعهدت الحكومة البريطانية بهذه المهمة إلى أحد مهندسي وبناء الإمبراطورية في غرب إفريقيا ألا وهو اللورد فريدريك لوجارد<sup>1</sup> الذي سيستخدم كل الوسائل الشرعية والمحرمة قانونياً من أجل إسقاط الخلافة الإسلامية في صكتو سنة 1903م<sup>2</sup>.

عملت بريطانيا على إخضاع بلاد اليوريا بواسطة المبشرين والقناصل وأخضعت مناطق الشمال بواسطة الحكومة والشركة الإفريقية الوطنية، فزوجت بين الأسلوب السلمي والقمعي، فالشركة السالفة الذكر استطاعت اختراق مملكتي ايلورين ونويه، وقرر أمراء الممالك الدفاع عن ممالكهم ما عدا أمير زاريا، أما أمير صكتو فقد أجاب الحاكم البريطاني على رسالته سنة 1902م: "ليس بيننا وبينكم من معاملات إلا ما يكون بين المسلمين والكفار وهو القتال، كما أمرنا الله سبحانه وتعالى". وتمكنت بريطانيا بحملات عسكرية من إسقاط كونتاغورا 1900م، أدامو 1901م، بوشي 1902م، كانو، بوروري وصكتو 1903م<sup>3</sup>. وقد كان للصراع بين الزعماء المحليين أثر كبير في نجاح مهمة لوجارد، كما أن خليفة صكتو أسهم في هذا النجاح خطأً من خلال امتناعه عن إرسال جيوش لمساعدة وإنقاذ إمارات دولته لعدم وجود جيش مركزي، وهذا ما سهل على البريطانيين مهمتهم فتقدموا رويداً رويداً حتى أسقطوا عاصمة الخلافة صكتو<sup>4</sup>.

1 السير فريدريك لوغارد هو مهندس سياسة الحكم غير المباشر والتي طبقتها الحكومة البريطانية على نيجيريا لشساعة أراضيها لتقليص النفقات الحكومية على الرسميين من إداريين وغيرهم.

2 عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار، المرجع السابق، ص 39-40.

3 ولاء سعيدة زماعة: الحركات الجهادية في إفريقيا بين التوسع والردود الدولية (دراسة حالة بوكورام 2000-2015م)، كلية الدراسات العليا، معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2018، ص 24.

4 عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار، المرجع السابق، ص 43.

## 7-12 احتلال بلاد شنقيط:

كانت الخطوة الأولى في احتلال بلاد شنقيط (موريتانيا)<sup>1</sup> كما أشرنا سابقاً هي الفصل بين موريتانيا والسنغال حيث عمل فيديرب على فصل ضفتي النهر، ووزع منشورين باللغة العربية يأمر فيهما باحترام الحدود الفاصلة بين البيضان والسودان على اعتبار أن النهر حد وضعه الله يجب احترامه، جاء في المنشورين: " ألم ير محمد الحبيب (أمير الترازو) أن الله أجرى النهر، وجعله حاجزاً وفاصلاً وحداً بين البيضان والسودان، فلا بد من احترام حدود الله"<sup>2</sup>. وقد خاض فيديرب حروباً كثيرة من أجل اسقاط سلطة الترازو<sup>3</sup> وايدوعيش<sup>4</sup> والبراكنة<sup>5</sup> على بيضان الضفة الجنوبية<sup>6</sup>.

وفي الحقيقة إن بلاد شنقيط من أوائل بلدان إفريقيا اكتشافاً ومن أواخرها استعماراً فهي لم تجتذب الاستعمار في البداية على أساس أنها منطقة صحراوية، وكان احتلالها بدرجة أولى لضمان سلامة جيرانها وللسيطرة على مساحات واسعة، ولضمان الوحدة الإقليمية لغرب إفريقيا الفرنسية لا أكثر<sup>7</sup>. ويعود الفضل في احتلال بلاد شنقيط إلى كزافيي كابولاني الذي كان أول المفوضين للحكومة العامة الفرنسية

1 ظهر اسم موريتانيا والذي يعني تراب البيضان في بعض التقارير الفرنسية بصفة عرضية، فقد ذكر هذا الاسم المستكشف رافنل Raffenel سنة 1844م، كما أورده الرائد كاييه. وظهر الاسم بصفة رسمية في 27 ديسمبر 1899 ضمن قرار وزاري من وزارة المستعمرات الفرنسية بإيعاز من كابولاني. محمد المختار ولد السعد: الامارات والنظام الاميري، المرجع السابق، ص 21. وأيضاً يرجع اسم موريتانيا الى الكلمة اليونانية Mourous واللاتينية Mouritania وتعني السود، اما شنقيط فقد تأسست سنة 1123م في منطقة ادرار لتكون سوقاً تجارية وأدبية. وموريتانيا جسر يربط العالم العربي بإفريقيا. إلهام محمد علي: المرجع السابق، ص 57.

2 الحسين بن محنض: المرجع السابق، ص 267.

3 إمارة الترازو تنسب لتروز بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر بن أدي بن حسان وهي تقع في الزاوية الجنوبية الغربية من موريتانيا الحالية، ولم تعرف هذه الامارة حدوداً ثابتة لطبيعة الحياة البداوة السائدة في المجتمع البيضاني. محمد المختار ولد السعد: الامارات والنظام الاميري، المرجع السابق، ص 41.

4 إمارة إيدوعيش: تأسست في النصف الثاني من القرن 18م على يد اللمتونيين وهي الامارة الوحيدة في الأراضي الموريتانية غير الحسانية وعاصمتها تكانت. الحسين بن محنض، المرجع السابق، ص 141.

5 إمارة البراكنة: نسبة الى بركني بن هداج فهم أبناء عمومة الترازو، وتسيطر هذه الامارة على مجال جغرافي وبشري واسع تأسست في القرن 17م وتضم مجموعة كبيرة من العناصر البشرية المختلفة (حريون، زوايا، اتباع). محمد المختار ولد السعد: المرجع السابق، ص 85.

6 الحسين بن محنض: المرجع السابق، ص 267.

من أجل ضمان الحماية<sup>1</sup>. فبعد احتلال فرنسا للسنغال زحفت على موريتانيا سنة 1903م، وكانت البداية بإمارة الترارزة حيث استغلت فرنسا العداء بين الامراء بتغليب أحدهم على الآخر<sup>2</sup>. وكادت أن تصل إلى تاغنيت والأدرار إلا أن الشيخ ماء العينين واجهها ببسالة واستطاع استرداد الأدرار سنة 1906م وعين عليها حاكماً من قبله، كما عين الفرنسيون حاكماً من قبلهم على موريتانيا سنة 1907م، وظلت نيران الحرب مشتعلة مع الفرنسيين حتى اضطر الموريتانيون إلى الاستسلام النهائي سنة 1916م بسبب تفوق القوات الفرنسية في العدة والعتاد<sup>3</sup>.

استطاعت فرنسا بسط سيطرتها على الأقاليم الموريتانية باستخدام سياستين متميزتين الأولى ممثلة في دبلوماسية حذقة تجسدت في شخصية كزافيي كابولاني والثانية على النقيض من الأولى وهي استعراض واستخدام القوة مما أعطى نتائج ممتازة. فبالنسبة لنجاح الأسلوب الأول يرجع الفضل فيه لأهل الطالب أخيار وعلى رأسهم الشيخ سيدي الخير وابن أخيه الشيخ التراد الحضرمي وعن الأسلوب الثاني يمكن ذكر مجهودات النقيب سانسريك Sansaric حاكم أنيورو ضد إمارة مشظوف التي رفضت الطاعة ومن خلال هذين السياستين تحقق المرغوب في الفترة ما بين (1897-1912) وعموما لم تواجه فرنسا صعوبات حقيقية<sup>4</sup>.

#### المبحث الرابع: تنظيم وسياسة المستعمرات:

اختلفت الأساليب التي انتهجتها الدول الاستعمارية مع مستعمراتها مما سيكون له الأثر البالغ في مواقف الفقهاء والعامّة من قضية الاستعمار، وسنركز هنا على سياسة بريطانيا وفرنسا في إدارة مستعمراتهم.

1 Paul Painleve : La Mauritanie, Emile la rosse libraire, Paris, 1920, p 221.

2 غاستون دوفور: المصدر السابق، ص 65.

3 حمدي حافظ، محمود الشرقاوي: إفريقيا في طريق الحرية، دار القاهرة للطباعة، مصر، د.ت.ن، ص 70.

4 بول مارتي: القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تع: محمد محمود ودادي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2001، ص 14.

**1- علاقة فرنسا بمستعمراتها:**

تقوم السياسة الاستعمارية الفرنسية على الربط المباشر لمستعمراتها حيث يتم تعيين حاكم يتبع مباشرة وزير المستعمرات بباريس، وتحاول من خلال هذه السياسة خلق نخبة في مستعمراتها يتكلمون الفرنسية ويدينون بالمسيحية وتعطيهم صفة المواطنة من خلال التمتع بالحقوق وأداء الواجبات ككل الفرنسيين. وبعد قيام دعوات تحررية وافتضاح سياستها عملت فرنسا تدريجياً بعد عقد عدة مؤتمرات على التخلي عن هذا النظام<sup>1</sup>. فكانت تعتبر المستعمرات أملاكاً تابعة لها وجزء منها، وتعمل رويداً رويداً على دمجها في صلبها الوطني، وذلك من خلال بث نفوذها المعنوي وثقافتها بين السكان تمهيداً لإدماج هذه الشعوب في الوطنية الفرنسية، وذلك بالتقرب منهم وتدريبهم ومخالطتهم عن قرب<sup>2</sup>.

عملت الإدارة الفرنسية على تفريق الشعوب من خلال غزوها الثقافي للثقافات المحلية محاولة خلق نخبة ذات ثقافة فرنسية، تكون جسراً لمرور الثقافة الفرنسية لهذه الشعوب الإفريقية، لكن معظم الشعوب لم تستطع استيعاب هذه الثقافة مما جعلها تحرم من الحقوق. والحقيقة إن فرنسا كان هدفها القضاء على الثقافات المحلية والتقاليد الوطنية وصبغ هذه الشعوب بالصبغة الفرنسية<sup>3</sup>. ولهذا استغلت انعدام الوحدة من أجل القضاء على المقاومات الوطنية، فقامت بتسليح البعض دون الآخر وعملت على نشر الأكاذيب والتهم، كما دست الجواسيس فأشعلت الحروب بين الأهالي في البداية ثم حاربتها في مرحلة ثانية وبهذا أتيحت الفرصة للقضاء على المنتصر<sup>4</sup>.

**2- تسيير المستعمرات الفرنسية:**

قُدِرت ميزانية السودان الفرنسي لسنة 1899م ب 3203500 فرنك فرنسي وقدرت ميزانية الحكم الذاتي للسنغال العليا والنيجر الوسطى لسنة 1900م ب 3376835 فرنك<sup>5</sup>. ولم تتعد نسبة التبادل التجاري بين فرنسا ومستعمراتها 3% سنة 1955م، كما لم تتجاوز نسبة صادراتها إلى

1 فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص 210.

2 كامل مروة: المرجع السابق، ص 58.

3 عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي عطا الله الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 95.

4 محمد جوف: المرجع السابق، ص 100.

5 Gouvernement général de l'Afrique occidentale française : Territoires du haut- Sénégal Moyen- Niger 1900-1903, imprimerie Firmin Didot et Cie, Paris, 1903, p 21.

المستعمرات 5% من مجموع الدخل القومي، وقد قُدر مجموع ما أودعت في إمبراطوريتها ما بين 1945 و1956م ب 1400 مليار فرنك فرنسي راح معظمها في نفقات استهلاكية ومساعدات اجتماعية. وقد تميزت علاقة الدولة الفرنسية بهذه المستعمرات بكثرة الاتصالات حيث حرصت فرنسا على تعيين القناصل من أجل عقد المعاهدات والاتفاقيات مع رؤساء القبائل ومع الملوك الوطنيين. وقد رضي هؤلاء الزعماء بهذه المعاهدات مع فرنسا من أجل الحصول على السلاح<sup>1</sup>. وقد اعتمدت الإدارة الفرنسية في تسيير تلك المناطق الشاسعة على شيوخ القبائل الذين يعملون على تحصيل الضرائب، وينقلون أوامر القادة ويعملون على توفير الأمن داخل قبائلهم<sup>2</sup>.

### 3- السياسة الاستعمارية البريطانية:

ابتدع البريطانيون نظام الحكم غير المباشر تحت إشراف السير فريدريك لوجارد، ويعتمد هذا النظام على الزعماء المحليين الذين تكون سلطتهم اسمية، وينفذون بدقة أوامر الانجليز أصحاب السلطة الفعلية<sup>3</sup>. والهدف من هذا النظام الاعتماد على الحكام المحليين للتقليل من المصاريف، وتخفيض عدد الحكام اللازمين لإدارة هذه المساحات الشاسعة وأيضاً الاستفادة من النظم المحلية وتطويرها لتتلاءم مع شعوب هذه المناطق<sup>4</sup>. وقد تميزت أساليب الإنجليز في حكم مستعمراتهم بالهدوء والتؤدة فهو حكم غير مباشر، بحيث تركوا للمقاطعات التي احتلوها الحرية في نظام حكمها، واكتفى الإنجليز بتأمين المصالح الاقتصادية، لأنهم أدركوا من البداية أن المستعمرة لا يمكنها أن تُنتج إن لم يكن سكانها مرتاحين وحكومتها مستقرة وإدارتها موكلة إلى خبراء مهرة، ولهذا تركوا للأهالي أساليب حكمهم القديمة ولم يتدخلوا فيها، فهم يحكمون عن طريق الحماية من أجل نتائج مضمونة، لأنهم لا يستعجلون الثمار<sup>5</sup>.

1 زاهر رياض: المرجع السابق: ص 155-157.

2 Paul Painleve: Op.cit, p 222.

3 فيصل محمد موسي: المرجع السابق، ص 211

4 عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي عطا الله الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 95.

5 كامل مروة: المرجع السابق، ص 57-58.

## 4-تسيير المستعمرات البريطانية:

لم تكن الحكومات الاستعمارية تولي أي عناية للمستعمرات فقد كانت الميزانية المحددة لتسيير هذه الأقاليم المستعمرة ضعيفة لحد لا يوصف، فمثلا كلفت الحكومة البريطانية لوجارد بتسيير نيجيريا الشمالية بميزانية قدرت 100 ألف جنيه إسترليني، في حين أنه كان يسكنها حوالي عشر ملايين نسمة وبعملية حسابية بسيطة يكون جنيه واحد لكل 100 نسمة. وقد اعتمدت الإدارة الاستعمارية على الضرائب لتثبيت الحكم وتعويض نفقات الحرب لأنها أدركت حاجة السكان للسلم من أجل استمرار تجارتهم وأعمالهم، وتنخفض الميزانية المقررة للمستعمرة تدريجياً تبعاً لزيادة الدخل فيها حتى تصبح مستقلة مالياً<sup>1</sup>.

ومن خلال ما سبق يمكن القول:

- إن أوضاع غرب إفريقيا قبيل الاستعمار تباينت قوةً وضعفاً تنظيمياً وفوضى، عرفت تطوراً في بعض المجالات وتأخراً في أخرى، ولم تكن كما صورها الأوروبيون في كتاباتهم فوضى وتخلف.
- فرقت النعرات القبلية والطرقية السكان في المنطقة حيث قامت العديد من الحروب بين القبائل والامارات مما أثر على الأوضاع العامة، وأسهم في الضعف والتأخر.
- وحد المذهب المالكي فقهاء غرب إفريقيا حيث احتفظ بالسيادة لعدة قرون، حيث كان المرجع الأول منذ انتشار الإسلام في المنطقة، إلا أن تنوع الأزمنة والأمكنة ستجعل الفقهاء يختلفون حول العديد من الفتاوي والنوازل.
- حظي الفقهاء بمكانة سامية في المجتمع حيث أسهموا في كل مجالات الحياة، فكانوا صفوة المجتمع والمؤثرين الذين يرجع لهم في كل صغيرة وكبيرة، حتى في النواحي التي لم تعرف مدنية ولا تنظيمياً محكماً.
- عدم تحديد مفهوم الاستعمار بدقة، وما يتعلق بدوافعه الظاهرة والخفية وأيضاً تعدد أشكاله وتنوع أساليبه كل هذا سيجعل الآراء والمواقف منه متباينة.

1 رولاند أوليفر وجون فيج: المرجع السابق، ص 109-110.

-بعد تمكن الاستعمار من إحكام قبضته على المنطقة ستختلف سياسته من منطقة إلى أخرى مما سيؤثر حتماً على تباين الآراء حوله والمواقف منه.

وبناء على هذا سنحاول الوقوف على مختلف الآراء والمواقف من الاستعمار، وأدلة كل فريق سواء النقلية أو العقلية، مع عرض الآراء المخالفة أو الناقدة في نفس الوقت لكل رأي. وستتبع تأثر وتواصل فقهاء غرب إفريقيا مع معاصريهم من الفقهاء في المناطق الأخرى من العالم الإسلامي.

## الفصل الثاني: آراء فقهاء غرب إفريقيا في الجهاد

المبحث الأول: تاريخ الجهاد في غرب إفريقيا قبل الاستعمار

المبحث الثاني: المواقف المؤيدة للجهاد

المبحث الثالث: المواقف المعارضة للجهاد

المبحث الرابع: المقاومة السياسية والفكرية

المبحث الخامس: سياسة الاستعمار والطرق الصوفية في غرب

إفريقيا

نالت نازلة الاستعمار في غرب إفريقيا من الاهتمام ما لم تنله غيرها من النوازل خلال القرن التاسع عشر الميلادي، واختلفت آراء الفقهاء ومواقفهم منها ما بين داع للجهاد أو للمهادنة. فالجهاد أحد ركائز الدين الإسلامي والآيات والأدلة الواردة فيه صريحة واضحة، لا ينكرها ولا يعارضها مسلم، لكن يبقى الجهاد كغيره من الأركان له أقسام وقيود وضوابط، وله أساليب وألويات. ومن هنا سيقع الخلاف بين الفقهاء مما سيؤثر على المجتمع ككل لمكانتهم ومسؤولياتهم التي ذكرنا في توجيههم للأمة مراعاة للمقاصد والظروف والأحوال.

## المبحث الأول: ماهية الجهاد وتاريخه في غرب إفريقيا قبيل الاستعمار:

### 1- مفهوم الجهاد في الشرع:

جاء في لسان العرب لابن منظور إن الجهاد يعني المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء، وأيضا الجهاد هو محاربة الأعداء واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل<sup>1</sup>. أما كلمة الجهاد في الشرع فهي على معنيين: عام وخاص: فالأول: العمل بالإسلام والدعوة إليه والدفاع عنه بكل الوسائل والإمكانات سواء باللسان أو باليد من أجل إعزازه. والثاني: يراد به عند الفقهاء جهاد الكفار على وجه الخصوص لإعلاء كلمة الله تعالى<sup>2</sup>.

### 2- حكم الجهاد في الشرع والقانون الدولي:

كما هو معروف لدى الخاص والعام إن الجهاد واجب إسلامي مقدس جاءت به آيات القرآن وشرحته الأحاديث النبوية قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>3</sup> فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يبدأ الحرب إلا بعد التعدي عليه. والنصارى الأوروبيين في احتلالهم لغرب إفريقيا كما أسلفنا حاولوا التوسع باستخدام القوة، وبما أن القوانين الحديثة والقديمة قد أقرت حق الدفاع، ومن ذلك ما أقرته تشريعات الأمم المتحدة في المادة 51 من ميثاقها، فحق الدفاع الشرعي قد نصت عليه جميع التشريعات الداخلية للدول المتقدمة، فمن حق أي دولة الدفاع عن نفسها

1 أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور: لسان العرب المحيط، ج2، دار المعارف، مصر، 2008، ص710.

2 عبد السلام بن سالم بن رجاء السحيمي: الجهاد في الإسلام مفهومه ضوابطه وأنواعه، وأهدافه، دار النصيحة، المملكة العربية السعودية، 2008، ص29.

3 سورة البقرة: الآية 190.

بأي وسيلة كانت عندما يُهدد أمنها السياسي والاقتصادي. ويقر القانون الدولي حق أي دولة في استخدام القوة لصد عدوان مسلح يهدد سلامة إقليمها أو استقلالها السياسي<sup>1</sup>.

### 3- حكم جهاد العدو:

من المعلوم في الدين الإسلامي إن الجهاد فرض كفاية، لكنه قد يتحول إلى فرض عين في حالة ما كان البلد مهدداً باستيلاء العدو، وهو ما يسمى بجهاد الدفع. وقد نقل الحسن اليوبي عن قوانين (ابن جزري) إن العدو إذا فاجأ أرض المسلمين فإنه يتعين عليهم دفعه فإن أخفقوا تعين الجهاد على غيرهم من المسلمين. وهذه المسألة طرحت تقريباً لأول مرة في الغرب الإفريقي حين وُجِّه فيها استفتاء لعلماء وفقهاء المغرب سنة 1630م عندما احتل الإسبان عدداً من الحصون والقلاع المغربية، فتولى أبو عبد الله الفاسي (1580-1642م) الإجابة عن الفتوى وأكد على أن الجهاد فرض عين على من نزل العدو قريباً منه في مدينة أو قرية، ولا فرق في الحكم بين المناطق التي سقطت قديماً أو حديثاً بيد العدو، فالجهاد واجب على من عاصر الاحتلال زماناً ومكاناً ثم على الذين يلونهم زماناً ومكاناً<sup>2</sup>.

### 4- شروط الجهاد:

وضع العلماء مجموعة من الشروط الواجب توفرها في الجهاد الذي هو ذروة سنام هذا الدين كما جاء في الحديث النبوي الشريف: "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد"<sup>3</sup>. ومن أبرز الشروط وجود الإمام، الذي يكون خليفة لجميع المسلمين وتجب طاعته وليس الخاص بقطر من الأقطار، وهذا الإمام حالياً غير موجود، وهذا سبب الفوضى في كثير من الأحيان في العديد من بلدان الإسلام بدعوى الجهاد<sup>4</sup>. وقد سُئل الإمام مالك عن حُكْم العدو ينزل بساحة المسلمين، هل يقاتلونه أم يرجون إذن الإمام؟ فأجاب: إن كان الإمام قريب استأذنه، أما إن كان بعيداً باشرُوا القتال، وهذا رأي ابن قدامة أيضاً، حيث يرى إن جاء العدو فجأة لا يمكن أن ننتظر استئذان الإمام ولا يجوز

1 الحسن يرولي: المرجع السابق، ص 82-83.

2 الحسن اليوبي: المرجع السابق، ص 182-183.

3 احمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ج 10، المكتبة

السلفية، المملكة العربية السعودية، د.ت.ن، ص 264.

4 عبد السلام بن سالم: المرجع السابق، ص 79.

التخلف إلا لأهل الأعذار، ويتأكد هذا الأمر في حالة قوة العدو وشوكته، رغم أن الأصل استئذانه لأن أمر الحرب موكل له، فهو الأدرى بالعدد والعدة والأماكن وكيفية مواجهة العدو<sup>1</sup>.

## 5-دوافع وعوامل بروز الجهاد في غرب إفريقيا:

تُلخص الباحثة إلهام محمد علي بروز فكرة الجهاد في غرب إفريقيا إلى عدة عوامل أهمها: ارتباط بعض الزعماء الأفارقة بالأزهر الشريف مما جعلهم يتحمسون لنشر العقيدة، وأيضاً بروز المراكز الإسلامية في المنطقة مثل صكتو وحمد الله، كما كان لانتشار الطرق الصوفية مثل التجانية والقادرية والسنوسية الأثر البارز في تبني هذا الفكر، إضافة إلى قيام الزعماء الأفارقة بأداء فريضة الحج مما جعلهم يتأثرون بالفكر الوهابي، وقد أدرك الفرنسيون خطورة هذه الشعيرة وأثرها على تفكير الأفارقة<sup>2</sup>. والتأثر بالحركات الجهادية التي برزت في المشرق ودور الطرق الصوفية وحرص أتباعها على نشر الإسلام بين الوثنيين أهم الأسباب، كما يرى عطية عبد الكامل<sup>3</sup>. ومن الأسباب أيضاً ما كان يسود في غرب إفريقيا من تدهور للنظام العام، وفوضى وهتك للحرمت وغضبٍ وسلبٍ واسترقاقٍ إضافة إلى التعدي على الحريات وهضم حقوق الناس، وأكثر من هذا انتشار الشرك فما كان من العلماء أمثال الحاج عمر إلا التصدي والوقوف ضد هذه الهمجية والفوضى<sup>4</sup>.

## 6مصادر وكتب الجهاد:

من أبرز المصادر والتأليف حول الجهاد منذ القدم: كتاب الجهاد: لمحمد بن عيسى بن أصبغ، كتاب الجهاد: ابن حداد التهامي بن عبد القادر المراكشي، كتاب الجهاد لأبي بكر الباقلاني وأجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد<sup>5</sup>. ومنها ((تحفة الراغب في السعادة في الترغيب في

1 عبود بن علي بن درع: الإذن في الجهاد صوره وأحكامه، د.م.ن، د.ت.ن، ص60.

2 إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص37.

3 عطية عبد الكامل: "نماذج من حركات المقاومة الوطنية في السودان الغربي"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تبسة، الجزائر، ع 01، 2011، ص 170.

4 محمد جوف: المرجع السابق، ص 138.

5 بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير: مصادر الفقه المالكي أصولاً وفروعاً في المشرق والمغرب قديماً وحديثاً، دار ابن حزم، لبنان، 2008، ص 74.

طلب الشهادة)) لأحمد بن هاشم بن صالح الادريسي وكتاب ((غنية الانجاد في مسائل الجهاد)) لمحمد التهامي بن عبد القادر المكناسي. و((مهديه الحيارى إلى حكم من غلب على وطنه النصارى)) لمحمد بن حبت الغلاوي<sup>1</sup>. ولقد اعتنى فقهاء المالكية عناية بالغة بموضوع الجهاد فألفوا فيه العديد من الكتب والرسائل وقد أورد الدكتور محمد العالمي في كتابه الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي حوالي أربعة وأربعين مؤلف لفقهاء المالكية حول الجهاد عبر العصور ومن أبرزها في العصر الحديث: ثلاث مؤلفات للشيخ محمد بلو بن عثمان بن فودي وهي: ((الرباط والحراسة))، ((كفاية المهتدين في أمر المخلفين من المجاهدين))، ((جمع النقول في أحكام الغلول))، ومن المؤلفات أيضاً: ((رسالة في الاستعداد للجهاد)) لعلي بن محمد السوسي السملالي (ت1328هـ) و ((تأليف في الجهاد)) للتهامي بن عبد القادر الحداد (ت1336هـ) و((تنبيه العباد على فضائل الجهاد)) لمحمد بن عبد الرحمن بن يعيش التازي. و((تأليف في الجهاد)) للمختار السالم بن علي التندغي<sup>2</sup>.

وتمثل المؤلفات حول الجهاد في إفريقيا الغربية تراثاً ضخماً نظراً لعددتها الكبير، فقد بلغت مؤلفات الحاج عمر تال لوحده حول الموضوع ثلاثة عشر مؤلفاً، أما العائلة الفودية متمثلة في الشيخ عثمان وأخيه عبد الله وابنه محمد فقد تجاوزت 250 مؤلفاً حسب ما يذكره جوزيف كي زيربو ويمكن تسميتها ب: (أدبيات الثورة) نظراً لأهميتها في وصف الأوضاع السياسية والاجتماعية آنذاك من خلال توصيفها لتلك الدعوات الجهادية وأحوال أصحابها وأحوال دولهم<sup>3</sup>.

## 7-موضوع الجهاد قبل الاستعمار:

حظي موضوع الجهاد باهتمام كبير لدى علماء المنطقة حيث كثرت الرسائل في الموضوع لطول أمد الحروب، ومن أمثلة ذلك المراسلات الكثيرة التي دامت تقريباً حوالي ست سنوات بين الكانمي والشيخ عثمان بن فودي شملت عدة قضايا أبرزها مفهوم الجهاد وأسبابه ومن يحق فيه الجهاد... وتبادل

1 الطالب أخيار بن الشيخ مامين: الشيخ ماء العينين علماء وامراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، ج 02، ط 02، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2011، ص84.

2 محمد العلمي: الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، د.ت.ن، ص 386-387.

3 الأمد بوزيد: مدخل لدراسة المصادر التاريخية العربية الافريقية حول إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين 16 و19م، د.د.ن، تونس، 2020، ص228.

الطرفان الاتهامات حول الموضوع وهذا قبل دخول الاستعمار حيث اتهم الشيخ الكانمي الشيخ عثمان بعدم الالتزام بالأصول، فكان هذا الأخير يرد بنفسه أو يكلف أخاه عبد الله أو ابنه محمد بلو بالرد، ومن أهم المؤلفات كتاب الشيخ عثمان شفاء الغليل<sup>1</sup>.

كان الوجود الإسلامي في المنطقة أكبر عقبة واجهت الأوروبيين مع بداية التوسع الاستعماري في غرب إفريقيا، وهذا ما صرح به فيديرب Faideherbe حاكم السنغال حيث قال: "إنهم يندفعون نحونا كما لو كانوا يريدون الاستشهاد". ويرجع هذا لاعتبار المسلمين محاربة الزحف الأوروبي من أقدس أنواع الجهاد في سبيل الله وهو طريق لنيل الشهادة. ومما ساعد على الجهاد نجاح الزعماء في إثارة هذا الشعور ربما للحفاظ على ممالكهم أو من أجل تحقيق أطماعهم السياسية أيضا. ولقيت فكرة الجهاد صدى كبير في نفوس الشعب، فكان مجرد إعلان زعيم ما لهذه الأمر، يلقي التأييد بشتى الوسائل، وهذا ما يفسر استبعاد قادة الحركات الإسلامية السيادة الأوروبية أو حتى التعاون مع هؤلاء الغزاة<sup>2</sup>.

## 8- الحركات الجهادية في غرب إفريقيا قبل الاستعمار:

عرفت بلاد السودان الغربي عدة حركات جهادية بعد سقوط مملكة صونغاوي 1591م، كان الهدف منها تأسيس إمارات مستقلة أو توسيع دائرة الإسلام أو استعادة أجداد قديمة، ولم تكن هذه الحركات ضد الوثنيين فقط بل أن بعض الحروب نشبت بين المسلمين أنفسهم نتيجة لخلافات فكرية أو لمصالح شخصية ومن أبرز تلك الحركات الجهادية:

### 8-1 حركة الشيخ ناصر الدين:

نشأ الشيخ ناصر الدين وسط قبيلته شمشاوي وهي إحدى قبائل الزوايا نشأة إسلامية، فبعد أن نحل من علماء عصره، اشتغل بتعليم العلم الشرعي فكثر أتباعه،<sup>3</sup> وهذا ما جعله ينتقل لمرحلة ثانية وهي تأسيس إمارة بعد أن دعا أتباعه لمبايعته إماماً سنة 1078هـ/1868م، وعرف أتباعه باسم (التائبين)،

1 هارون المهدي ميغا: "المراسلات العلمية وأثرها التعليمي والدعوي بغرب إفريقيا"، قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، لندن، ع 03، ديسمبر 2008، ص 06

2 إلهام محمد علي: المرجع السابق، ص 38.

3 الشيخ الطيب بن عمر: السلفية وأعلامها في موريتانيا، دار ابن حزم، بيروت، 1995، ص 245.

أو (المرابطين الجدد)<sup>1</sup>. فأسس الشيخ مجلساً استشارياً وآخر قضائياً وكانت المرحلة الثالثة الدعوة إلى الجهاد ضد الوثنيين حيث بعث إلى ملوك فوتا والجولوف يدعوهم للدخول تحت طاعته. ولما لم يستجيبوا له اشتعلت الحروب واستطاع الشيخ بمؤازرة قبائل الزوايا إخضاع قبائل فوتا ثم قبائل الجولوف بالقوة لحكمه، ثم اتجه نحو قبائل الكايور سنة 1673م، لكن سرعان ما فشلت هذه الحركة خصوصاً بعد مقتل زعيمها سنة 1085هـ-1674م<sup>2</sup>. وسبب فشل هذه الحركة يعود إلى الصراعات الداخلية إضافة إلى معاداة الفرنسيين الذين أضرت الحركة بمصالحهم في المنطقة، ومعاداة قبائل بني حسان الذين رفضوا الدخول تحت سلطة مركزية منظمة<sup>3</sup>.

## 8-2 الجهاد ضد الوثنيين:

لو تأملنا معظم الحركات الجهادية في السودان الغربي قبيل الاستعمار نلاحظ أنها بدأت بمحاربة الوثنيين، حيث بدأت سلسلة الحركات من أجل تكوين مراكز سياسية إسلامية للتعريف بالإسلام في المنطقة، محاولة فرض نظام اجتماعي انطلاقاً من الشريعة الإسلامية<sup>4</sup>. ومن أبرز تلك الحركات حركة الشيخ عثمان بن فودي ببلاد الهوسا التي أشرنا إليها سابقاً، وحركة الشيخ صالح بن محمد جنتا (1236هـ-1820م) ببلاد اليوربا<sup>5</sup>. وفي ماسينا غرب إمارة الهوسا قاد أحمدو لوبو (ت 1256هـ-1848م) حروبا طويلة ضد ملوك البمبرا حتى تمكن من إخضاعهم. أما أعظمها فهي حركة الحاج عمر الفوتي الذي أعلن الجهاد سنة 1856م ضد الوثنيين متبعاً أسلوب العنف لتحويل الوثنيين إلى الشريعة الإسلامية، محاولاً ضم أكبر مساحة في غرب إفريقيا تمتد من حدود تمبكتو حتى حدود السنغال الفرنسية<sup>6</sup>.

1 الحسين بن محض: المرجع السابق، ص 17

2 مهدي رزق الله: المرجع السابق، ص 546.

3 الشيخ الطيب بن عمر: المرجع السابق، ص 251.

4 Victor Azarya: Traders and the Centre in Massina, Kong, and Samori's state, The international journal of African historical studies, vol 13, N 03, 1980, p 427.

5 مهدي رزق الله: المرجع السابق: ص ص 551-556.

6 عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار، المرجع السابق، ص 69.

## 8-3 الفتن بين المسلمين:

سبق لنا الإشارة إلى بعض هذه الحروب في بلاد شنقيط حيث كانت توجد قبائل محاربة تتقوى على غيرها، وقد قامت عدة حروب أهمها حرب (شربيه) والتي تعني حرب مانع الزكاة، وتذكرنا هذه الحروب بالجاهلية الأولى حيث كانت تقوم لأسباب تافهة إلا أن بعضها كان نتيجة لثمرة علمية اقتنع أصحابها بضرورة إقامة الدولة والحكم بشرع الله والدعوة إليه. وقد سماها الخليل النحوي بالحروب القبلية<sup>1</sup>. ومن أبرزها الحروب الطويلة التي قادها الحاج عمر الفوتي ضد إمارة ماسينا وضد الكنتيين حين شرع في التوسع نحو الشرق ومهاجمة إمارة سيغو الوثنية<sup>2</sup>، حليفة إمارة ماسينا الإسلامية، مما جعل أحمدو شيخو الماسيني يرسل قوات بقيادة عمه بالوبو لمساندة سيغو، وفي نفس الوقت أرسل الشيخ البكاي إلى البمبرا يعرض عليهم مساعدته<sup>3</sup>. وقد عرفت هذه الحروب تطورات منها: نهاية مملكة ماسينا وبعد ذلك مقتل الحاج عمر سنة 1864م على يد جيوش الشيخ أحمد البكاي. وخلال هذه الحروب وقبلها تبادل الطرفان عشرات الرسائل كلها حول الجهاد وشروطه. وقد جمع محمد الحافظ التجاني معظم هذه الرسائل والردود عليها في كتاب ((الحاج عمر الفوتي سلطان التجانية ما وقع بينه وبين أمير ماسينا))<sup>4</sup>. وخلاصة لما سبق يمكن القول إن الفقهاء في غرب إفريقيا تناولوا نازلة الجهاد قبل الاستعمار، وخاضوا فيها مطولاً حيث تبادلوا الكثير من الرسائل حولها، واشتد الخلاف حتى تحول إلى حروب، وبدخول الاستعمار إلى المنطقة تجددت هذه المسألة وطُرحت بقوة، وبهذا لم تكن نازلة الاستعمار سوى حلقة من حلقات ذلك الخلاف الفقهي الذي طال أمده.

1 الخليل النحوي: المرجع السابق، ص ص 101-105.

2 عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار، المرجع السابق، ص 76

3 مريم. لي تال: "ماسينا وامبراطورية التوردبه (تكرور) حتى عام 1878"، تاريخ إفريقيا العام، م 6، اليونسكو، 1996، ص 699.

4 محمد الحافظ التجاني: الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية في غرب إفريقيا شيء من جهاده وتاريخ حياته، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1995، ص ص 05-67.

## المبحث الثاني: المواقف المؤيدة للجهاد:

## 1- موقف الشيخ عثمان بن فودي (1754-1817م):

تعتبر كتابات الشيخ عثمان بن فودي مؤسس دولة صكتو المصدر الأول لفقهاء بلاد الهوسا تقريباً في كل المسائل الفقهية من خلال مؤلفاته المتعددة ، ففي مجال الجهاد خصص الشيخ حوالي عشرون فصلاً لشرح هذه المسائل في كتابه (بيان وجوب الهجرة على العباد) من الفصل 12 إلى الفصل 32، شرح فيها الشيخ ما يتعلق بأمر الجهاد من جميع النواحي، بداية بالحث على الجهاد، وفي هذا إشارة لموقف الشيخ من هذه المسألة، حيث يعتقد الشيخ بوجوب الجهاد وفرضيته، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ عَلَيْنَا الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسِيَ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسِيَ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>1</sup> وتتعين فرضيته كما يرى الشيخ على إمام المسلمين وعلى عامتهم إن فقد الإمام ، وفرضه على الكفاية فيما ذهب إليه الجمهور، وهو فرض عين إن كانت البلاد غير محمية ولم تكن الثغور مسدودة. ويتعين بثلاثة أمور أولها أمر الإمام والثاني عندما يفاجئ العدو بلاد الإسلام فيتعين عليهم جهاده لدفعه والثالث: من أجل إنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الكفار<sup>2</sup>. كما صاغ الشيخ شعراً مطولاً سنة 1804م حول هذا الموضوع، وشملت قصيدته التي وسمها ب: (شعر الجهاد)، (yimre jihad) 87 بيتاً، وقد كتبت بلغة الفولاني، يُعرف فيها الشيخ بالجهاد وأهميته وكل ما يتعلق بالغنائم ومعاملة الأسرى ومظهر المحاربين وما يتعلق بهذا الموضوع<sup>3</sup>. ويظهر أن الشيخ في مسألة الأسرى قد تأثر بأفكار وكتابات الشيخ أحمد بابا التمبكتي (1556-1627م) الذي رأى عدم جواز استعباد المسلم، وأن تقسيم الناس يكون على أساس الإسلام أو الكفر لا على أساس اللون<sup>4</sup>.

1 سورة البقرة: الآية 214.

2 عثمان بن فودي: بيان وجوب الهجرة على العباد ونصب الامام وإقامة الجهاد، تح: يوسف برنن تد، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، م 03، دار اقرأ للطباعة والنشر، نيجيريا، 2013، ص 71.

3 محاسن عبد القادر: المرجع السابق، ص 149.

4 Jean Schmitz : Jihad, Soufis et Salafistes ou les flux et reflux de l'émancipation Islamique (17-19 siècle), le Sahel Musulman entre Soufisme et salafisme, Karthala , Tunisie, 2023, p 39

## 2- موقف الشيخ سيديا الكبير (1777م-1868م) من الجهاد:

عقد الشيخ سيديا بن المختار سنة 1856م عند بئر تنوجة شمال بوتلميت مؤتمرا لزعماء قبائل التراززة، البراكنة، تكانت وأدرار من أجل حل الخلافات السياسية والعسكرية ومن أجل التخطيط لمواجهة الاستعمار الفرنسي، وبعثوا برسالة إلى سلطان المغرب محمد بن عبدالرحمن بن هاشم العلوي يطلبون تزويدهم بالمال والسلاح، إلا أن السلطان تعلق بكثرة المشاغل مما يمنعه من إرسال المال وكذا قلة السلاح والمدافع لديه، وبأنه يعمل على إنشاء مصانع لصناعة الأسلحة<sup>1</sup>. وقد قام الشيخ سيديا من أجل تحقيق مسعاه المتمثل في الوقوف أمام التواجد الأجنبي بالمنطقة بمحاولة لتصنيع البارود محلياً، ولا يزال المكان الذي شهد هذه المحاولة إلى اليوم يحتفظ باسم (( اعليب البارود ))<sup>2</sup>. كما قام الشيخ سيديا بدور كبير في الوقوف في وجه التوسعات الفرنسية في منطقة البراكنة من خلال إسهامه في تأجيج نار العداوة ضد الفرنسيين وقد شارك شخصياً كما يروي پول مارتي في كثير من الغارات ضد القوات الفرنسية ومنها في مخيم محمد سيدي في 06 جوان 1856م حيث نجح المقاومون في إفشال مهمة الحامية الفرنسية<sup>3</sup>.

## 2-1 رسالة الشيخ سيديا الكبير إلى سلطان المغرب:

أرسل الشيخ سيديا بن الهيبية رسالة إلى السلطان مولاي محمد بن مولاي عبد الرحمن يعلن له فيها عن البيعة والولاء وفي نفس الوقت يطلب منه إمداده بالكتب والمدافع والأسلحة، فرد السلطان عليه بجواب يوم الثالث من ربيع الثاني 1277هـ يمدح فيه الشيخ ويشكره على المبايعة ويطلب منه الدعاء، فعن أمر الكتب فقد اعتذر السلطان بكثرة الاشغال إذ لم يلتفت بعد لخزانة الكتب، وأما أمر السلاح والمدافع فقد اعتذر بقلتها، وأخبره أنه جاد في بناء مصانع لهذا الغرض وعندما تتوفر سيبيعت بنصيب منها للشيخ<sup>4</sup>.

1 سيدي احمد ولد الأمير: المجال الموريتاني... مقالات في التاريخ والثقافة، د.د.ن، قطر، 2015، ص 246-247.

2 محمدو محمدن أمين: "المقاومة الثقافية في موريتانيا من خلال مؤسسة المحضرة"، مجلة روافد، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، ع 17، 2012، ص 107.

3 پول مارتي: دراسات حول الإسلام، المرجع السابق، ص 53-54.

4 الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 36.

### 3 رأي الحاج عمر الفوتي (ت 1864م) في الجهاد:

تعد حركة الحاج عمر الجهادية من أعظم الحركات الجهادية في غرب إفريقيا، حتى أن اسم الشيخ قد اشتهر وارتبط بهذا الموضوع، وخصوصاً أنه خاض حروباً طويلة ضد الوثنيين والأوروبيين.

#### 3-1 تحضير الحاج عمر للجهاد:

بعد عودة الحاج عمر من الحج شرع في التأسيس لقيام دولته، فاختر مدينة ديجانكو في البداية مقرأً له، وبعدها بدأ بزيارة العديد من المناطق في فوتا تور من أجل كسب تأييد الزعماء المحليين، وجسّ نبض الإدارة الفرنسية، ففي سنة 1847م قام بزيارة سان لويس للوقوف شخصياً على أحوال التجارة الأطلسية وخاصة ما يتعلق بأمر الحصول على السلاح، ولكثرة المضايقات من الزعامات المحلية غير الحاج مقر أقامته سنة 1849م إلى مدينة دنجراي التي سينطلق منها جهاده. وكانت بدايات جهاده بالسيطرة على مراكز الذهب كمملكة كوفود ومنطقة البامبوك، وفي نفس الوقت محاولة استبعاد التدخل الفرنسي حيث سمح لهم بالاتجار في المناطق الخاضعة له مقابل تزويده بالسلاح<sup>1</sup>.

كانت رغبة الحاج عمر تأسيس دولة إسلامية تمتد من بلاد فوتو إلى صكتو بنيجيريا، إلا أن التواجد الفرنسي في المنطقة منعه من تحقيق حلمه، حيث قطعوا السبل بينه وبين موارده البشرية والمالية، مما جعله يعلن الجهاد ضدهم، لكن أمام التفوق العسكري الفرنسي سنة 1857م، ولى الحاج عمر وجهه نحو الشرق بعد أن يئس من جهة الغرب التي أصبحت تحت سيطرة الفرنسيين<sup>2</sup>.

#### 3-2 دعوة الحاج عمر للجهاد:

عمل الحاج عمر على الدعوة للجهاد والحث عليه في رسائله وخطبه شعراً ونثراً، ومن ذلك قصيدته التي بعث إلى أبناء فوتو تور يحثهم فيها على الجهاد حيث يقول:

بني فوت جيئوا مسرعين لسعدكم      تنالوا الذي قد نال قتلا من الخل

1 عبد الله عيسى: مجمل تاريخ السنغال، المرجع السابق، ص 364-365.

2 محمد المحجوب ولد بيه: موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، نواكشوط، 2016، ص 179.

بني طور سينا فيه كان أصولكم لأجل جهاد جئتموا فوت بالذأل  
 بني طور أصحابي خير وسادة وهجرتم لله خالــــقنا العدل  
 وهم جنود مولانا وحزب نبينا فاسعد بهم والكهل في ذلك كالسخل.  
 أجيئوا تنالوا فوق ما نال كل من أجاب سليمان الذي قام بالنبل  
 أجيئوا بإخلاص وحسن طوية ولا يصرفنكم شــــدة الأمر والشكل<sup>1</sup>.

### 3-3 شهادات حول جهاد الحاج عمر:

يقال الحق ما شهدت به الأعداء، فبسبب جهاد الحاج عمر أصبح الفرنسيون يعتبرون شعب التكرور أشد أعدائهم ويتعاملون معهم بحذر وعدم اطمئنان بل ويصفونهم في الكثير من تقاريرهم بالمتعصبين الدينيين Fanatiques<sup>2</sup>. وقد اختلفت الأقوال حول الحاج عمر ما بين المدح والذم، فقد قال عنه المؤرخ الفرنسي صوليه Soleillet: " إن الشيخ عمر الفوتي لم يحارب من أجل ثروة، أو جاه، أو ملك لأنه لو أراد السلطة، لكفته مناجم ذهب (تمبا، وكُفندي وبُوري) لبناء صرح ممرد من قوارير، ولكنه كان سيفاً سله الله ليدل به الكفار ويرفع به الايمان"<sup>3</sup>. وقال عنه فيديرب: " إنه كان ظالما طماعا مخرباً، لا يُبقي ولا يذر حياً أمامه، وأنه كان ينوي إنشاء دولة تمتد من المحيط الأطلسي إلى تخوم مدينة تمبكتو بمالي"<sup>4</sup>. وقال عنه أحد الضباط الفرنسيين: " لقد كان أكبر ممهد لمن أتوا بعده من الزعماء الإفريقيين الذين قاوموا على غراره الاستعمار الفرنسي لأنه كان يمثل الطموح والحماس الصوفييين..."<sup>5</sup>.

1 محمد جوف: المرجع السابق، ص133-134.

2 محمد المحجوب ولد بيه: المرجع السابق، ص 182.

3 Paul Soleillet : L'avenir de la France en Afrique, challmel ainé, Paris, 1876, p55.

4 محمد جوف: المرجع السابق، ص136.

5 زهرة مسعودي: الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م، مذكرة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2009-2010، ص 83.

### 3-4 رسائل الحاج عمر للحث على الجهاد:

مع بداية التوسع الفرنسي في غرب إفريقيا، أرسل الحاج عمر رسالة إلى سكان سان لويس سنة 1854م لمناهضة الاستعمار يدعوهم فيها للانضمام إلى جيشه يقول فيها: "الآن سنتحرك لكم بمشيئة الله، لا تنتظروا إقامة سِلمٍ مع طاغيكم. الجهاد واجب ضد كل من لا يؤمن بالله وبرسوله"<sup>1</sup>، وتحرك بجيشه نحو شمال نهر السنغال لكنه اضطر إلى الرجوع لما علم أن قواته لا يمكن أن تقف أمام وجه فرنسا لقلة العدة والعدد<sup>2</sup>. وكانت رسالة الحاج عمر لسكان سان لويس أكبر دعاية تهدد الفرنسيين مما جعل فيديرب يرحل بنفسه إلى باكل ليدرر موقف الحاج عمر، وتأكد لدى فيديرب إن الحاج عمر يريد الحصول على الضرائب وإنه يرفض إقامة القواعد العسكرية على أطراف النهر. فكتب إلى وزير المستعمرات في فبراير 1956 رسالة مفادها أن الحاج عمر ينظم ثورة ضدنا<sup>3</sup>.

### 3-5 رؤية الحاج عمر لحكم الاستعمار:

كان للحاج عمر رؤية مستقبلية تهدف إلى إقامة امبراطورية إسلامية عمادها الطريقة التجانية التي عمل على نشرها، ومن هذا المنطلق عمل على محاربة من خالفه حتى ولو كان مسلماً، وكان يرى أن الدين لا ينبغي أن ينفصل عن السياسة ولا يمكن إبقاء الدين بعيداً عن الدولة ودعمها، كما أنه لا فائدة من دولة لا يكون الدين أساسها، وهذا ما جعله لا يرضى بسلطة وحكم غير المسلمين<sup>4</sup>. بينما حاول پول مارتى تصوير هذه الحركة على أنها حركة قومية من أجل تحقيق أمجاد لشعب التكلور من خلال تعيينهم في المناصب العليا كقضاة ووكلاء وقادة جيش في هذه السلطة الجديدة<sup>5</sup>.

1 Christopher Harrison: France and Islam in West Africa 1860-1960, press syndicate of the University of Cambridge, United Kingdom, 1988, p 10.

2 شيخ لعرج: "موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19 وبداية القرن 20"، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2016-2017، ص 235.

3 عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار، المرجع السابق، ص 72.

4 محمد شقرون: المرجع السابق، ص 58.

5 Paul Marty: L'Islam en Mauritanie et au Sénégal, Revue du monde Musulman, volume 31, Ernest Leroux, Paris, 1915, p276.

4- موقف الشيخ المامي<sup>1</sup> (1206هـ/1791 إلى 1282هـ/1865م) من جهاد الحاج عمر:

كان الشيخ المامي يرى أن مبايعة ونصب الإمام ضروري لإشاعة السلم والأمن، ولرد المظالم وإقامة العدل، ولا بد في الجهاد من وجود الإمام، وقد أعجب الشيخ بالنظام الإمامي في فوتا تور، ومن هذا المنطلق دعا إلى الجهاد ضد النظام الأميري الذي كان سبباً للفوضى وضد النصارى المحتلين<sup>2</sup>. كما أعجب الشيخ محمد المامي رغم أنه قادري الطريقة، ويسكن في أقصى الشمال الغربي من بلاد شنقيط بجهاد الحاج عمر ضد المستعمر، وسعيه لإقامة دولة إسلامية، فكان يتطلع لأن تشمل هذه الحركة بلاده<sup>3</sup>، ولهذا كتب قصيدة طويلة يمدح فيها الحاج عمر يقول في مطلعها:

سلام على من نور مُعْنَاهُ فائح      ومن نُورِه للشمس والبدر فاضحُ

إلى أن يقول:

فكنا نرى للغرب عدلاً يقيمه      عليه بقرب المصطفى النور لائحُ

وفي عمر الحاج الموقِّقِ وسم له      نحاوله من ذلك الكنز لامحُ<sup>4</sup>

## 5- موقف قبائل كنته من الاستعمار:

تعتبر قبائل كنته من قبائل الزوايا التي انشغلت بالعلم والسلم بعيداً عن الحرب والنهب الا في بعض الحالات مثلما حدث في صراعها الذي أشرنا إليها نفا ضد الحاج عمر. أما موقفها من النصارى والاستعمار فمن البداية كان موقفها من هذا الأخير واضحاً، فقد أقلق آل كنته المستعمر عبر كامل أرجاء الصحراء وأفضوا مضجعه حتى اضطر إلى إلغاء العديد من المشاريع كالسكة الحديدية ومشروع

1 هو محمد المامي بن البخاري بن أحمد بزيد ولد سنة 1206هـ، ترك الشيخ محمد العديد من المؤلفات يقال انها بلغت الأربع مئة مؤلف من أبرزها: الدولاب في المذاهب الأربعة والأربعين، نظم الخراج في عشرة الاف بيت نظم لمختصر خليل، ألفية في السيرة، نظم في تفسير القرآن، الزبدة في معاني الحروف، الشيخ الاجم والشيخ الاقرن، ولعل أشهر كتبه (البادية). ينظر محمد عبد الله ولد المصطفى: المرجع السابق، ص 16-17.

2 الشنقيطي الحسن بن محمد الأمين: المرجع السابق، ص 233-234.

3 أحمد الأزمي: الاشعاع الصوفي المغربي في افريقيا جنوب الصحراء، مطبعة انفو برانت، فاس، 2013، ص 76.

4 الشنقيطي الحسن بن محمد الأمين: المرجع السابق، ص 164.

موريتانيا الغربية الذي سعى كبولاني من خلاله لربط المتوسط بالصحراء الكبرى ثم السودان الغربي. فكانت الطريقة القادرية من خلال آل كنته تقف حجرة عثرة في طريق المستعمر من خلال التعمير الحقيقي بالتجارة والتعليم والتربية والاهتمام بالصغار قبل الكبار<sup>1</sup>.

## 5-1 موقف الشيخ أحمد البكاي<sup>2</sup> (ت 1865م):

مع تقدم فرنسا نحو الجنوب الجزائري وخصوصا بعد سقوط ورقلة سنة 1854م، يسجل التاريخ للشيخ البكاي مشروعه في إعلان النفير العام للجهاد حيث راسل وجمع كل قوات ايلمدن وتوات وقبائل الصحراء للزحف ضد المحتلين، لكن هنري بارث استطاع إقناع البكاي للتراجع عن قراره، فأرسل الشيخ خطابا للفرنسيين يحذرهم من التوغل نحو الصحراء. كما أرسل رسالته المشهورة إلى الملكة فيكتوريا، فردت عليه بجواب يوم 15 ابريل 1857م عن طريق الوزير الأول تعهدت فيه بحماية من سيقصدها من أتباع الشيخ. وفي نفس الوقت بعث الشيخ رسالة إلى ملك المغرب هشام بن عبد الرحمن يستنفره ويحثه على الجهاد، ورسالة أخرى إلى أمير ماسينا كل هذا من أجل رد الخطر الأوروبي المسيحي<sup>3</sup>.

حاول الشيخ البكاي تجميع قوات من الطوارق فيما يرويه الرحالة بارث من أجل صد هجوم الفرنسيين على الصحراء إلا أن هذا الأخير ثناه عن عزمه، وفي الأخير اكتفى الشيخ بإرسال خطاب شديد اللهجة للقوات الفرنسية يحذرهم فيه من مغبة توغلهم في الصحراء ولا يذكر التاريخ إن الفرنسيين قد أجابوا على رسالة الشيخ أحمد البكاي<sup>4</sup>. وقد تضمنت الرسالة التحذير من مخاطر غزو الصحراء

1 يحيى ولد سيد أحمد: المرجع السابق، ص 76.

2 وُلِدَ أحمد البكاي بتمبكتو ونشأ وتعلم بها في أحضان أسرته، وآلت له قيادة قبيلة كنته ومشيخة الطريقة القادرية، ومشيخة المحضرة الكنتية التي ضمت الآف طالبي العلم. من أبرز مؤلفاته: (فتح الفردوس في جواب عبد الله الكنسوس المراكشي) وكتاب (بغية الإلف في جواب ابن بركة) وعشرات الرسائل مع أمراء ماسينا ومع الحاج عمر تال. ينظر عبد الرحمن محمد ميغا: المرجع السابق، ص 263.

3 يحيى ولد سيد أحمد: المرجع السابق، ص 77.

4 عبد الله عبد الماجد إبراهيم: الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية، دار الحاوي، لبنان، 1998، ص 172.

وخاصة تمبكتو، ووصلت الرسالة إلى حاكم الجزائر الذي حللها بحذر كونها مكتوبة بيد أوروبي حليف لسكان تمبكتو<sup>1</sup>.

## 5-2 موقف الشيخ عابدين الكنتي<sup>2</sup> من الجهاد:

بعد وفاة الشيخ أحمد البكاي تغيرت الموازين في منطقة الأزواد حيث قامت فرنسا ببسط هيمنتها على المنطقة في الوقت الذي خرج حمادي بن الشيخ المختار الصغير عن الزعامة الكنتية، إلا أن الشيخ عابدين استطاع أن يُبقي على أهمية كنته في المنطقة من خلال قيادته لحركة الجهاد ضد الأوروبيين<sup>3</sup>. وكان هذا الأخير قد أقام بضعة شهور في واحة الجغبوب بليبيا، وهناك تلقى أوراد الطريقة السنوسية على يد الشيخ المهدي الذي أجازه في الطريقة، وجعله مقدماً على بلاده، وقد نفى بعض المؤرخين هذا الأمر خصوصاً أن كنته معروفة بريادتها للطريقة القادرية. وهذا الانتساب للسنوسية إن صح هو ما جعل عابدين يستوحي الفكر المعادي للنصارى والأجانب في المنطقة، مما جعل الفرنسيين يعتبرونه من ألد الأعداء<sup>4</sup>.

دعا الشيخ عابدين المسلمين في أنحاء الصحراء الكبرى إلى محاربة النصارى على اعتبار أنها حرب مقدسة، فعمل على جهادهم عسكرياً عن طريق حرب العصابات والهجوم أيضاً على المسالمين وحلفاء فرنسا مثل الامنوكال<sup>5</sup> (موسى آق أمستان) حليف فرنسا حيث هاجم الشيخ عابدين في سنة 1915م، خيام الأمنوكال في شمال مالي، كما عمل الشيخ عابدين على محاربة فرنسا سلمياً من خلال دعوته للتمرد السلمي ومقاطعة البضائع وإيقاف جميع المبادلات التجارية مع تديكلت وتوات

1 محمد الصالح حوتيه: المرجع السابق، ص 187.

2 هو عابدين أو بالأحرى زين العابدين بن أحمد بن محمد الخليفة بن المختار ولد حوالي 1848م بتمبكتو وترعرع فيها، تلقى تعليمه الأول في المحال الكنتية كغيره من أبناء عمومته، عرف عابدين بنبوغه في الفقه وتجسد دوره في أول مهمة عظيمة أوكلت له سنة 1899م، عندما كلف بالوساطة بين قبائل الطوارق والشعابنة ونجح فيها. سافر الشيخ عابدين لأداء فريضة الحج وغاب عن الصحراء وفي طريق عودته توقف بواحة الجغبوب بليبيا، وهناك تلقى أوراد الطريقة السنوسية مع الاجازة فيها على يد الشيخ محمد المهدي السنوسي. ينظر بول مارتي: كنته الشرفيون، تر: محمد ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، د.ت.ن، ص 113.

3 محمد الصالح حوتيه: آل كنته، المرجع السابق، ص 189.

4 بول مارتي: كنته الشرفيون، تر: المصدر السابق، ص 114.

5 الامنوكال: تعني أمير العقال.

بعد سيطرة المستعمر الفرنسي عليها وفي نفس الوقت طالب أتباعه بمهاجمة القوافل الفرنسية في الصحراء والاستيلاء على متاعها وسلب قوافلها<sup>1</sup>. ومما ساعد الشيخ عابدين على جهاده وكثرة أتباعه وأنصاره على حسب بول مارتي هي غزواته المثمرة وشهرته الدينية وثروته الطائلة مما سمح له بتجنيد الكثير من الموالين والأتباع<sup>2</sup>.

## 6- موقف الشيخ مابا جوخ<sup>3</sup> (1809-1867م) من الجهاد:

حرص الشيخ مابا جوخ على صفاء جهاده خلافاً لكثير من أتباعه وحلفائه، ومعاصريه، فقد أقسم ألا يقتل مسلماً في جهاده، وقد عبر عن مبررات دعوته للجهاد في رسالة بعث بها في يناير سنة 1863م حيث يذكر فيها أن لو كان الأمر بيده لما كان هناك قتال، لأن كل إنسان يريد العيش في سلام، وإن الحرب شر على الإنسان في الدنيا والآخرة، ولكن مسلمي غامبيا قد اضطهدوا وهذا أمر محرم في شريعتهم<sup>4</sup>.

1 أحمد بوسعيد: "الشيخ عابدين الكنتي ودوره في مقاومة التوسع الفرنسي بالصحراء الكبرى (1894-1927)", مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، مج 07، ع 04، 2022، ص 732-733.

2 بول مارتي: كتته الشرفيون، المصدر السابق، ص 116.

3 مابا جوخ: ويعرف أيضاً ب مابه أو ماباه Mabah وحماه باه أو حاماباه Hamah Bah، وأيضاً آمادي با Amady Ba أو أما ثبا Amath Ba ومابا كياخو Maba Kikhaou ينتسب إلى قبيلة التورودي انطلاقاً من اسمه أما أصله فمختلف فيه ما بين الماندنغو والولوف والسيرير، ولد الشيخ في بادّبو حوالي 1809م، تعلم على يد والده شيئا من القرآن ومبادئ العلوم الشرعية قبل أن يلتحق بمدينة كايور لاتمام دراسته والتعمق في الدراسة الإسلامية والانفتاح على علماء الشمال ثم انتقل بعدها إلى بلاد الولوف ليتلمذ على يد الشيخ مومار امباي Momar M baye كانت نقطة التحول في حياته بعد لقائه للحاج عمر 1848. ينظر مهدي رزق الله: "حركة الشيخ مابا جاخو الإسلامية الإصلاحية ودورها في الحياة الإسلامية في غربي إفريقيا (1850-1890م)", مجلة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، مج 12، 2000، ص 2-4. وأحمد التجاني الهادي: المرجع السابق، ص 288.

4 مهدي رزق الله: حركة الشيخ مابا جوخ، المرجع السابق، ص 18.

7- موقف الشيخ محمد بن سيديا<sup>1</sup> (1830-1869م) من الجهاد:

كان الشيخ محمد بن سيديا أحد أبرز دعاة الجهاد، وبهذا تميز عن خلفائه من عائلته في موقفهم من الاستعمار وقد تجلّى رأي الشيخ محمد في قصيدته التي تُعد أهم نموذج لشعر المقاومة والالتزام بالجهاد حيث يقول في مطلعها:

رويدك إنني شبهت داراً      على أمثالها تقف المهاري

إلى أن يقول:

ولو في المسلمين اليوم حُرٌّ      يُفكُّ الأسر أو يحمي الذمارا

لفكوا دينهم وحموه لَمَّا      أراد الكافرون به الصَّغارا

حُماة الدِّين أن الدِّينَ صارا      أسيرا للصَّوص وللنصارى

فإن بادرتموه تداركوه      وإلا يسبق السيف البدارا

ويعضي الشيخ في قصيدته يشحذ الهمم ويحث على الجهاد، وينقد التخاذل ويؤصل لموقفه بأن ترك السلاح مرفوض دينياً ولا تقبله المصالح الدنيوية<sup>2</sup>. وقد رأى الشيخ محمد أن تفرق الكلمة وعدم وجود إمام يوحد الناس ويقودهم هو سبب الضعف، إضافة إلى قبائل بني حسان التي فرقت الأمة، وإلا لما تجرأ النصارى علينا، ولهذا دعا إلى محاربة بني حسان والنصارى<sup>3</sup>.

1 محمد بن سيديا: محمد بن سيديا هو حفيد الشيخ سيديا الأيبري ولد عام 1247هـ-1832 م تربي في بيت علم وورع حيث حفظ القرآن الكريم وعلم ودرس في زاوية جده التي كان لها صيت ذائع في غرب إفريقيا وأوى إليها المدرسين من كل مكان ولقد نبغ الشيخ محمد في الشعر والنحو خاصة وكانت له اشعار وردود في مختلف أغراض الشعر، توفي الشيخ محمد بعد وفاة والده بسنة وذلك عام 1869. ينظر محمد سعيد قشاط، المرجع السابق، ص 172.

2 يحيى ولد سيد أحمد: المرجع السابق، ص 137.

3 الشنقيطي الحسن بن محمد الأمين: المرجع السابق، ص 231.

## 8- موقف الشيخ أجدود بن اكتوشن (1792م-1872م) من الجهاد:

يعتبر الشيخ أجدود من أوائل الفقهاء الذين حذروا وأندروا الناس من دخول الاستعمار الفرنسي لبلاد شنقيط، وتمثل موقفه في الدعوة إلى جهاد النصارى عسكرياً واقتصادياً وطالب بمؤازرة الأمير محمد الحبيب لمواجهة الفرنسيين باعتبارهم أعداء الدين وقد كتب قصيدة طويلة يشجع فيها على الجهاد ويدعو الناس إلى الوقوف مع محمد الحبيب حيث يقول فيها:

فانصروه ينصركم الله طرا      واقتلوا المشركين والفجارا  
يا حبيب أوجف عليهم بخيل      وبرجل يهدم الأمصارا  
واعدوا من القوى ما استطعتم      واشتروا الخيل والقلاص المهارا<sup>1</sup>

دعا الشيخ أجدود الناس إلى الجهاد وقتال أعداء الدين من الداخل والخارج وخاصة النصارى، وحرص الناس على حمل السلاح وتوحيد الكلمة تحت راية واحدة، وصادفت دعوته مقاومة محمد الحبيب في جنوب شنقيط، فاعترف الشيخ أجدود بإمامته ودعا الناس إلى نصرته والالتفاف حوله، وكان يأمر الناس بالجهاد ولو بالعصي إن لم يجدوا سلاحاً، بل أكثر من هذا فقد خاطب السكان بأن يقطعوا النهر لمقاتلة النصارى في الجنوب، كما دعا وحرص على الحرب الاقتصادية فقد قال في قصيدة يمنع أهل البلد من بيع العلك للفرنسيين:

لا تعينوا بالعلك حزب الاعادي      أتعينون أنما كفارا؟  
فاقطعوا عنهم الشراء حذاراً      أن يصروا على الأذى إصراراً<sup>2</sup>

1 محمدو محمدن أمين: المرجع السابق، ص 104.

2 الشنقيطي الحسن بن محمد الأمين: المرجع السابق، ص 231-232.

## 9- موقف الشيخ محمد الأمين<sup>1</sup> (1830م-1885م) من الجهاد:

من أبرز المقاومات في منطقة السانغامبيا مقاومة الشيخ محمد الأمين رغم قصر مدتها التي لم تتجاوز العامين حيث وقف الشيخ ضد التوسع الفرنسي في المنطقة. ولعل الأسباب التي دفعت الشيخ إلى هذا الموقف تأثره بالطريقة السنوسية وحسبما يرى ويليس أن رموز الجهاد في غرب إفريقيا تأثروا بالحركة الوهابية أثناء إقامتهم بمكة. ويرى آخرون أن الشيخ محمد الأمين كان تجانياً. ومهما كانت الأسباب والدوافع فإن الصراع مع الوثنيين في غرب إفريقيا قد مهد الطريق للصراع والجهاد ضد النصارى المحتلين<sup>2</sup>. وقد رجع الشيخ محمد الأمين من الحج سنة 1286هـ/1869م فوجد بلاده تنمن من ثلاث مشاكل سياسية، اقتصادية اجتماعية، ولهذا عمل على الاهتمام في خطبه الأولى على إرجاع أسباب هذه الأزمات إلى ضعف الدين، وقد رفض رفضاً باتاً إجازة حكم غير المسلم، وهذا كان كافياً لإثارة الحماس في جيشه الذي كان يؤمن بأنه يجاهد في سبيل الله والوطن<sup>3</sup>.

## 10- موقف أمير المؤمنين عبد الرحمن (ت 1902م) من الجهاد:

رغم إرسال لوجارد مرسوماً مكتوباً باللغة العربية يقضي بإنهاء الشركة الملكية سنة 1900م التي أشرنا إليها سابقاً يوضح فيه سبب هذا التغيير، لأنها استخدمت القوة، إلا أن الخليفة عبر عن رغبته للمبعوث كياري (Kiari) عدم قبوله أي رسالة من الأوروبيين، وعجل بطرد هذا المبعوث من صكتو<sup>4</sup>. ولقد رأى أمير المؤمنين عبد الرحمن الذي حكم ما بين (1891 إلى 1902م) ما يفعله الغزاة الإنجليز بالإمارات التي استولوا عليها مثل بدا، كونتاغورا، يولا وبوتشي من استبدال للأمرء، وما يتطلبه الوضع الجديد من تسلم أوراقهم من الإنجليز وما فُرض عليهم من قوانين وتقديم عون للحاكم الإنجليزي، وأنهم بهذا أصبحوا تحت حكمهم بطريقة أو أخرى. هذه الأمور مجتمعة جعلت الأمير عبد الرحمن يرد على

1 الشيخ محمد الأمين: اسمه ملامين دمبادياس ولد سنة 1840، كان والداه من المرابطين، قضى معظم حياته في الترحال ولذا لم يعرف الاستقرار في حياته، تعرض محمد الأمين للسجن لكنه تمكن من الفرار والهجرة إلى مدينة باكل حيث استقر لبعض الوقت وجالس بعض العلماء وعلى رأسهم الحاج عمر الفوتي. ينظر نجم عبد الأمير الانباري: "الشيخ الحاج محمد الأمين وجهاده القومي الإسلامي في السودان الغربي م 1885-1887م"، التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ع04، 2010، ص 107.

2 عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار، المرجع السابق، ص 98-99.

3 مباي غويي وأدو بواهن: المبادرات والمقاومة الإفريقية في غرب إفريقيا، تاريخ إفريقيا العام، ج 07، اليونسكو، لبنان، 1990، ص 151.

4 عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار، المرجع السابق، ص 41.

لوجارد بعبارته الشهيرة: " ليس بيننا وبينكم إلا ما بين الكافر والمسلم -الحرب- كما أمر الله جميع المسلمين"<sup>1</sup>.

اعترض أمير المؤمنين على طلبات ورسائل لوجارد لأن الاتفاقيات التي عقدت مع أمراء الهوسا قبله تضمنت العديد من الشروط التي تجعل البلد تحت سلطة المستعمر وهذا ما لم يقبله أمير المؤمنين، فقد كانت أوراق تعيين الامراء الجدد من طرف البريطانيين تتضمن: إن الأمير ليس سوى أداة لتنفيذ سياسات التاج البريطاني بما فيهم أمير المؤمنين. وإذا تعارض الدين مع القوانين الإنسانية فيحق للدولة التدخل. كما تتضمن وجوب التدخل في السلطة التقليدية، تحت ستار منع الاستبداد تجاه الرعية<sup>2</sup>. ولم يختلف رأي وموقف محمد الطاهر الأول بعد تولي الخلافة فقد سار على نهج سابقه وخاض القتال في معركة بورمي الأولى والثانية 1903م، وهي المعارك الأخيرة قبل الاحتلال النهائي<sup>3</sup>.

## 11- موقف القاضي عبد الله بن أحمد<sup>4</sup> من الجهاد:

أورد القاضي عبد الله بن أحمد رسالة سماها ((رسالة ونصيحة إلى المعاصرين المعتنين بما يدخلهم في زمرة المسلمين الناجين)) إن الجهاد فرض كفاية وقد يتحول إلى فرض عين إذا تهدد بقاء الإسلام ولا حجة لمن يتخلف أو يتقاعس عنه وهذا باتفاق العلماء واستدل القاضي بمجموعة من الآيات والأحاديث التي توجب الجهاد وفضله من القرآن والسنة النبوية، وهي آيات قطعية لا مرأ فيها ولا تقبل التأويل. فالجهاد واجب وخصوصاً إذا فاجأ العدو دار المسلمين فيجب على كل مسلم الدفاع عن دياره دون قيد وشرط، ولا عذر لمسلم في ترك الجهاد أو التعلل بأي سبب من الأسباب، وقد رد في المبحث الأول من رسالته عن كل سبب يمكن أن يتقاعس الإنسان المسلم من أجله عن القتال. فالإحجام عن القتال لا يزيد في العمر، والإقدام لا يقطع، وسكرات الموت بالنسبة للشهيد لا تعدو

1 الأمين أبو منقعة ا: "الأسس الفقهية لهجرة أمير المؤمنين الطاهر الأول من سوكتو"، دراسات افريقية، المركز الإسلامي الافريقي، الخرطوم، ع 05، أكتوبر 1989، ص 24.

2 عبد الله عبد الماجد إبراهيم: المرجع السابق، ص 327.

3 عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي عطا الله الجمل: دراسات في تاريخ غرب افريقيا، المرجع السابق، ص 174.

4 القاضي عبد الله بن علي أحمد بن القاضي أبي بكر قاضي قضاة سوكتو وإمام مسجد الشيخ عثمان إبان الاحتلال الإنجليزي للمنطقة. ينظر الأمين أبو منقعة: موقف الخلافة السكتية من الاستعمار البريطاني النصراني، الإسلام في إفريقيا، دار الفكر المعاصر، لبنان، 2001، ص 111.

أن تكون كقرصة نمل، أما الخوف من ضياع الأهل والأولاد فقد أجاب صاحب الرسالة على أنه سيأتي يوم يفرقنا الموت جميعاً، وفراق الأحبة كائن يوم ما، ولكن يصبرنا عنه لقاء الجنان<sup>1</sup>.

## 12- موقف الشيخ ماء العينين<sup>2</sup> (ت 1823هـ-1910م) من الجهاد:

اعتبر الشيخ ماء العينين مقاومة النصارى جهاداً في سبيل الله، وهي حرب مقدسة، وقد استخدم الشيخ هذا المصطلح لأن الجهاد له قدسية في ضمير المسلم وثانياً إن كلمة جهاد تدخل المتعاضد والمتخاذل في دائرة النفاق<sup>3</sup>، وهذا لعدة اعتبارات أهمها دخول هؤلاء الغزاة البلاد غصباً عن أهلها فهم غزاة محتلين وجب جهادهم، وإن تواجدهم واستيطانهم ببلاد المسلمين لا يجوز، إلا إن كانوا تحت سيطرة المسلمين، ولهذا من البداية رفض الشيخ ماء العينين التعامل معهم وعمل على تجنيد تلامذته والقبائل المجاورة للجهاد<sup>4</sup>. وقد كان موقف الشيخ ماء العينين معادياً لدخول الأوروبيين وخاصة الفرنسيين، أما الإسبان فكانت له معهم عدة لقاءات، وتذكره المصادر الإسبانية في الفترة الممتدة من 1878 إلى 1886م على أن الشيخ ماء العينين صديق إسبانيا<sup>5</sup>.

بعد الزحف الفرنسي على شنقيط رفع الشيخ ماء العينين راية الجهاد بداية في منطقة الحوض (شرقي موريتانيا) ثم تحول إلى منطقة الساقية الحمراء وهناك أسس مدينة السمارة كمركز لقيادة الجهاد وجمع حوله قبائل الصحراء من موريتانيا وشمال مالي ومنطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب، وظل الشيخ يقاوم الفرنسيين بسيفه ولسانه، بل أكثر من هذا فقد امتدت مقاومته خارج منطقته فقد زحف الشيخ

1 الأمين أبو منقعة: الأسس الفقهية، المرجع السابق، ص 36.

2 الشيخ ماء العينين: سماه والده محمد فاضل القلعي بالمصطفى تبركا بشيخه ولقب بماء العينين، وقد تربي وتعلم في أحضان أسرته وبين إخوته وتصلح في مختلف العلوم بمنطقته ولم يرحها، وهذا ما يدل على المكانة العلمية التي وصلت إليها هذه البوادي من الرقي في مجال التعليم، وقد تميز الشيخ ماء العينين منذ صغره بالذكاء والنبوغ فتوسم فيه أبوه هذا، مما جعله يوليه عناية بالغة ليخلفه في الإفتاء والتدريس. ينظر حمداتي شبيها ماء العينين: "قبسات من حياة الشيخ ماء العينين"، الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، تقديم: اليزيد الراضي، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، ص 36.

3 عبد القادر بوعرفة: جهاد شعبي أم مقاومة قراءة في المرجعيات الفكرية لحركة الجهاد في الخطاب الصوفي، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 94.

4 سفيان عابد: "دور الشيخ ماء العينين في مقاومة الاستعمار الفرنسي في موريتانيا"، مجلة المفكر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، مج 04، ع 02، 2020، ص 126.

5 خوليو كاروبروخا: دراسات صحراوية، تر: أحمد صابر، مؤسسة الشيخ مرييه ربه، موريتانيا، 2019، ص 415.

على مراکش لما علم بتواطؤ سلطانها مع الفرنسيين. واستطاع دخول مراکش وعين ابنه أحمد الهيبا<sup>1</sup> سلطانا عليها، لكن هذا النصر لم يدم سوى أسبوع واحد فقد استطاعت فرنسا انتزاع مراکش من جديد<sup>2</sup>.

اعتبر الشيخ ماء العينين محاربة النصارى جهاداً في سبيل الله، ومن هذا المنطلق دعا أتباعه ومريديه لمقاومتهم كما راسل جميع القبائل الموريتانية لهذا الغرض، وأفتى الشيخ بعدم جواز مولاة هؤلاء النصارى استناداً إلى فقه الأمان والمعاهدة ودفع الجزية التي نصت عليها الشريعة الإسلامية، كما جند الشيخ أبناءه لتأطير وقيادة هذا الجهاد وهذه المقاومة، وقد أبلوا بلاءً حسناً في مساندة أبيهم في آرائه ومواقفه<sup>3</sup>. فلم يكن الشيخ ينظر بين قدميه بل كان طويل النظر حيث كان يؤمن بقضية الوطن الأكبر في غرب إفريقيا، فلقد شهد بلاده تتجزأ أمام عينيه، فالقبيلة تتجزأ بل حتى الأسرة حيث الأب تحت الحماية الفرنسية والابن تحت الحماية البريطانية والحفيد يصرخ تحت حكم البلجيكين<sup>4</sup>.

## 12-1 أدلة الشيخ ماء العينين في الجهاد:

يرى الشيخ ماء العينين أن أمر الله تعالى وإذنه للجهاد ناسخ لكل الأحكام والآيات قبله المطالبة بالصبر على الأذى وتجنب القتال، وأن دخول هؤلاء النصارى لبلاد المسلمين ليس له أي مبرر شرعي، فهي بلاد سائبة تقطنها قبائل الزوايا المغلوبة على أمرها وبعض العرب لا طاقة لهم ولا قدرة، وهذا الدخول لم يكن بعقد مع سلطان ولا من مسلم قادر على ردهم ودفعهم متى شاء. ولهذا رفض الشيخ أي تعامل مع الفرنسيين وهدد وتوعد بأنه سيقوم بمحاربتهم حتى آخر قطرة من دمه<sup>5</sup>.

1 أحمد الهيبا: ابن الشيخ ماء العينين القلزمي عرف بالسلطان الأخضر، ولد سنة 1294هـ، خلف أبيه في الجهاد العلمي والسياسي، فقد قاد المقاومة ببسالة في السوس 1912-1919م، كما خلف العديد من المؤلفات. حماد الله ولد السالم: حجاج ومهاجرون، المرجع السابق، ص 244.

2 محمد سعيد القشاش: عرب الصحراء الكبرى التوارق، ط 02، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، 1989، ص 188.

3 محمد الراضي ولد صدفن: الاستعمار وأثاره في موريتانيا خلال الفترة الاستعمارية، مجلة دراسات، العدد الثاني، ديسمبر 2012، ص 44.

4 عبده بدوي: المرجع السابق، ص 44.

5 علي بدوي علي سلمان: الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960م)، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2003، ص 106.

وقد استدلل الشيخ ماء العينين على رأيه وموقفه بأدلة شرعية، كما استخدم المنطق للاستدلال على مذهبه، فيطرح سؤالين: هل الجهاد واجب أم غير واجب؟ وعلى من يجب وفيمن يجب؟ فنجد الشيخ يُقر بوجوب الجهاد، فهو واجب على المسلمين ضد الكفار وخصوصاً أنهم هاجموا أرض المسلمين وبالتالي لا عبرة بمن يقول بالمهادنة لان رأيه مرجوح<sup>1</sup>.

## 12-2 كتاب هداية من حارا في أمر النصارى للشيخ ماء العينين<sup>2</sup>:

يعد هذا المؤلف من أهم الوثائق التي أبرز فيها الشيخ ماء العينين موقفه من الجهاد بشتى الأدلة من الكتاب والسنة وأيضاً التاريخية والعقلية، وقد تضمن الكتاب جملة من القضايا الفقهية والشرعية، وقد جاء الكتاب بمناسبة حادثة الداخلة سنة 1885م<sup>3</sup> ورداً على ادعاءات أحمد ولد عائدة أمير منطقة أدرار، ويعتبر هذا المؤلف درباً من دروب المقاومة الفكرية التي قادها الشيخ ماء العينين بالموازاة مع جهاده بالسلاح، فقد أسهم الشيخ ماء العينين بإنتاج فكري وأدبي وديني رداً على التدخل والاحتلال الأجنبي<sup>4</sup>. فلم يستسغ الشيخ التواجد الأوروبي في المنطقة مثل الكثير من الشيوخ، وهذا لبعد نظره، ولهذا من البداية أعلن الجهاد المقدس، مستنداً إلى مجموعة من الأدلة الشرعية، وبهذا كانت له يد في مقتل كابولاني<sup>5</sup>. وحاول الشيخ إعطاء الصبغة الشرعية للجهاد ضد المسيحيين من خلال توحيد الجهود عن طريق التحالفات ومن خلال الجهاد تحت سلطة سلطان المغرب ومن خلال مراسلة أهم الزعامات والفقهاء في غرب إفريقيا للوقوف في صفه<sup>6</sup>.

1 باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا: "مقاربات ونصوص جديدة حول الاستعمار في موريتانيا"، مجلة أريام، الأردن، المجلد 02، العدد 01، 2020، ص 15.

2 نص الكتاب كاملاً أورده يحي ولد البراء: المرجع السابق، ص ص 2889-2905.

3 حادثة الداخلة: قام القائد الاسباني بونيللي سنة 1884م ببناء أكواخ خشبية في منطقة الداخلة، وبعد مدة أراد تحصين هذه البنايات، فهاجمته القبائل الصحراوية يوم 09 مارس 1885م. ماء العينين النعمة علي، قراءة في كتاب "هداية من حارا في أمر النصارى" للشيخ ماء العينين"، الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص 162. وأيضاً:

حمداتي شبيهننا: قبسات من حياة الشيخ ماء العينين، المرجع السابق 184-185.

4 ماء العينين النعمة علي: المرجع السابق، ص 160.

5 علي بدوي علي سلمان: المرجع السابق، ص 78.

6 Pierre Bonte : La politique coloniale Française et les Ahl Shaykh Ma Al-Aynin. Jihad et résistances tribales, archives, nu 11, 2011, p. 12.

### 12-3 العوامل المساعدة للشيخ ماء العينين في جهاده:

إن طبيعة المنطقة الشمالية من موريتانيا بداية بتضاريسها الوعرة عكس المناطق الجنوبية، إضافة إلى قربها من المملكة المغربية عوامل جعلت فرنسا تتأني في احتلال هذه المناطق حتى تُخضع المناطق الجنوبية كلياً، والتي غالباً ما استسلم سكانها بسرعة وقبلوا الدخول الأجنبي، وبهذا أصبحت المنطقة الشمالية هي المركز للمقاومة. كانت زاوية الشيخ ماء العينين في الشمال من بلاد شنقيط حيث المنعة والقوة والقرب من مركز السلطة المغربية، وكانت للشيخ عيونته التي تمده بأخبار الفرنسيين وتحركاتهم مما جعله على اطلاع تام على قوتهم السياسية والعسكرية، وهذا ما شجعه على منابذتهم وجهادهم خصوصاً مع مساندة السلطان مولاي عبد العزيز العلوي على إمداد الشيخ بالسلح والذخيرة وتعيينه لقيادة الجهاد ضد الفرنسيين في بلاد شنقيط<sup>1</sup>. ورغم أن الشيخ وافق تكتيكياً على استخدام ختم سلطان المغرب إلا إنه في الحقيقة والواقع كان يعتمد على سلطته الروحية،<sup>2</sup> حيث لعب رجال الدين دور الوسيط بين السكان والسلطة المركزية في المغرب، وتم اختيار الشيخ لهذه القيادة نظراً لمكانته في نفوس السكان لأصوله بداية، ولعلمه وبصفته مقدما في الطريقة القادرية التي كانت يتبعها عدد كبير من المريدين في المنطقة<sup>3</sup>. وقد كانت علاقته بالبلاط المغربي قوية جداً، ففي سنة 1887م عندما زار الشيخ السلطان الجديد مولاي الحسن، قال لهم الشيخ: "لقد اعتبرني السلطان مولاي عبدالرحمن ابن له، واعتبرني السلطان مولاي محمد أخوا له، فبأية صفة تستقبلوني؟" فأجابه السلطان: "إني استقبلك كأب". وفي هذا اللقاء أغدق السلطان على الشيخ ماء العينين بالكثير من الهدايا وزوده بالكثير من الأسلحة النارية<sup>4</sup>. وقد استطاع الشيخ استغلال مكانته العلمية والصوفية في جمع تقريباً معظم القبائل الصحراوية والشنقيطية في مؤتمر السمارة مما جعل الكولونيل مونتانيه دي بويسك يبعث برسالة مستعجلة إلى الحاكم

1 الحسين بن محنض: المرجع السابق، ص 275.

2 Alioun Traore: Cheikh Ma el Ainin ou la dernière résistance Saharienne(1831-1910), société français d'histoire d'outre-mer, Paris, 1981,p 1005.

3 علي بدوي: المرجع السابق، ص 105.

4 خوليو كاروبروخا: المصدر السابق، ص 418.

العام لمستعمرات غرب إفريقيا يخبره بخطورة هذا المؤتمر ضد التواجد الفرنسي في المنطقة كونه ضم القبائل الصحراوية من الحوض إلى البحر تحت قيادة موحدة<sup>1</sup>.

## 12-4 جهاد الشيخ ماء العينين:

بعد تكليف السلطان المغربي للشيخ ماء العينين بقيادة الجهاد في الصحراء، اعتبر الشيخ أن سلطان المغرب هو ولي الأمر الذي يُعطي الأمر بالجهاد<sup>2</sup> وعليه قام الشيخ بتسخير علمه ونفسه وماله وأولاده لخدمة هذه القضية، فقد راسل الأمراء والقبائل يحثهم وينهضهم للجهاد، وقد استجاب له الكثير منهم مثل: أمير البراكنة والترارزة وتكانت وأمير أدرار، وخاصة قبائل الشمال فقد استجابت لنداء الجهاد المقدس دفاعاً عن الوطن ولإعلاء كلمة الله، وقد كان الشيخ يطوف بالقبائل ويدعو: "الجهاد أيها المسلمون ضد أعداء الله ورسوله وأعداء الإسلام الذين يتربصون بكم وبوطنكم الدوائر". وخاض الشيخ معارك وملاحم متعددة ضد الاستعمار وكبدهم الكثير من الخسائر في الأموال والمتاع، وقد أحرز جهاد الشيخ إلى حد كبير سيطرة الفرنسيين وتوسعهم في المنطقة<sup>3</sup>.

1 أحمد بومزكو، ماء العينين النعمة علي: ملامح من جهاد المخزن والقبائل الصحراوية ضد الاحتلال الأجنبي نموذج الشيخ ماء العينين، الصحراء والسوس من خلال الوثائق والمخطوطات، تنسيق: عمر أفا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001، ص 109.

2 Pierre Bonte : Op. Cit., p. 07.

3 علي بدوي: المرجع السابق، ص 107.

13- موقف أحمدو بمب<sup>1</sup> (1853-1927م) من الجهاد:

بعد استقلال الشيخ أحمدو بمب بمدينة طوبى<sup>2</sup> سنة 1888م والتي اقتبس اسمها من أشجار الجنة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾<sup>3</sup> و انضمام الطلبة القدامى لوالده للطريقة وكذا انضمام محاربي التيدو والكثير من العبيد والطبقات الفقيرة، مما جعل بعض العائلات تشتكي للسلطات الفرنسية بعد انضمام أبنائها، كما اشتكى بعض الزعماء المحليين للحاكم الفرنسي كليمان توماس Clement Thomas فطلب هذا الأخير من الشيخ تسريح الطلبة، وبعث له في نفس الوقت بعض الكتب المقدسة كرمز للصدقة إلا أن الشيخ بمب ردها وقال: " لا احتاج شيئاً من هذا العلم التافه الفاني" وكان جوابه بداية الاضطراب بين الطرفين وازدادت الأمور سوء عند رحيل الشيخ مع خمسمئة من طلبته إلى منطقة الجولوف سنة 1895م، فكثرت الوشايات بالشيخ مما جعل المحكمة تتهمه بالتعبئة للجهاد والإخلال بالأمن العام لتقضي بنفي الشيخ إلى الغابون في سبتمبر من نفس السنة<sup>4</sup>.

ورغم عدم وجود أدلة تدينه، فقد تم نفي الشيخ أحمدو بمب إلى غابون (Gabon) من سنة 1895م إلى 1902م حيث مكث شهرين في ندر تحت الإقامة الجبرية وهناك نظم بيتين من الشعر هما:

1 أحمدو بمب: هو أحمد بن محمد بن حبيب الله من أسرة تكروية عريقة ولد سنة 1853م في قرية أمباكي بول ( Mbacké Baol)، حفظ القرآن الكريم على يد خال أمه مبكرا وتلمذ على يد والده في العلوم الشرعية ثم تعددت شيوخه واشهرهم محمد بن محمد الكريم الفاضلي الديباني الموريتاني. ولم يكد الشيخ يبلغ العقد الثالث من عمره حتى كانت شهرته تخرق الافاق حيث ألف العديد من الكتب في مختلف الفنون ومن أبرز مؤلفاته (الجوهر النفيس) وهو نظم لمقدمة الاخضري، كما نظم كتاب أم البراهين للإمام السنوسي وسماه (مواهب القدوس) ومن مؤلفاته (نُحج قضاء الحاج) و(مسالك الجنان)، (تزود الصغار)، (جذبة الصغار) ... ينظر محمد غلاي انجاي: المريدية ومؤسسها: نبذة تاريخية، دراسات حول المريدية، روض الرياحين، السنغال، 2010، ص ص 9-11.

2 أسسها أحمدو بمب بعيدا عن المدينة لتكون مناسبة للتأمل، ويقال إن مكان بنائها قد كشف له من قبل الملك جبرائيل، واختلف في اشتقاق اسمها فقد ورد في التوراة والانجيل والقرآن. ينظر Tahar Abbou: The pligrimage of the grand magal in Tuba, Sénégal, international journal of reigious tourism and pligrimage, vol10, iss 4, article 3, p 5-6.

3 سورة الرعد، الآية 29.

4 عائشة بومدين: "موقف الطرق الصوفية من الاستعمار في السنغال الطريقة المريدية انموذجا(1895-1927م)", مجلة افاق علمية، جامعة تماراست، الجزائر، مج 12، ع 02، 2020، ص 112-113.

يا جملة قد ثلثوا بضلالهم      من لم يكن ولد له أو والد  
أخرجتموني ناطقين بأبي      عبد الإله وإني لمجاهد

وبعد نقل الشيخ إلى الغابون عاملوه بقساوة وحاولوا ثنيه عن منهجه ومواقفه، لكن القلوب تعلقت به في المنفى وازدادوا إعجاباً بهذا الشيخ<sup>1</sup>. ثم بعد الغابون نُفي الشيخ إلى موريتانيا من سنة 1903م إلى 1907م لكنه في كل مرة كان يزداد أتباعاً ومريدين حيث أتاه الفتح وهو في قرية صرصار بموريتانيا وأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم ((الورد المأخوذ)) في شهر رمضان سنة 1322هـ/1904م. ورغم كل ما وقع للشيخ من ظلمٍ وعدوان من طرف السلطات الفرنسية إلا أن تعاليمه لتلامذته وموريديه كانت تدعو إلى ضرورة جهاد النفس والحث على تجنب العنف والعمل المسلح<sup>2</sup>. وبعد عودته إلى بلاده فُرضت عليه الإقامة الجبرية في مدينة تيين (Thiéyéne) ثم نقل إلى جربل (Diourbel) التي بنى بها مسجداً يعتبر من أكبر مساجد غرب إفريقيا آنذاك، وهناك وافته المنية<sup>3</sup>.

ومن المواقف التي ظلت راسخة ويُحتفل بها كل سنة في طوبى وسان لويس وهي صلاة ركعتين وهي التي سنّها الشيخ أحمدو بمب بعد رجوعه من منفاه، عندما طلب الحاكم العسكري في سان لويس مقابلته، ولما دخل الشيخ مكتب الحاكم وبدل أن يصافح هذا الأخير الذي مد يده، فرّش الشيخ ثوبه وصلى ركعتين، وسط ذهول جميع الحاضرين، فلما فرغ من صلاته عاتبه الحاكم ونهره، فقال الشيخ: "كان لي موعد مع من هو أكبر منك ومن بلادك، وعظمته لا تدانيها عظمة"<sup>4</sup>.

#### 14- موقف الشيخ محمد بن أحمد بن حبت الغلاوي (ت 1372هـ-1952م) في الجهاد:

ذكر الشيخ محمد بن حبت إن فضل الجهاد لا يعدله فضل آخر، وإنه يتعين على كل فرد إذا احتل الكفار بلاد المسلمين، وإن عجزوا عن مقاومته وجب الجهاد على من يليهم من المسلمين، ولا

1 أحمد التجاني الهادي: المرجع السابق، ص 446.

2 نور الدين شعباني: "الطريقة المريدية ودورها في السنغال"، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة الجزائر 02، مج 03، ع 05، 2016، ص 39.

3 محمد غلاي النجاي: المرجع السابق، ص 17.

4 نور الدين شعباني: المرجع السابق، ص 40.

يسقط فرض الجهاد، وقتال المحاربين أفضل من قتال الكفار ولا بد من وجود إمام يقيم شعائر الدين ويكون مسلماً عدلاً ذا نجدة<sup>1</sup>. كما أن قتال الكفار أولى لأنهم يريدون سلب الدين، والمهادنة مع النصارى فاسدة لأن منفعتها على الكفار وأضرارها على المسلمين غير خافية على أحد<sup>2</sup>.

ومما سبق يمكن القول إن جهاد المسلمين للعدو لم يكن من باب رفض الآخر، وإنما بسبب التسلط والقهر، فدول الشمال الامبريالية تسلطت وانتهكت كل الأخلاق والأعراف الدولية، ولم تلتزم بمعايير العدالة، وهذا ما جعل الجهاد مقاومة شرعية. والأدلة التي ساقها الفقهاء كانت قوية وواضحة، فالجهاد أقرته كل الشرائع السماوية والوضعية قديماً وحديثاً إلا أن في بعض الأحيان تكون نتائج هذا الجهاد وخيمة خصوصاً إذا كانت القوى غير متكافئة وهذا ما جعل بعض الفقهاء يرفضون هذا الجهاد انطلاقاً من عدة اعتبارات وشواهد عقلية وعقلية.

### المبحث الثالث: المواقف المعارضة للجهاد:

مما لا شك فيه إن الجهاد أحد أركان الإسلام، وهذا لا يعني أن هؤلاء الفقهاء ينكرون وجوبه، فلا ينكره إلا جاحد، لأن أدلة الجهاد واضحة الدلالة والثبوت، إلا أنهم سيقدمون وسيعارضون في شروط الجهاد وظروفه ومقاصده وهذا ليس من باب آرائهم الشخصية بل انطلاقاً من أدلة شرعية وعقلية.

1 يحيى ولد البراء: المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء، المجلد السابع، الشريف

مولاي الحسن بن المختار بن الحسن، موريتانيا، 2009، ص 2979.

2 باب ولد أحمد: المرجع السابق، ص 15.

## 1- موقف الشيخ سعد بوه<sup>1</sup> (1848م-1917م) من الجهاد:

يُعد الشيخ سعد بوه بن محمد الفاضل القلقمي مرجعاً للكثير من الفقهاء في بلاد شنقيط خاصة ومنطقة غرب إفريقيا عموماً حيث درس على يد والده، ونهل من مكتبة عائلته، وسافر لطلب العلم كما ناظر علماء عصره مما جعلهم يسلمون له، ويقدرونه حق قدره، وقد كون وترك العديد من المؤلفات في مختلف الفنون والعديد من التلاميذ في مختلف البلدان الذين ساروا على نهجه.

### 1-1 شروط الشيخ سعد بوه للجهاد في البداية:

يرى الشيخ سعد بوه أن من شروط الجهاد: الاستعداد المادي والمعنوي بداية بالعقيدة الصحيحة والقوية التي تجعل المجاهد لا يتولى يوم الزحف، ومن الاستعداد التكافؤ في العدة والعدد حتى يكون الجهاد مؤسساً على قواعد صحيحة. وقد رفض الشيخ في البداية التعامل مع الفرنسيين رغم كثرة الاغراءات المالية والمناصب التي حاولوا بها التقرب من الشيخ، فقد طلبوا منه مراراً حماية المستكشفين وأن يضمن لهم الأمن والسلامة والالتزام بحمايتهم لكنه رد طلبهم عدة مرات<sup>2</sup>.

### 1-2 حوار الشيخ سعد بوه مع كابولاني حول دخول النصارى إلى أرض المسلمين:

في أول لقاء بين الشيخ سعد بوه وكابولاني سنة 1325هـ/1907م سأل هذا الأخير الشيخ لما رأى منه الكُره والقلق من دخول الفرنسيين إلى بلاد شنقيط فقال: "ما الذي نَفَّرَك من دخولنا بلاد المسلمين؟" فذكر له الشيخ أربعة أسباب: أولها إن هؤلاء القوم يرفضون السلطة عليهم ولو كانت من المسلمين فكيف يحكم الأجنبي؟ وثانياً: اختلاف الأديان، أما ثالثاً فإن بني حسان إن علموا بمجيء

1 الشيخ سعد بوه: هو الشيخ سعد بيه بن الشيخ محمد فاضل بن محمد الأمين الملقب مامينا القلقمي ولد ببلدة عين الفتح بالرك بالحوضى الشرقي من موريتانيا سنة 1848م في أسرة علمية عريقة. درس على يد والده محمد فاضل مؤسساً لطريقة الفاضلية وعلى يد أخيه محمد الزين الذي درسه القرآن على روايتي ورش وقالون، بعدا انصرفت همه فن سن مبكرة لمختلف العلوم التي نهل منها حتى صار لا يخرج من المكتبة إلا للضرورة، ترك الشيخ العديد من المؤلفات في مختلف الفنون من أبرزها: الفيض الوهبي على اية الكرسي، تعجيز البرهان في تحريم الشم والدخان، مجمع البحرين فيما يقع بين اثنين، تشنيف الاسماع بشرف أولاد بني السباع.... ينظر محمد الأمين أن بريك: "العالم المتصوف الموريتاني الشيخ سعد أبيه: حياته ودوره في ضفتي نهر السنغال"، مجلة البحوث التاريخية، جامعة محمد بوضياف، مج 02، ع 02، 2018، ص ص 72-75.

2 علي بدوي علي سلمان: المرجع السابق، ص 102.

النصارى سيعتدون على أموال الزوايا ويعيثون في الأرض فساداً قبل وصول النصارى، والرابعة المغرم على المسلمين. فرد عليه كابولاني أما الأولى فإن ملكنا رقيق ودولتنا خفيفة وعقوبتنا كمثل معاقبة الوالد لولده، والثانية فإننا لا نندخل في أمور الدين، وثالثها بنو حسان فسنكفيكم أمرهم وشهرهم نحائياً، وأما الرابعة فلن يكون إلا ما تحب فعد إلى بيتك مطمئناً<sup>1</sup>.

### 3-1 رسائل الشيخ سعد بوه في الجهاد:

من أبرز الرسائل التي كتبها الشيخ سعد بوه والتي شرح فيها رأيه وموقفه من الجهاد، نجد ((النصيحة العامة والخاصة في التحذير من محاربة فرنسا))<sup>2</sup> والتي بعث بها إلى أخيه الشيخ ماء العينين في رأس سنة 1327هـ/1909م، أورد الشيخ في أولها النهي عن حمل السلاح مذكراً أخاه بالأحاديث التي تنهى عن حمله، ثم أعطاه أمثلة عن النهي عن القتال ومنها حادثة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه في الفتنة، وترك قبائل الزوايا حمل السلاح حتى صار شعاراً لهم، كما ذكر أخاه بما كان من أمر الحاج عمر الفوتي الذي كان رجلاً صالحاً لكنه حمل السلاح لقتال الكفار ثم آل أمره إلى قتال المسلمين من آل حمى الله وآل كنته، حتى قتلوه في النهاية، كما ذكره بقصة أخيها سيدي بوي<sup>3</sup> الذي حمل السلاح وأراد القتال مع الحاج عمر إلا أن أباهم (محمد الفاضل) نهاه عن القتال وامتلأ الابن في النهاية الأمر، رغم عدم اقتناعه بسقوط الجهاد، حيث خاطب أباه قائلاً: "إن كنت تكلمني في هذه المسألة إلى علمي، فأني لا أعلم قولاً ولو شاذاً ببطلانها مع كثرة اطلاعي، وإن كنت تأمرني من حيث أنك والدي وشيخي... وفي قضائها برورك فعلت"<sup>4</sup>.

ويمكن تلخيص دوافع معارضة الشيخ سعد بوه للجهاد في ثلاث نقاط رئيسية: أولها عدم وجود الإمام الذي يقود الجهاد. ثانياً عدم إمكانية الهجرة، فكل البلدان يسيطر عليها المستعمر. وثالثاً اعتبار

1 محمد عبد الله البوصادي: المرجع السابق، ص 45.

2 نص الرسالة كاملاً أورده يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2914-2926.

3 تأثر سيدي بوي خليفة بن الشيخ محمد فاضل بحركة الحاج عمر تال، وظل يحمل مدفعه في الصلاة ويجهز المؤونة والزاد استعداداً للحرب مدة سبع سنوات وقد نهاه أبوه عن حمل السلاح وإعادة الصلاة وظل يرفض لمدة طويلة. علي بدوي: المرجع السابق، ص 106.

4 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2916.

أخف الضررين مادام الكافر لا يتدخل في أمور المسلمين<sup>1</sup>. ويرى الشيخ موسى كمرا في كتابه تاريخ قبائل البيضان أن الشيخ سعد بوه قام بتأليف هذه الرسالة لما رأى الحظوة والمكانة التي نالها الشيخ سيديا باب عند الفرنسيين، فأراد سعد بوه أن ينال بعض المكانة فكتب هذه الرسالة ليعلو شأنه، ولكنه رغم كل هذا لم يلتحق بمرتبة الشيخ سيديا باب<sup>2</sup>.

#### 1-4 أدلة ومصادر الشيخ سعد بوه في الجهاد من خلال رسالة النصيحة:

استدل الشيخ في رسالته بما ورد في كتاب الاستقصاء إن الجهاد الذي حث عليه الشرع إنما هو قتال المشركين للدخول في دين الله طوعاً أو كرهاً، وبشرط القوة المكافئة، وهذا القطر بلغ من الضعف حداً لا يوصف، ولا تماثل اليوم بين المسلمين وعدوهم في القوة والاستعداد والعدة، والأمر الآخر وهو اجتماع الكلمة، وهذا يتطلب قانوناً يجمع الناس ويسوسهم. وهذا كله غير متوفر فلا سبيل للحرب، كما استدل بأقوال الشيخ الرهوني بأن الخروج للقتال من دون إمام قد يجني على المسلمين ويجر عليهم شروراً لا قبل لهم بها، وقد يتسع الخرق اتساعاً لا يمكن إصلاحه. أما هذا التسارع من العامة للحرب إنما هو حمية وتسرع لا تحشى عواقبه وهم على رأي الشاعر:

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الحرب وحده والنزلا

كما استدل الشيخ سعد بوه بعدم جواز مقاتلة النصارى بحادثة قتل أسامة بن زيد رضي الله عنهما لرجل في الحرب بعد أن قال: (لا إله الا الله) وتوبيخ الرسول صلى الله عليه وسلم له، فكيف يحل دم قوم وُلِدوا عليها ونشأوا عليها وعملوا بمقتضياتها<sup>3</sup>؟ وقد كان الشيخ سعد بوه يرى أن مقاتلة النصارى ضررها أكبر من نفعها، ولهذا لم يُبح جهادهم لعدم تكافؤ قوى الطرفين. وللشيخ أيضاً عدة رسائل وكتابات يوضح فيها رأيه وموقفه من هذا الامر<sup>4</sup>.

1 محمد الأمين أن بريك: المرجع السابق، ص 81.

2 موسى كمرا: تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، تح: حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص 141.

3 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2919-2921.

4 محمد بن سيدي محمد مولاي: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الامام مالك، موريتانيا، 2008، ص 333.

## 2- موقف الشيخ سيديا باب (1860-1924م) من الجهاد:

استدل الشيخ سيديا باب عن موقفه من الجهاد بالآية الكريمة من سورة التوبة: ﴿لَيْسَ عَلَيَّ الْأُضْعَفَاءِ وَلَا عَلَيَّ الْمَرْضِيِّ وَلَا عَلَيَّ الَّذِينَ لَا يُجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>1</sup>. فحال أهل البلاد الموريتانية لا يخفى على أحد وبالتالي فهم معذورون عن الجهاد، لحالة الضعف التي يعيشونها من قلة ذات اليد، وعدم وجود سلطان حاكم، وانعدام بيت المال، وعدم وجود السلاح المكافئ أو حتى المقارب لسلاح النصارى<sup>2</sup>. ويضيف الشيخ بأن صاحب الفطرة السلمية يدرك تماماً بأن أهل البلد لا طاقة لهم بجهاد المسيحيين فلا خزينة مال ولا أسلحة متطورة يمكن أن يجاهدوا بها<sup>3</sup>.

## 3- موقف الشيخ أحمدو بمب (1853-1927م) من الجهاد:

يعد الشيخ أحمدو بمب من الفقهاء الذين تغيرت مواقفهم من الاستعمار جذرياً، فبعد تصادم واضطراب في علاقاته مع الفرنسيين تحسنت علاقاته معهم إلى حد بعيد، وقد حدث هذا التحول بعد اتصال الشيخ أحمدو بمب سنة 1884م بالشيخ سيديا مما جعله يعيد النظر في كثير من المبادئ والمفاهيم<sup>4</sup>. وأصبح الشيخ أحمدو يرى أن الدولة الفرنسية بلغت من القوة حداً لا يطاق فقد استولت على البلدان فلا يمكن لأحد أن يتعرض لهم بسوء أو يخالفهم إلا من جهل حقيقتهم وحالهم، أما الجهاد فهو مشروع وسنة لكن بشرطين أساسيين وهما قوة المسلمين في العدة والعدد والنفقة حتى تكون مماثلة لقوة العدو أو تقاربه والشرط الثاني وهو وجود سلطان واحد تجتمع عليه كلمة المسلمين. وأما حال المسلمين اليوم من الضعف فهو معروف، لذا يجب عليهم المسالمة كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع قريش في مكة في بداية الدعوة درءاً للمفسدة، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد التنازل عن ثلث ثمار المدينة لرد الأحزاب. أما ما يتعلق بفرنسا فإنها لم تتعرض لأمر الدين بل العكس فهي تعين عليه وتحب أهله، وقد كانت بلاد السودان قبل مجيء الفرنسيين بلاد تلصص وأكل حق الضعفاء،

1 سورة التوبة: الآية 92.

2 موسى كمر: القبائل البيضانية، المرجع السابق، ص 153.

3 Pierre Bonte : Op. Cit., p. 06.

4 Jean Schmitz : Op.cit, p 48.

والتجبر، وها هي اليوم يسود فيها الأمن والسلام<sup>1</sup>. ويشبه الشيخ أحمدو من يريد التصدي لهؤلاء المستعمرين بمن يريد كسر الحجارة بالطوب فقتالهم مجلبة للدمار والهلاك. فالجهاد مشروع لكن ليس هذا زمنه ولا مكانه ولا تتوفر شروطه<sup>2</sup>.

#### 4- موقف الشيخ موسى كمر<sup>3</sup> (1863-1945م) من الجهاد:

يعتبر الشيخ موسى كمر أحد أهم الفقهاء الذين تناولوا قضية الجهاد والعلاقة مع الفرنسيين في القرن العشرين وذلك من خلال كتاباته ورسائله العديدة ومن أبرزها: ((زهور البساتين)) و((أكثر الراغبين في الجهاد)).

#### 4-1 كتاب أكثر الراغبين في الجهاد:

أفرد الشيخ موسى كمر كتاباً حول الجهاد وسمه ب: ((أكثر الراغبين في الجهاد بعد النبيئين من يختار الظهور وملك البلاد ولا يبالي بمن هلك في جهاده من العباد))<sup>4</sup> حوالي سنة 1926م، عبر الشيخ فيه عن أفكاره في معارضة جهاد الحاج عمر وكل الزعماء والأشخاص العاديين الذين حاولوا محاربة فرنسا باسم الجهاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي<sup>5</sup>. وسبب تأليف الشيخ كمر لهذا الكتاب أنه تمت دعوته للمساعدة في الجهاد من طرف الحاج الأمين السرخلي الكنجوري ثم من طرف الشيخ الحاج مالك التواووني وقبله الشيخ محفوظ وُلَّءاب بن الشيخ محمد الفاضل، كما دعاه إلى الجهاد ابن أخته سل صمب جوم، فكان الشيخ يعتذر لكل هؤلاء بأن أمر فرنسا قد استفحل ولا طاقة

1 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2945-2946.

2 سيد محمد ولد محمد: المرجع السابق، ص 24.

3 الشيخ موسى كمر: ولد الشيخ موسى كمر بقرية كريكى صنمبه سنة 1864م، قرأ القرآن على عدة شيوخ في فوتا، ثم تنقل بين المناطق لاهتمامه بعلوم القرآن والقصص، والفقه والتوحيد ثم انتقل الى بلاد شنقيط وقد دامت رحلته في طلب العلم حوالي ثلاثين عاماً. وبعد رجوعه الى فوتا تور عمل الشيخ على دعم علاقاته وصدقاته بالزواج من عدة قبائل حيث تزوج عشر مرات ووزق ب 28 ولداً. ألف الشيخ 12 مخطوطاً في مختلف الفنون العلمية. ينظر محمد جوف: المرجع السابق، ص 153-154.

4 يرى الطالب أخيار أن في اختيار هذا العنوان سوء أدب مع الصحابة رضوان الله عليهم الذين جاهدوا في سبيل الله، لا رغبة في ملك ولا حبا للظهور وكذلك مع الائمة والامراء العاديين الذين قاموا بالفتوحات. الطالب أخيار: المرجع السابق، ص 82.

5 موسى كمر: أكثر الراغبين في الجهاد بعد النبيئين من يختار الظهور وملك البلاد ولا يبالي بمن هلك في جهاده من العباد، تحقيق: أحمد الشكري وخدم أمباكي، معهد الدراسات الافريقية، المغرب، 2003، ص 12.

لنا بجهادها، ويرى بأن من يدعون للجهاد غايتهم الذكر الجميل وارتفاع الدرجات وحسن السمعة لا أكثر<sup>1</sup>.

ويعلل الشيخ كمرًا رفض الجهاد بعدة علل أهمها عدم وجود الإمام مما يجني على المسلمين ما لا يستطيع إصلاحه. وقد استدلل الشيخ بشرح ابن زكري لنصيحة الشيخ زروق حيث قال: "التعرض للأمور القهريّة كالجهاد ورد المظالم وتغيير المنكرات بطريق القهر والاقتدار دون يد سلطانية أو ما يقوم مقامها من الخطط الشرعية مفتاح لباب الفتنة وإهلاك المساكين بغير حق"<sup>2</sup>.

ويفرد الشيخ كمرًا فصلاً بعنوان (من موجبات النهي عن التصدر للجهاد الخوف من قتل مسلم برئ) ذكر فيه من الشواهد أسف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد معركة الجمل حيث قالت: "وددت لو أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، ومثله تأسف الامام علي بعد معركة صفين، كما أورد قصة أسامة بن زيد رضي الله عنه لما قتل الرجل الذي قال لا إله الا الله، واعتزله الحرب بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما<sup>3</sup>. ويورد الشيخ من السيرة قتل محكم بن جثامة الليثي لعامر بن الأضبّط الأشجعي وكان قد ألقى عليهم السلام، إلا أن محكما قتله، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلْمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا<sup>4</sup>. وبالجملة فقد لخص الشيخ كمرًا أسباب معارضته لجهاد الحاج عمر في ثلاث نقاط هي كثرة القتلى، والظلم والجور الذي يرافق الجهاد، وحب الظهور<sup>5</sup>.

وخلاصة القول عند الشيخ كمرًا أن الجهاد غير واجب لأمرين أساسيين: أولهما أن من يطلب الجهاد في حقيقة أمره إنما يطلب ملكاً ورغبته دنيوية، وهو يدعو إلى الاقتتال للوصول إلى غايته وتحقيق رغباته والأمر الثاني وهو عدم الاستطاعة على مقاتلة الفرنسيين لأن أمرهم عظيم وشأنهم كبير ولا

1 موسى كمرًا: أكثر الراغبين، المصدر السابق، ص 34-37.

2 محمد بن عبد الرحمن بن زكري التلمساني: شرح النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية لأحمد زروق، تح: عاصم إبراهيم الكيالي، كتاب ناشرون، لبنان، د.ت.ن.

3 موسى كمرًا: أكثر الراغبين، المصدر السابق، ص 43.

4 سورة النساء، الآية رقم 94.

5 أحمد الأزمي: موقف الشيخ موسى كمرًا، المرجع السابق، ص 143.

يستطيع أحد التصدي لهم، وجهادهم مهلكة، وهذا ما يدركه العاقل ناهيك عن العالم، والتصدي لهم قد أوقع فتنا كبرى وجرّ على البلاد مفاسد عظمى<sup>1</sup>.

#### 4-2 مصادر الشيخ كمرا في كتاب أكثر الراغبين:

اعتمد الشيخ في كتابه على عدة مصادر أبرزها ((النصيحة العامة والخاصة في التحذير من محاربة افرنسا))<sup>2</sup>، التي أرسلها الشيخ سعد بوه إلى أخيه الشيخ ماء العينين، عندما أعلن الجهاد على فرنسا سنة 1321هـ/1903م، ذكره فيها بما آل إليه أمر الحاج عمر لما حمل السلاح من قتل الأبرياء مثل الشرفاء من آل حمى الله، وقتال آل الشيخ المختار، كما ذكره بوصية أبيهما لأخيها سيدي بوي حيث أمره بوضع السلاح، وبعد سبع سنين من القتال رضخ سيدي بوي لأمر والده رغم أنه لم يقتنع بالأمر بعقله وعلمه.<sup>3</sup> والمصدر الثاني: ((الاستقصاء في اخبار المغرب الأقصى))<sup>4</sup> فقد ورد فيه أن القطر المغربي بلغ مرحلة من الضعف وقلة الاستعداد، فلا ينبغي لأهله المسارعة إلى الحرب مع العدو الكافر على ما هو عليه من غاية الشوكة والقوة، فالاستعداد لا يكون بكثرة الرجال وإنما بقوة العدة ووحدة الكلمة ووجود قانون يسوس الناس ويجمع كلمتهم<sup>5</sup>. والمصدر الثالث الذي اعتمد عليه وهو كتاب ((السيرة الحلبية))<sup>6</sup>. حيث ورد فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة في مكة صابراً على الأذى مع من آمن به رغم اشتداد الأذى ما بين ضرب وشج، ورغم أن بعض الأسياد الذين آمنوا طلبوا من الرسول القتال كعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، والمقداد بن الأسود... لكنه نهاهم عن القتال لأنهم شرذمة، وهو لم يؤمر بعد بالقتال<sup>7</sup>.

1 سيد محمد ولد محمد: المرجع السابق، ص 26.

2 أوردها يحيى بن البراء في المجموعة الكبرى. المرجع السابق، ص 2914-2926.

3 موسى كمرا: أكثر الراغبين، المصدر السابق، ص 56-57.

4 كتاب الاستقصاء في اخبار المغرب الأقصى، ألفه أبو العباس أحمد بن خالد الناصري جمع فيه تاريخ المغرب من لدن الفتح الإسلامي إلى عهد السلطان عبد العزيز بن الحسن، وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات بمشاركة مجموعة من المستشرقين. ينظر أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 09، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ص 39.

5 موسى كمرا: أكثر الراغبين، المصدر السابق، ص 64.

6 علي بن برهان الدين الحلبي: إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، ط03، المطبعة الأزهرية، مصر، 1932.

7 موسى كمرا: أكثر الراغبين، المصدر السابق، ص 72.

وأفرد الشيخ كمرا فصلاً بمن مات بسبب جهاد الشيخ الحاج عمر، حيث يذكر أن الآلاف ماتوا بسبب جهاده وإكراهه الآلاف على الهجرة عند تغلب النصارى، فمنهم من مات جوعاً ومنهم من صار رقيقاً، كما هلك الحرث والنسل. وإن ما وقع في جهاد الحاج يُجاوز إفساد التتار بدولة بني العباس، فقد كان يجمع الناس ويضع الحبال في أعناقهم كرهاً ليجرهم إلى مراده<sup>1</sup>. واستدل الشيخ كمرا عن منع الجهاد بحادثة قتل أسامة بن زيد رضي الله عنه لرجل كافر في معركة بعد أن قال هذا الأخير لا إله إلا الله، فيعتبر الشيخ كمرا أن هؤلاء النصارى أهل لا إله إلا الله ولا يجوز مقاتلتهم.

### 5- موقف الشيخ محمود الأرواني<sup>2</sup> من الجهاد:

يعتبر الشيخ محمود من أكثر دعاة الاستعمار وأشدّهم تحمساً له من خلال وصفه للأوضاع قبيل الاحتلال بالمظلمة، ولم تقتصر معارضته للجهاد في منطقته بل تعداه إلى مناطق أخرى، ففي زيارة للشيخ محمود لمدينة تيندوف يوم 30 أكتوبر سنة 1956م كانت له فرصة للألقاء خطاب على سكانها، بيّن فيه موقفه من الجهاد، وصرح فيه علانية أن الجهاد ضد فرنسا هو تمرد وهو مخالف لتعاليم القرآن وقد وصف المجاهدين بالمتمردين، وبيّن من خلال خطابه أن الجهاد المقدس له شروط: أولها ألا تكون حليفاً لمن تحارب وأنت تعتمد عليه مالياً واقتصادياً. والشروط الثاني هو إعلام الكافر بزمان ومكان المعركة<sup>3</sup>.

### 6- آراء فقهاء من خارج غرب إفريقيا في الجهاد:

من باب المقارنة كان لابد لنا من الوقوف عند آراء ومواقف الفقهاء المعاصرين في بلاد المغرب والاندلس الأقرب جغرافياً لغرب إفريقيا لمعرفة هل كانت القضية محسومة عندهم أم أن الخلاف واقع بينهم في هذه المسألة، وأيضاً لمعرفة مدى التواصل الفكري بين ضفتي الصحراء.

1 موسى كمرا: أكثر الراغبين، المصدر السابق، ص 48.

2 محمد محمود الأرواني: نشأ في بيت علم وجاه حيث ورث مكتبة ضخمة من نفائس العلوم، كما جاب الأرض مشرقاً ومغرباً فكان كثير الترحال، والتقى بشخصيات سياسية وفكرية كل هذا أسهم في تكوينه المعرفي، فترك ما يزيد عن ثلاثين مؤلفاً في علوم مختلفة. ينظر محمد محمود الأرواني: المصدر السابق، ص 07.

3 محمد بن داره: "الجديد في موضوع فصل الصحراء عن الشمال: المساعي الاستعمارية للشيخ محمد محمود بن الشيخ الأرواني"، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزائر، مج 2، ع 04، 2013، ص 283.

## 6-1 رأي الشيخ أحمد بن خالد الناصري<sup>1</sup> (1835-1897م) في الجهاد:

تعتبر فتوى الشيخ أحمد الناصري التي جاءت كرد على مشورة السلطان المغربي محمد الأول في التعامل مع النصارى سنة 1303هـ/1885م أهم الفتاوى التي اعتمد عليها فقهاء غرب إفريقيا في فتاويهم ، ويرى الشيخ أحمد أنه لا ينبغي لأهل بلد ما المسارعة إلى محاربة العدو إذا لم تكن القوتان متكافئتان، وتقتضي الحكمة أن تكون المدافعة بين المتماثلين، والتماثل في القوة لا علاقة له بالعدد إنما العبرة بالعدة، وللجهاد شروط يجب توفرها: ومن أبرزها اجتماع الكلمة فيكون الناس على قلب رجل واحد ، ولا بد من قانون يسوس الناس وينظمهم، ولا بد من جودة الرأي والتمرس بالحرب أي الخبرة. وضرب الشيخ الكثير من التشبيهات بين الأفرنج وغيرهم فهو يشبه الأفرنج بالطائر ذي الجناحين القويين وغيرهم بطائر مقصوص الجناحين فلا يمكن الحرب بينهما لأن المعركة محسومة من البداية. وليس هذا الجهاد هو الذي حث عليه الشرع ووعد أصحابه بالفضل العظيم<sup>2</sup>.

## 6-2 رأي أحمد بن الغزال في الجهاد:

نقل الشيخ أحمد بن الغزال في كتابه رحلة الغزال إلى الاندلس والتي كانت سنة 1179هـ الموافق 1766م، جواب الملك المغربي محمد بن عبد الله المنصور رداً على طلب الإسبان للمهادنة، إن الجهاد فرض على المسلمين بالكتاب والسنة، تقرر بأحكام الشارع وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز تأمين أعداء الله حتى يشهدوا أن لا إله الا الله أو يعطوا الجزية عن صغار كما ورد في سورة التوبة.

1 الناصري السلاوي: أحمد بن خالد بن حماد، ولد بسلا ويرجع نسبه إلى ابن ناصر الدرعي، نشأ بسلا في بيت علم ونهل من مختلف العلوم، تولى الخطابة في سن مبكرة، ثم تنقل بين شيوخ عصره وتولى عدة مناصب سامية منها خطة الشهادة ثم خطة العدالة، ترك الشيخ العديد من المؤلفات في الفقه والشعر والشروح أهمها: رسالة في تحقيق أمر سبعة رجال دفنوا مراكش، كشف العرين عن ليوث بني مرين، طلعة المشتري في النسب الجعفري... ينظر خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15 ج01، دار العلم للملايين، لبنان، 2002، ص 120.

2 أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى، ج 09، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ص 190-191.

ويستثني الشيخ أحمد إلا إذا عارض هذا الجهاد أمور أشد اقتضتها المصلحة العامة، وأكدتها المنفعة العامة في الحال<sup>1</sup>.

### 6-3 رأي وموقف الإمام التسولي<sup>2</sup> (ت 1258هـ-1842م) من الجهاد:

مع قيام فرنسا بالتعدي على أرض الجزائر انبرى علماء من أقطار عديدة للرد على هذا الاستعمار من أشهرهم الامام أبو الحسن التسولي الذي ألف خطبة جهادية راقية ضمّنها أحكام الجهاد، وحرّض عليه بمختلف الأساليب، كما نكّر على المتقاعسين والمتخاذلين، مُذكراً فيها بمخاطر الكفر الذي لا يَعدله فساد ومخاطر التثليث، وأمر بلم الشمل والاستعداد للنفير، كما نوه خلال خطبته بأن هؤلاء النصارى لا عهد لهم ولا ميثاق مما يمكن أن ينطلي على بعض ضعاف العقول. ولم يكتف الشيخ التسولي بهذا بل قام بنسخ هذه الخطبة وتعليقها ونشرها بين الناس وقام أيضاً بالتنقل بين مختلف الأحياء والمدن القريبة للدعوة للجهاد. وتأكيداً لأهمية موقفه عندما أرسل الأمير عبد القادر رسالة إلى الملك عبد الرحمن بن هاشم يستفتيه حول أمور الجهاد، انتدب هذا الأخير الشيخ التسولي للرد والإجابة على الأمير<sup>3</sup>.

ومن خلال ما سبق من الأدلة التي أوردها المعارضون للجهاد وبعضها من القرآن والسنة نطرح عليهم الأسئلة التالية: كيف يمكن للمسلم أن يكون تحت سلطة الكافر؟ وكيف نتعامل مع هؤلاء الغزاة؟ وكيف نعطل ركن هام من أركان الإسلام؟ فالإسلام لا يبنى على المصلحة دائماً، ولم تكن كل مناطق غرب إفريقيا سائبة. وأين عزة الإسلام؟ إن كانت الشعوب البدائية انكرت الاحتلال وقاومته عبر التاريخ. فالدعوة إلى الهدنة تكون بعزة الإسلام، ومن موقع قوة لا من موقع ضعف. والآثار التي ترتبت

1 أحمد بن الغزال: نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد (رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس)، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 35.

2 الإمام التسولي: هو علي بن عبد السلام التسولي، فقيه مالكي تولى قضاء الجماعة بفاس وتيطوان، له عدة تأليف، منها شرح التحفة وشرح الشامل وشرح على لامية الزقاق كما جمع وثائق الزياتي ورتبها، دفن بفاس بزواية القرويين. ينظر محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح شريف محمد حمزة، د.م.ن، د.ت.ن، ص 263.

3 التسولي: أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، تح: عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص ص 45-47.

عن هذا الاستعمار تثبت شناعته وتبطل ادعاءاته، فلم يحترم هؤلاء المحتلون ديناً ولا عرضاً بل نهبوا الأخضر واليابس وتسلطوا على ما فوق الأرض وما تحتها.

## المبحث الرابع: المقاومة السياسية والفكرية:

### 1- مفهوم ودواعي المقاومة الفكرية:

لما فشل التصدي للمستعمر بالسلاح لعدة أسباب أهمها كونه أقوى عدة وعتاداً، لجأ الشيوخ إلى نوع ثان من المقاومة ألا وهي المقاومة الفكرية والسياسية والمتمثلة في بناء المساجد ونشر الوعي باللسان والقلم، وتوحيد الصفوف من خلال التركيز على التربية الدينية، وقد قاد هذه المقاومة الجيل الثاني من الشيوخ مثل أحمدو بمب الذي عرفت مواقفه تطوراً كما أشرنا سالفاً والشيخ مالك سي وغيرهم. لكن رغم ذلك لم يسلم هؤلاء الشيوخ من المضايقات، والاتهام بالاستعداد للجهاد وتحريض الناس على المقاومة<sup>1</sup>.

وتجسدت المقاومة الفكرية التي لم تكن أقل أهمية عن مثلتها المسلحة في عدم التعامل مع النصارى، ومقاطعتهم اجتماعياً، ومقاطعة بضائعهم وعدم مخالطتهم باعتبار النصارى رجس، وأفتى عدة فقهاء بهذا في مختلف مناطق الصحراء وغرب إفريقيا ومن أبرزهم الشيخ سيدي محمد ولد ابيشر والشيخ البلال ولد سيدي إعيش العياشي حيث أفتى الأول بجرمة النظر إلى وجوه النصارى والتعامل بنقودهم<sup>2</sup>.

### 2- دور الفقهاء في المقاومة الثقافية:

#### 1-2 دور الحاج عبد الله أنياس (ت 1922م):

عمل الشيخ عبد الله أنياس وابناؤه من بعده على مقاومة المد المسيحي والثقافة الفرنسية في المنطقة وذلك من خلال إنشاء المدارس الفقهية وأخرى لتحفيظ القرآن في كل من السنغال وموريتانيا ونيجيريا وغامبيا، كما عمل على تنشئة الرجال وتكوينهم وذلك من خلال استقدام أئمة من جامع الازهر

1 المرتضي بن موسى غي: المد الرافضي في السنغال، مكتبة الملك فهد، الملكة العربية السعودية 1441هـ/2019، ص 29.

2 مبارك جعفري: "منطقة تيندوف في الجنوب الغربي الجزائري ودورها في الثورة التحريرية (1956-1962)", مجلة الحقيقة، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر، مج 17، ع 04، 2018، ص 478.

لتكوين الطلبة في المعاهد. وقد عمل الشيخ في نفس الصدد على تلقين أورد الطريقة التجانية حيث لقن الورد لما يربو عن ثلاثة أضعاف سكان السنغال<sup>1</sup>.

عُرف الشيخ عبد الله أنياس بمعارضته للسياسة الفرنسية ومقاطعته لمدارسها وثقافتها، ورفض تجنيد أبنائه في الجيش الفرنسي، وإرسالهم للمدارس الفرنسية<sup>2</sup>، ولهذا قام بتأسيس المدارس ونشر التعليم الإسلامي بين أبناء بلده، وتأليف الكتب والدعوة إلى الله، وعمل جاهدا لتكوين أفراد مرتبطين بهويتهم متحصنين ضد الغزو الفرنسي. هذه الجهود ضد السياسة الاستعمارية جعلتهم يضايقون الشيخ ويطاردونه إلى أن شفع له الشيخ مالك سي لدى السلطات الاستعمارية، فسمحوا له بالرجوع إلى السنغال سنة 1910م<sup>3</sup>.

## 2-2 دور الشيخ إبراهيم أنياس:

سار الشيخ إبراهيم على نهج والده عبد الله، فعمل من البداية على تجنب الصدام مع السلطات الاستعمارية من أجل تحقيق أهدافه وبرامجه، فعمل بجد وفي صمت على نشر التعليم وتوحيد الصفوف ونشر أورد الطريقة التجانية، حتى أن مريدي الطريقة على عهده تعدوا حدود السنغال إلى مالي والنيجر وموريتانيا، وكان يركز في منهجه على الحفاظ على الهوية الوطنية الإسلامية لشعوب المنطقة، من أجل تفويت الفرصة على دعاة التنصير والتغريب وافشال مخططاتهم<sup>4</sup>. وقد استطاع الشيخ إبراهيم نشر الطريقة التجانية بين عامة الناس وبين الفقهاء خاصة، وذلك من خلال تقرب وجهات النظر بين الطريقة التجانية وبقية الطرق الأخرى، وذلك تجسيدا للتصوف الحق، الذي يهدف في مجمله إلى ضبط النفس وترويض الشهوات وإعداد الأرواح للتأمل بعيداً عن النزوات والرغبات التي تعكر صفوها<sup>5</sup>.

1 محمد جوف: المرجع السابق، ص 179.

2 عيسى صغير حسن: الشيخ إبراهيم أنياس ومنهجه في التصوف والدعوة إلى الله، مذكرة ماجستير، شعبة القرآن الكريم وعلومه، قسم الدراسات العليا، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، 2003-2004، ص 56.

3 شيخ لعرج: المرجع السابق، ص 190-191.

4 عيسى صغير حسن: المرجع السابق، ص ص 218-225.

5 محمد الصباي: "التصوف ودوره في ترسيخ العلاقات الروحية بين المغرب وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء"، قضايا تاريخية، المغرب، ع 05، 2017، ص 34.

## 2-3 دور الشيخ أحمدو بمب:

نظرا لسياسة فرنسا الرامية إلى القضاء على الإسلام، عمل شيوخ الطرق الصوفية على مقاومتها بنفس السلاح وعلى رأس هؤلاء الشيخ أحمدو بمب مؤسس الطريقة المرينية، الذي أقلقت نشاطاته السلطات الفرنسية، فتم نفي الشيخ إلى الغابون رغم اعتراف الإدارة الفرنسية بأنه لا يوجد لديهم دليل واضح يتعلق بالدعوة إلى الحرب المقدسة، لكن تدفق الأسلحة والذخائر من خلال المناطق النائية إلى مناطق الولوف واجتماع الناس على الشيخ كان سبباً لذلك القلق<sup>1</sup>.

عمل الشيخ أحمدو بمب على إنشاء المدارس وتعليم القرآن وبناء المساجد وكتابة المصاحف وإدارة شؤون المدارس، ونشر الأوراد التجانية. وهذا ما جعل الوشاة والحاquدين من الوثنيين والمسيحيين يسعون به لدى الإدارة الفرنسية ويتهمونهم بالاستعداد وتجنيد أتباعه بتحضير جيش كبير للقيام بثورة ضدهم، وبهذا قامت السلطات الفرنسية باعتقاله ونفيه مراراً كما أسلفنا<sup>2</sup>. ولأنفه الأسباب مثلما حصل سنة 1903م عندما نفي الشيخ مجدداً، كان السبب بعض الاضطرابات في محصول الفول السوداني وعدم دفع الضرائب وعدم التعاون مع حملات التوظيف<sup>3</sup>.

## 2-4 موقف الشيخ حماه الله (ت 1943م):

أما عن مقاومة الشيخ حماه الله فتمثلت في الرفض القاطع لكل شكل من أشكال الاستعمار ولكن بطريقة سلمية، فكان الشيخ لا يزور مكاتب الإدارة الفرنسية إلا إذا دعتة وألحت على حضوره، في حين كان الشيوخ ورجال الدين يتزاحمون على أبوابها. ومرة سألته الوالي العام في باماكو لماذا لم تبارك لنا بداية السنة الميلادية؟، فأجابه الشيخ أنه لا يفقه أعياد فرنسا. وتعددت الرسائل والتقارير التي تبادلتها الإدارة الاستعمارية في موريتانيا مع مالي والسنغال والتي تصف الشيخ حماه الله بالمحرض (Agitateur) تارة وبالخطير (Dangereux) تارة أخرى<sup>4</sup>. تمتع الشيخ حماه الله بنوع من الروحانية أقلقت الإدارة الفرنسية بشكل مفرط سواء في شخصه أو ما يتعلق بسلطته العرفية التي تضمن هذا التكتل وهذا النظام

1 David Robinson: Beyond resistance and collaboration: Amadu Bamba and the Murids of Senegal, journal of religion in Africa, 19, 1991, p. 160.

2 محمد جوف: المرجع السابق، ص 183.

3 David Robinson: Op. Cit., p. 164.

4 سيدي أحمد ولد الأمير: المرجع السابق، ص 31.

الاجتماعي، حتى أصبح الفرنسيون يسمون كل الثوار باسم الحمالين (أتباع الطريقة الحموية) ويعتبرونهم من أكثر المعارضين خطورة للسياسة الاستعمارية<sup>1</sup>.

## 2-5 موقف الشيخ مالك سي (1858-1922م):

لم تكن مواجهة الفرنسيين في الغرب الإفريقي بالسيف والسلاح فقط، بل إن القلم كان حاضراً دائماً، وهذا ما أرق الإدارة الفرنسية وأفضل مخططاتها. ونجد على رأس المفكرين والفقهاء الذين كان لهم دور السبق والريادة في مجال المحافظة على الهوية الإسلامية واللغة العربية في السنغال خاصة وفي غرب إفريقيا عامة الشيخ مالك سي، الذي قاد حركة نشطة في بناء مدارس القرآن (الدارات) والإشراف عليها في كثير من مناطق السنغال، والتي عرفت انتشاراً مذهباً واكتسبت شهرة كبيرة وسط الأهالي، مما جعل السلطات الفرنسية تحاول القضاء على هذه الدارات بشتى الطرق من خلال منعها وتطويقها وإنشاء مدارس موازية<sup>2</sup>. إضافة إلى الدارات فقد قام الشيخ مالك بتأسيس زاويته في توارون والتي تعتبر بمثابة الجامعة العصرية نظراً لتنوع العلوم التي كانت تدرس بها اعتماداً على أمهات الكتب المالكية كالرسالة ومختصر خليل حيث يتحلق التلاميذ في مجموعات يتولاها أستاذ يقوم بتعليمهم<sup>3</sup>. ورغم تباين مواقف التجانيين من الاستعمار فإن الشيخ مالك سي في توارون والشيخ إبراهيم أنياس في كاواك كان لهم منهجها الخاص وهو التعاون مع المستعمر بشكل محدود لضمان عدم التعرض لهما وبالتالي تحقيق أهدافهما بطريقة سلمية وبشكل مضمون<sup>4</sup>.

## 2-6 مقاومة الشيخ سعيد نور تال:

تولى الشيخ سعيد نور تال سنة 1922م قيادة الطريقة التجانية في غرب إفريقيا بعد وفاة شيخه وصهره الحاج مالك سي، وقد قام الشيخ سعيد بخدمات جليلة بالدعوة لدين الإسلام من خلال رحلاته ومؤلفاته، ومن خلال كشف ادعاءات وأباطيل ما يروج له الاستعمار. وإن كانت المواقف قد تباينت

1 Dassetto Felice et Pierre-Joseph, Ramatoullay : une confrérie musulmane en transition, revue de recherches sociologiques et anthropologiques, 2, Université Catholique, Belgique, 2006, p. 54.

2 الناصر عبد الله أبو كروق: المرجع السابق، ص 169.

3 Paul Marty : L'Islam en Mauritanie et au Sénégal, Op. cit, p 375.

4 Dassetto Felice et Pierre-Joseph : Op. Cit., p. 53.

بين الفقهاء من عدة قضايا إلا إن حرصهم على التعليم والحفاظ على الهوية قد جمع شملهم ووجد كلمتهم<sup>1</sup>.

### المبحث الخامس: سياسة الاستعمار والطرق الصوفية في غرب إفريقيا:

انطلاقاً مما أسلفنا ذكره عن أسباب ودوافع الاستعمار الرامي إلى نشر مدينته الأوروبية المزعومة وكذا نشر الديانة المسيحية، التي تجلت مع بداية الاستعمار في كثير من الجهات، ونظراً لكون السمة العامة لمنطقة غرب إفريقيا تغلب عليها المسحة الصوفية، وجب الوقوف عند العلاقة بين الإدارة الاستعمارية والطرق الصوفية وكيف تطورت هذه العلاقات.

#### 1- سياسة الاستعمار تجاه الإسلام:

أحس الاستعمار منذ البداية إن الإسلام هو العدو الأول الذي يقف أمام تقدمه، لهذا عمل المستعمرون على محاربهته بكل الوسائل بداية بتشكيك الناس في العقيدة والإعلان أن الإسلام دين غير صالح للسود، ولم يتبرموا عن إعلان حروب صليبية ضده وهذا بشهادة البعض منهم، ولهذا الغرض سخرت الإدارة كل الوسائل العلنية والسرية لمحاربة هذا الدين، وقد قَسَمَت الإدارة الفرنسية المسلمين بعد دراسات مستفيضة إلى عدة فئات: فئة لا بد من تحطيمها، فئة تخضع للمراقبة الدائمة، فئة لا خوف منها، فئة تُستغل لأغراض سياسية ودينية، فئة يجب إبعادها عن البلاد، وفئة صالحة تستحق التشجيع والتكريم<sup>2</sup>.

عرفت العلاقات بين الاستعمار والإسلام في السنغال تطوراً ملحوظاً فقد اتسمت العلاقة في البداية بالعنف والقسوة والمجابهة حيث ظهر مقاومين واثارين كبار ضد الاستعمار على غرار الحاج عمر، محمد الأمين درامي، الشيخ مابا جاخو، أحمدو الشيخ... فكان نصيبهم الاستشهاد أو النفي أو

1 شيخ لعرج: المرجع السابق، ص 195-196.

2 عبد الله عيسى: مجمل تاريخ السنغال، المرجع السابق، ص 391.

التنكيل، لكن مع مطلع القرن العشرين انجلت غيوم الصراع المسلح ليكون الصراع الجديد من أجل إثبات الذات<sup>1</sup>.

## 2- موقف الاستعمار من المؤسسات الإسلامية:

عمل الاستعمار على محاصرة المؤسسات الإسلامية بداية بالمساجد فلم يسمح بنائها إلا لمن يثق فيهم، وعمل على تطويق المدارس الإسلامية من خلال بناء مؤسسات تعليمية موازية، ولم تُترك للمدارس الأهلية أي حرية، ونفس الأمر بالنسبة لمؤسسات القضاء بخلق قضاء موازي. كما عملت على محاربة اللغة العربية بفرض شروط معقدة وصعبة وفي نفس الوقت محاولة استبدال اللغات المحلية واللغة العربية بلغة المستعمر من خلال تدريسها وفرضها في التعاملات الإدارية<sup>2</sup>. وقد لجأ الاستعمار فيما بعد إلى وسيلة أنجح وأخطر ألا وهي إنشاء مدارس فرنسية عربية Ecole Franco Arabe حيث تم تأسيس أول مدرسة بسان لويس 1908م، أسهمت بشكل كبير في نشر التغريب والعلمنة وعملت على غزو الثقافة الإسلامية من الداخل<sup>3</sup>.

وفي بلاد شنقيط، خاضت المحضرة<sup>4</sup> معارك وصراع طويل وشاق مع المدارس الفرنسية، مما جرَّ على المحضرة تكالب العديد من الأعداء سواء سياسيين، أو إداريين أو مثقفين. وهذا كله من صنع الاستعمار الذي عمل جهده بكل الوسائل من أجل طعن المحضرة في القلب، ورغم أن المحضرة خرجت منتصرة من المعركة حيث أنها أفضلت مخططات الاستعمار، وكانت حرزاً وحصناً منيعاً أمام الغزو الثقافي إلا أن الجراح أثنختها وأحدثت شخراً في جدارها وثقياً في ثوبها<sup>5</sup>.

1 عبد القادر محمد سيلا: المسلمون في السنغال معالم الحاضر وأفاق المستقبل، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، 1406هـ/1986، ص 92.

2 عبد الله عيسى: مجمل تاريخ السنغال، المرجع السابق، ص 392-393.

3 الناصر عبد الله أبو كروق: المرجع السابق، ص 169.

4 المحاضر: هي مدارس موريتانية فريدة من نوعها ذات نظام تعليمي متكامل ملائمة للبيئة الصحراوية، فهي لا ترتبط بمكان أو بناء أو محل ثابت بل هي متنقلة تنتقل شيخها، منها ما هو متخصص بالقرآن وأخرى بالعربية وعلومها ومنها ما يشبه الجامعات العصرية الكبرى في العالم الإسلامي كالأزهر والزيتونة. ينظر محمد المحجوب ولد بيه: المرجع السابق، ص 262-263.

5 خليل النحوي: المرجع السابق، ص 428.

عملت الإدارة الاستعمارية على بناء المدارس لإدراكها أهمية التعليم في السيطرة على عقول الصغار وجعلهم يتخلون عن هويتهم شيئاً فشيئاً، إلا أن هذه السياسة لقيت معارضة شديدة في موريتانيا بفضل مجموعة من العلماء من أبرزهم المختار بن بلول الحاجي ومحمد حامد بن آلاه الحسني الذين أدركوا خطورة هذه المدارس وتأثيرها حيث أصدروا عدة فتاوي تمنع الصغار من الالتحاق بالمدارس الغربية وقد كانت المحاضرة هي الركيزة الثقافية للبلاد واستطاع المشرفون عنها إفشال التعليم الغربي<sup>1</sup>.

### 3-أساليب فرنسا لنشر ثقافتها:

من أجل طمس الهوية وتقويض الوطنية في مستعمراتها طبقت فرنسا عدة أساليب وطرق لتحقيق أهدافها، وبذلت كل ما في وسعها من أجل نشر ثقافتها وأفكارها داخل المستعمرات من أجل أن تجعل هذه الشعوب تابعة لها، وهذا ما يعرف بسياسة الاستيعاب، ومن أجل نجاح سياستها عملت على تشييد المدارس ومراقبة مشايخ المحاضر حيث صنفتهم إلى ثلاثة أصناف ( مشايخ يجب مكافحتهم، مشايخ يجب الحذر منهم، مشايخ لا خوف منهم)، وعملت على محاربة بناء المساجد، وتقليص عمل المحاكم الشرعية وتعيين قضاةها، ومنع المسلمين من أداء فريضة الحج، ومنع دخول كتب الدين من الخارج.<sup>2</sup> وقد ركزت الكتابات الغربية في مجملها على عرض كرامات الشيوخ وخاصة المؤيدين لها بصورة مبالغة فيها حتى أضحت سيرهم تشبه أفلام الخيال<sup>3</sup>.

ذهب بعض المستعمرين إلى محاربة الإسلام بنشر الأكاذيب بحجة أن هذا الدين مثلاً لا يصلح للأفارقة بل ذهب بعضهم إلى أن كل المساوي التي تعيشها إفريقيا أتت من الإسلام، ومن ذلك ما ادعاه أبدون أوجين ماج 1868م، في كتابه ((رحلة في السودان الغربي))، ولهذا نفذت الإدارة الاستعمارية سياسة محكمة للقضاء على الإسلام والحيلولة دون انتشاره في البداية بالعنف والشدة ثم استعمال طرق أكثر دبلوماسية مثل: مراقبة المسلمين ومراقبة المؤسسات الدينية...<sup>4</sup> كما عملوا على ترسيخ دعائم الكنيسة، وبذل الأموال من أجل تنصير المسلمين ومحاوله تشكيكهم في دينهم، وكما أسلفنا اختلق الأوروبيون مصطلح (الإسلام الأسود)، كما عملوا على غلق المساجد ومنع بنائها، ومحاربة

1 سيد محمد ولد محمد: المرجع السابق، ص 19.

2 محمد محبوب ولد بيه: المرجع السابق، ص 255.

3 Paul Marty : L'Islam en Mauritanie et au Sénégal, Op.cit, p 33-34.

4 عبد القادر محمد سيلا: المرجع السابق، ص 85-86.

المحاكم الشرعية، واغلاق المدارس القرآنية، ومن أساليبهم ما قامت به فرنسا مثلاً من منع دخول الكتب إلى أرض السنغال حيث أجازوا الدخول لبعض الكتب فقط مثل المصاحف وكتب التصوف واللغة... وتم تأسيس لجنة في سان لويس لمراقبة الكتب حيث يُرمى ويُحرق أي كتاب يتعلق بالجهاد<sup>1</sup>.

#### 4- دور الطرق الصوفية في مواجهة الاستعمار:

من أبرز المسائل التي أثارت جدلاً كبيراً في التاريخ الإفريقي المعاصر هو موقف الطرق الصوفية من الاستعمار، وتشير العديد من الدراسات وعلى رأسها الكتابات الفرنسية مثل كتابات لوي رين وكزافيي كابولاني وغيرهم، إلى أن الطرق الصوفية هي التي مهدت ومكنت من التغلغل الاستعماري في إفريقيا، غير أن الحوادث تؤكد العكس، فالتصوف يعد أهم السمات الثقافية والفكرية لمجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء، والفضل الأول في انتشار الإسلام في العديد من البلدان الإفريقية كالسنغال، مالي، النيجر، غانا، غينيا، نيجيريا والتشاد يرجع لهذه الطرق، فهي التي استطاعت التأثير في هذه الشعوب وتعبئتها حتى غدت المسحة الصوفية مظهراً من مظاهر هذه الدول. وإن سلمنا فرضاً بأقوال هؤلاء الفرنسيين فَمَن الذي قاوم الاستعمار ووقف في وجهه إذن في كل هذه المناطق<sup>2</sup>؟ وكمثال على هذا التضارب يرى محمد ديوف (مفكر سنغالي) أن الطرق الصوفية في السنغال رفضت سياسة الاستيعاب الفرنسية من أجل تحويل السنغال إلى ولاية تابعة لفرنسا على عكس بعض الطرق الصوفية في شمال إفريقيا التي تبنت هذا الموقف، وسهلوا للاستعمار التوغل بين فئات المجتمع عن طريق تحالفهم معهم فلم يكن زعماء الصوفية في السنغال من ((بني وي وي))<sup>3</sup>.

1 المرتضى بن موسى غي: المرجع السابق، ص33.

2 محمد الصابي: المرجع السابق، ص 32.

3 عائشة بومدين: الصوفية والسياسة في السنغال، المرجع السابق، ص 288.

## 5- موقف الطرق الصوفية من سياسة الاستعمار:

تباينت مواقف الطرق الصوفية والفقهاء من الاستعمار ما بين رافض مقاوم ومهادن موال، وفريق آخر اختار أن يلعب دور الوسيط بين المستعمر والقبائل، بغية قبول المجتمع لسيطرة الأجنبي تحت شعار السلم الاستعماري<sup>1</sup>. فالقادرية بمختلف فروعها: البكائية<sup>2</sup> والفاضلية<sup>3</sup> حملتا لواء المقاومة الفكرية كما حملتا السلاح في وجه المستعمر، وذلك من خلال الشيخ عابدين والشيخ ماء العينين على الترتيب. ونفس الأمر بالنسبة للتجانبة بفرعيها الأم والحموية، فقد اشتهر الفرع الأول بحمل السلاح في البداية بينما الفرع الثاني اشتهر بالمقاومة السياسية. وتميزت الطريقة الموريدية بالمقاومة السياسية بينما اشتهرت الطريقة الأغظفية<sup>4</sup> باستخدام القوة وتجسد ذلك في قتل أحد موريديها (مولاي الزين) لكابولاني، كما هاجرت أعداد كبيرة من أتباع هذه الطريقة الأخيرة بعد تمكن الاستعمار، وازمحلل المقاومة. وهذا التباين في آراء وموقف قادة وزعماء طريقة محددة يجعلنا لا نستطيع الحكم على طريقة بموقف معين.

1 حماد الله ولد السالم: حرب الرمال، المرجع السابق، ص 34.

2 الطريقة البكائية: تنسب إلى مؤسسها أمير بن الشيخ أحمد البكاي الذي لازم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وتلمذ على يده نهاية القرن التاسع الهجري، وعرفت الطريقة انتشاراً وتوسعاً لما آلت مشيختها للمختار الكبير نظراً لكثرة علاقته وتعدد تلامذته والدور الإصلاحية الذي قام به الشيخ، فانتسب إليها الكثير من العلماء والاعلام في الصحراء وفي غرب إفريقيا عموماً. ينظر محمد المصطفى ولد البشير: "التصوف الشنقيطي: المراحل التاريخية وأهم الطرق الصوفية"، دراسات موريتانية، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ع 03، 2014، ص 181.

3 الطريقة الفاضلية: تنسب الطريقة الفاضلية إلى مؤسسها الشيخ محمد الفاضل بن مامين (ت 1268هـ) وهي إحدى فروع الطريقة القادرية، عرفت الفاضلية انتشاراً على يد الشيخ ماء العينين في المغرب والصحراء وعلى يد أخيه سعد بيه في موريتانيا والسنغال، تتميز الطريقة الفاضلية بعدم تمييزها بين الطرق الصوفية مادام مصدرها واحد الكتاب والسنة. ينظر ماء العينين مربيه ربه: فرع الطريقة الفاضلية في كازامانس، الصحراء في العلاقات المغربية الإفريقية، دار ابي رفاق للطباعة والنشر، الرباط، 2015، ص ص 33-35.

4 الطريقة الاغظفية: هي إحدى فروع الطريقة الشاذلية تنسب إلى مؤسسها محمد الاغظف الداودي الجعفري (ت 1218هـ) ويصل سند هذه الطريقة إلى محمد بن ناصر الدرعي، ويذكر الخليل النحوي أنها مزيج بين القادرية والشاذلية. ينظر محمد المصطفى ولد البشير: التصوف الشنقيطي: المرجع السابق، ص 183.

## 6- موقف الاستعمار من الطرق الصوفية:

أدركت الإدارة الاستعمارية تأثير الطرق الصوفية في المنطقة، وما يمكن أن تكسبها من خلال ولائها، ولذلك اتبعت معها سياسة [فرق تسد]، ونجحت في استغلال التنافس بين اتباع الطرق فحرضت بعضهم على بعض<sup>1</sup>. وقد عملت الإدارة الاستعمارية بداية من أجل القضاء على الطرق الصوفية على دراستها ومعرفتها، حيث سخرت لهذا الغرض ضباط قاموا بدراسة كل طريقة على حدة، وجمعوا المعلومات حول شيوخها ومقدميها كما أحصوا أتباعها وأوقافها، بل وصنفوا تأليف حول هذه الطرق من أبرزها كتاب ((اكتشاف الصحراء طوارق الشمال)) لمؤلفه هنري دوفيرييه وكتاب ((Marabouts et Khouan)) للويس رين<sup>2</sup>. وايضاً الدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية التي قام بها مجموعة من الباحثين والعسكريين ومن أشهر تلك المؤلفات كتاب ((الطرق الدينية الإسلامية)) لدييو وكابولاني الذي خرج بمجموعة من التوصيات بعد دراسة مستفيضة لأهم الطرق وفروعها. ومن أبرز تلك التوصيات ضرورة ربط علاقات مع كل الطرق الصوفية ومن دون تمييز لضمان السيطرة التامة على المجتمع ومن أجل بسط الوصاية الفرنسية وتسهيل نشر الرسالة الحضارية خصوصاً أن تلك الطرق لها امتدادات لا تتوقف عند الحدود المرسومة<sup>3</sup>.

عملت الإدارة الاستعمارية على ادماج المرابطين والفقهاء في منظورهم السياسي واعتبرت كل من لم يُبند استعداداً للتعاون معها تائراً، فقد نفت الشيخ حمى الله العابد الزاهد إلى الجزائر ثم إلى فرنسا لأنه رفض العمل بوحيمهم، ولهذا سلطوا جمعاً من أتباعهم لمحاربة أتباعه، فحدثت معركة بين الطرفين راح ضحيتها ما يزيد عن أربعمئة شخص<sup>4</sup>. وفي نفس الوقت عملت على تشتيت وتفارقة الطرق الصوفية عن بعضها البعض على حسب الأصول، فمن ذلك ما حدث سنة 1884م حينما أقنعوا التجانيين

1 خديم أمباكي: الطرق الصوفية في السنغال: بنيانها الاجتماعية وأدوارها السياسية، تقارير الجزيرة، قطر 05، أوت 2018، ص 09.

2 عبد العزيز شهبي: "سياسة الاستعمار تجاه الطرق الصوفية بالجزائر في أواخر القرن 19"، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر مجلد 02 العدد 03، 2012، ص 91-92.

3 زاوي خديجة: الكتابات الكولونيالية حول التصوف الطريقي، مجلة العلوم الإنسانية، مج 04، ع 02، 2015، ص 280.

4 إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص 373.

بأن الطرق الزيانية والكرزانية والطيبية ذات أصول مغربية وأنها تنظر للتجانبة نظرة سخط وتسعى لإضعاف نفوذها في الجزائر وغرب إفريقيا<sup>1</sup>.

### 7- نهاية المقاومات الوطنية:

تواصلت المقاومات المسلحة في كثير من المناطق رغم تراجع حدتها مع مرور الأيام، ففي موريتانيا مثلاً لم تتمكن فرنسا من القضاء النهائي على المقاومة المسلحة إلا سنة 1834م، أما المقاومة السياسية والثقافية فلم تنقطع تماماً<sup>2</sup>. كان لتضارب الآراء وعدم الوحدة واستسلام الكثير من القبائل تبعاً مع استسلام الكثير من القادة واستشهاد البعض الآخر البالغ في تفهقر ونهاية المقاومة المسلحة، ويضاف لهذه العوامل سياسة الاستعمار مجسدة في ترسيم وإغلاق الحدود بين البلدان، ورغم ذلك فإن المقاومة الفكرية ظلت قائمة باتخاذها القلم سلاحاً والمحضرة رباطاً. وفي المقابل عملت السلطات الاستعمارية على منع الحج ومنع التنقل بين البلدان، وبناء المدارس، ومحاربة اللغة العربية وانتشارها، ومنع الصحف، والعمل على التفرقة بين البيضان والسود<sup>3</sup>. وفي هذه الفترة عموماً مالت مختلف البلدان المستعمرة في العالم إلى المسالمة والمهادنة، واللجوء إلى طرق أخرى لطرده المحتل بعد فشل الجهاد والمقاومة المسلحة<sup>4</sup>.

### 8- تقييم حركة الجهاد:

حاول الشيخ عثمان بن فودي في السنوات الأخيرة من عمره من خلال كتاباته تقييم حركة الجهاد، وقد لقي معارضة من أخيه عبد الله في هذا الشأن حيث رأى هذا الأخير أن أهداف وغايات الجهاد لم تتحقق بعد، لأن بعض الجماعات استغلت هذه الفكرة لخدمة أغراضها الدنيوية الخاصة وابتعدوا عن الأهداف والغايات التي قام من أجلها الجهاد، بينما الشيخ عثمان كانت له نظرة مختلفة تماماً في آخر

1 محمد الأمين شرويك: الطرق الصوفية في الجزائر بين ثنائية المقاومة والموالاة للاستعمار 1803-1954م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2019-2020م، ص 171.

2 الحسين بن محض: المرجع السابق، ص 276.

3 علي سعدي عبد الزهرة: المرجع السابق، ص 184.

4 محمد المحجوب ولد بيه: المرجع السابق، ص 247.

عمره، حيث رأى بأن حمل كل الناس على تقبل فكرة الجهاد خطأ، وذلك لاختلاف قدراتهم واستيعابهم للفكرة، وأن هذه الفكرة لها جانبان إيجابي وسلبي إلا أن محاسنها أكثر من مساوئها<sup>1</sup>.

ومن كل ما سبق يمكن إجمال الآراء المؤيدة للجهاد والمعارضة له على حسب رأي باب ولد أحمد في عدة نقاط هي كالتالي: إن الجهاد واجب، وينتقل وجوبه إلى الجيران من المسلمين إن عجز أهل البلد، وله شروط عدة، ويجوز القتال من غير أمير فلكل إقليم قائد هو بمثابة الأمير، الأمير الأكبر في إسطنبول فعلى أهل الغرب أن يطيعوه ويقاتلوا العدو تحت رايته، والاعتذار بأن النصارى يمتلكون مقاليد الرزق، وأن الضرورة تبيح المحظورات غير جائز، فالرزق بيد الله، بل على الناس أن تقاطع المنتجات والاقتصاد الفرنسي والعودة إلى الأساليب التقليدية وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وأخيراً الهجرة عن الأرض التي سيطر عليها النصارى واجبة لأنها تسمى أرض حرب، والبقاء في الصحراء الواقعة بيد الكفار ومع المهادين هي من أشد الضرر<sup>2</sup>.

واستخلاصاً لما سبق يمكن القول:

- اهتم فقهاء السودان الغربي بقضية الجهاد حيث صنفوا العديد من التأليف حول هذا الموضوع قبل وبعد بروز ظاهرة الاستعمار، مما شكل تراثاً ضخماً يحتاج إلى إعادة الاعتبار.  
- بالرجوع إلى تاريخ إفريقيا الغربية نجد أنها عرفت سلسلة من الحركات الجهادية حتى قبل الاستعمار، حيث كانت الحروب مشتتة على عدة جبهات ضد الوثنيين وضد التواجد الأوروبي، وحتى بين المسلمين.

- أكثر ما شغل بال المسلمين في إفريقيا الغربية مع مجيء الاستعمار قبل الأرض والمال والولد قضية ولاية الكافر على المؤمن.

- إن الجهاد فرض كفاية وقد يتحول إلى فرض عين وهذا الواجب اعترف به الشرع والقانون الدولي. وأدلة أصحاب هذا الرأي واضحة وهي قوية معظمها من القرآن والسنة النبوية الشريفة. ومنطقياً لا يمكن أن نفتح للمستعمر الأبواب، ونفرش طريقه بالورود.

1 احمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 109.

2 باب ولد أحمد: المرجع السابق، ص 17-19.

- عرفت الكثير من الحركات الجهادية تواملاً، فمن حروب الوثنيين دخلت هذه الحركات مباشرة في صراع مع المستعمرين بل في كثير من الأحيان كان القتال متزواجاً.
- ساق المعارضون للجهاد أدلة من القرآن والسنة، وحاولوا تثييط الناس عن الجهاد انطلاقاً من قاعدة درء المفسدة أولى من جلب المصلحة.
- اهتم كثير من الفقهاء بالمقاومة السياسية ونصرة الدين ضد الحملات التنصيرية، لأن الحرب مع المستعمر لم تكن بالسلح فقط بل كانت حرب هوية.
- لا يمكن تحديد جهة أو طريقة أو قبيلة تبنت رأي الجهاد بكل أفرادها، فقد انقسمت الجهات وانقسمت الطرق الصوفية كما انقسم الإخوة حول هذا الموضوع.

## الفصل الثالث: أراء فقهاء غرب إفريقيا في الهجرة

المبحث الأول: ماهية الهجرة وتاريخها عند الفقهاء

المبحث الثاني: المواقف المؤيدة للهجرة

المبحث الثالث: المواقف المعارضة للهجرة

المبحث الرابع: المواقف والآراء في حكم من بقي في دار الحرب

المبحث الخامس: نماذج من الهجرة بعد الاستعمار

المبحث السادس: تطورات مواقف الهجرة

المبحث السابع: تطورات مواقف الهجرة

إن المتأمل في مواقف الهجرة يجدها امتداداً لمواقف الجهاد، فهي تعبير عن الرفض بعد سيطرة المستعمر، وخضوع البلدان الإسلامية في غرب إفريقيا لسلطانه، وهذا ما رجحه بعض الفقهاء حيث رأوه الخيار الأمثل، وهم في لجوئهم لهذا الموقف مضطرين حتى لا يقبَعوا تحت ولاية النصارى، وهذا الخيار جاء به الشرع، وتناوله الفقهاء منذ فجر الإسلام، حيث أن الهجرات من غرب إفريقيا لم تكن الأولى في التاريخ، لكن يبقى السؤال المطروح هل خيار الهجرة هو الواجب والأولى في مثل هذه الظروف؟ وهذا ما جعل الفقهاء يختلفون أيضاً حول هذا الخيار ما بين مؤيد له ورافض.

## المبحث الأول: ماهية الهجرة وتاريخها عند الفقهاء:

### 1- مفهوم الهجرة:

أورد الفيروز آبادي في كتابه القاموس المحيط إن الهجرة أو الهجرة بالضم أو الكسر هي الخروج من أرض إلى أخرى<sup>1</sup>. وهو نفس ما ذهب إليه ابن منظور وزاد هذا الأخير إن المهاجرون هم الذين ذهبوا مع النبي صلى الله عليه وسلم والتَّهَجَّر هو التشبه بالمهاجرين<sup>2</sup>. وقد عرفها أحمد الشرقاوي إقبال ب: " خروج الفرد من أرض وانتقاله إلى أرض أخرى بهدف الحصول على الأمان والرزق، أو هي انتقال المرء من بلدٍ إلى بلدٍ آخر ليس مواطناً فيه، ليعيش فيه بصفةٍ دائمة<sup>3</sup>."

أما في الاصطلاح فمفهوم الهجرة يختلف على حسب التخصص فهو لدى علماء الاجتماع يختلف عنه عند علماء الشريعة وعلماء القانون مثلاً. ففي الشريعة الإسلامية تأخذ الهجرة معان عدة أبرزها الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وقد وردت آيات وأحاديث عديدة حولها قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>4</sup> ومن السنة الحديث الذي صدر به الإمام النووي كتابه ((رياض الصالحين))، قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الاعمال بالنيات

1 الفيروز آبادي: المصدر السابق، ص 495.

2 ابن منظور: المصدر السابق، ص 4617.

3 أحمد الشرقاوي إقبال: معجم المعاجم، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1993، ص321

4 سورة النساء: الآية 99.

وإنما لكل أمرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"<sup>1</sup>.

## 2- كتابات ومؤلفات حول الهجرة:

اعتنى فقهاء المالكية بموضوع الهجرة سواءً قديماً أو حديثاً فصنفوا فيها العديد من الكتب والرسائل المتعلقة بأحكامها ومن أبرز تلك المؤلفات: ((رسالة في حكم الهجرة عن البلاد المحتلة)) لسيدنا باب (ت1342هـ/1923م)، و((سؤال وجواب عن حكم الاحتماء بالنصارى))، ((نصيحة أهل الإسلام)) لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (ت1345هـ/1926م)، و((منار الحيارى في حكم من غلب على وطنه النصارى)) لسيدنا أحمد بن حبت الغلاوي (ت1354هـ/1935م) و((جواب في أحكام الهجرة)) لأحمد بن المأمون البلغيتي. و((رسالة بخصوص الهجرة من دار الكفار)) لمحمود بن عبد الرحمن الادوزي (ت1351هـ/1932م)<sup>2</sup>. ولقد لقي هذا الموضوع اهتماماً بالغاً عند علماء شنقيط في مؤلفاتهم نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ((هداية من حار في أمر النصارى)) للشيخ ماء العينين، كما يوجد مؤلف مهم يختص بهذه القضية عنوانه ((إزالة الحرج في رد ما عند من أسقط الهجرة من الحجج)) لمحمد حبيب بن ماياي الجكني (ت1364هـ)<sup>3</sup>.

## 3- الهجرة عند قدماء الفقهاء:

لو حاولنا البحث عن تاريخ الهجرة عند قدماء فقهاء المسلمين، فإننا نلاحظ أن القضية لم يكن حولها نقاش عميق، نظراً لقوة المسلمين وسيطرتهم على أراضيهم، ورغم ذلك فقد تناولها بعضهم في كتاباتهم وأكدوا على وجوبها بالإجماع في حالة الافتتان في الدين، كما تناولوا بعض المسائل التي تتعلق بها، ومن ذلك حُكم من لم يهاجر وحُكم ماله. ومع ضعف المسلمين وتوالي سيطرة المسيحيين على أراضيهم وتحكمهم فيهم طرحت هذه القضايا بشدة وتوالت الأسئلة حولها، مما جعل الفقهاء يدقون

1 محيي الدين يحيى بن شرف النووي: رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين، دار ابن الجوزي، المملكة السعودية، 2001، ص43.

2 محمد العلمي: المرجع السابق، ص 388-389.

3 محمدو محمدن أمين: المرجع السابق، ص 106.

ناقوس الخطر نظراً لخطورة هذه الوضعية التي تهدد المسلمين في دينهم وديناهم، فنادوا بوجودها إلى الأراضي التي تُطبق فيها أحكام الإسلام<sup>1</sup>.

#### 4-تاريخ مسألة الهجرة والبقاء في دار الحرب:

يرى الدكتور حسين مؤنس أن هذه المسألة قديمة، فعلماء المشرق لم يعتبروها مشكلة أصلاً، فقد كان النصارى يخضعون للمسلمين والعكس صحيح، والقانون يقضي بتبع المغلوب لقوانين الغالب على ألا يتدخل أي طرف في دين الآخر وفي عقيدته، ويرجع الفضل في ذلك إلى التشريع الإسلامي الذي نظم هذا الأمر، فالمهزوم يخضع للجزية وفي المقابل من ذلك له حقوق. أما في الاندلس فقد كان للنصارى أيام حُكم المسلمين حقوق كثيرة مقابل دفع الجزية والحفاظ على دينهم، لكن المشكلة ستبدأ عندما يشرع النصارى في الاستيلاء على المدن الإسلامية وهذا قبل سقوط غرناطة، فلما سقطت طليطلة مثلاً على يد الفونسو السادس عام 478هـ الموافق 1085م فإن المسلمين تعايشوا مع النصارى<sup>2</sup>.

سيبدأ الصراع بين المسلمين والنصارى المقيمين في غير ديارهم بعد معركة الزلاقة 1087م<sup>3</sup> وذلك بعدما حدث التحالف بين المسلمين مع إخوانهم من المغرب واستنجد ملوك النصارى بإخوانهم من المسيحيين، وهنا تبدأ حلقة جديدة من خلال تدخل رجال الدين من قساوسة وراهبان في هذا الشأن وتحولت الحروب إلى صليبية، حيث شرع المسيحيون في انتهاك حقوق المسلمين الماكثين في الأراضي النصرانية وعرضوهم لشتى أصناف التعذيب والتنكيل، فهاجر من هاجر وقتل من قتل جراء تلك الأحداث<sup>4</sup>.

1 الحسن البيوي: المرجع السابق، ص 203.

2 أبو العباس أحمد الونشريسي: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1996، ص 11.

3 معركة الزلاقة: ويسميتها الاسبان sagajas وقعت سنة 479هـ/1086م، من أهم معارك الإسلام قادها يوسف بن تاشفين ضد النصارى الصليبيين في الاندلس بقيادة الفونسو السادس، وكان عدد المسلمين فيها ما بين 20 و 48 ألف جندي على اختلاف الروايات بينما عدد النصارى ضعف ذلك، وقد حقق المسلمون انتصارا باهرا بفضل اتحاد ملوك الطوائف مع جيوش المرابطين القادمة من المغرب. ينظر حامد محمد خليفة: يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، دار القلم والدار الشامية، دمشق بيروت، 2003، ص ص 223-270.

4 أحمد الونشريسي: المصدر السابق، ص 16.

## المبحث الثاني: المواقف المؤيدة للهجرة في غرب إفريقيا:

إن فكرة الهجرة في غرب إفريقيا لم تكن وليدة القرن التاسع عشر الميلادي ولم تأت مع الاستعمار، فقد اهتم بها الفقهاء قبل ذلك وخاصة في بلاد الهوسا كما أنها ارتبطت بتاريخ المسلمين وتاريخ الأنبياء قبل ذلك ولهذا تناقشوا وألفوا عدة تأليف حولها. ومن أبرز الأدلة التي يستند إليها أصحاب هذا الرأي الآية القرآنية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أُنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (96) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا<sup>1</sup>﴾.

### 2-1-1 رأي الشيخ عثمان بن فودي (ت1817م) في الهجرة:

حظي موضوع الهجرة بنصيب كبير في فكر مؤسس دولة صكتو حيث ساق الشيخ عثمان في بداية كتابه ((بيان وجوب الهجرة على العباد)) وفي الفصل الأول منه مجموعة من الشواهد من القرآن والسنة التي تؤيد موقفه القاضي بوجوب الهجرة، وقد استدلل في الإجماع بما ورد في (المعيار) للونشريسي من وجوب الهجرة، كما ردّ الشيخ عن المتقاعسين عنها باعتبار الدين أعلى الكليات الخمسة (الدين، النفس، العقل، النسب، المال) - وقد ألحق بعضهم كلية سادسة وهي الأعراض- . وقد وجب ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا، لأن حفظ بقية الكليات أساس لحفظ الدين فهو الأولى<sup>2</sup>. ولم يكتف الشيخ بإعطاء رأيه وحكمه حول الهجرة بل تناول شروطها وأكثر من هذا فقد حدد الأسباب والجهة التي على أتباعه الاتجاه نحوها، وأكد الشيخ في كتابه بأن الهجرة واجبة بالقرآن والسنة والاجماع من معظم بلدان السودان، وقسم الشيخ البلدان التي تجب منها الهجرة إلى ثلاثة أقسام: فالقسم الأول: وهي البلدان التي غلب على سكانها الكفار وسلطانها كافر فدين البلد دين سلطانه، فهذه بلا شك بلاد كفر إذ الحكم للغالب. والقسم الثاني: وهي البلدان التي غلب على سكانها المسلمون لكن سلاطينها كفار فحكمها حكم سابقتها، وهي بلاد كفر إذ العبرة ليست بكثرة السكان، لأن راية الدنيا

1 سورة النساء: الآية 96-97.

2 عثمان بن فودي: المصدر السابق، ص 39-40.

تعلو على راية الإسلام. وأما القسم الثالث: ليس من بلاد الكفار باعتبار سلاطينه وغيرهم، فهو بلد إسلامي مطلق، وهو غير موجود في بلاد السودان، إلا أن العلماء يذكرونه<sup>1</sup>.

وقد استدلل الشيخ عثمان في أحكامه على مجموعة من الفقهاء المعاصرين له وعلى رأسهم الشيخ المختار الكنتي الكبير الذي نهي عن السفر إلى بلاد السودان في كتابه ((النصيحة الكافية))، لأن أكثر أهلها كفار، والناس على دين ملوكهم وهم يعيشون في ظلمات الجهل والهوى والكفر، كما استشهد الشيخ عثمان بكتاب ((الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان)) للشيخ أحمد بابا التمبكتي الذي يرى أن بلاد السودان قسما من بلاد كفر وبلاد إسلام<sup>2</sup>.

### 1-2 كتاب بيان وجوب الهجرة على العباد ونصب الإمام وإقامة الجهاد<sup>3</sup>:

يُعد هذا الكتاب الذي ألفه الشيخ عثمان من أهم المصادر التي اعتمدها فقهاء إمارة صكتو في هذه المسألة، وقد قسمه الشيخ إلى ثلاثة وستين فصلاً تيمناً بعدد أعوام حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فصل فيه الشيخ مسائل الجهاد وشروطها وموانعها، وميز بين قتال الكفار وقتال البغاة والمحاربين كما تناول قضايا المهادنة والجزية وأحكام موالاة الكفار وأيضاً أمور الهجرة وقد عنون الشيخ الفصل الأول من كتابه بوجوب الهجرة من بلاد الكفار<sup>4</sup>.

### 2- رأي وفتوى أحمد بن العاقل<sup>5</sup> (1741-1829م) حول الهجرة:

أشار الشيخ أحمد إلى وجوب الهجرة من بلد لا يقدر فيه المسلم على دفع الكفار ونهيمهم عن أخذ أموال المسلمين وسبي أحرارهم وإلا صار من الكافرين فينتقل إليهم ويشير إلى قول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ

1 محمد شقرون: المرجع السابق، ص 60-61.

2 عثمان بن فودي: المصدر السابق، ص 41-42.

3 هذا الكتاب يعد أهم مؤلفات الشيخ عثمان وقام الدكتور يوسف برنن تد بتحقيقه، وقام مركز الدراسات الإسلامية في جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا بنشره.

4 عثمان بن فودي: المصدر السابق، ص 35-38.

5 أحمد بن العاقل: هو أحمد بن محمد العاقل من أولاد ديمان علامة متبحر وشيخ متميز، فضلا عن الصلاح والورع والزهد، قضى أربعين سنة من عمره مدرسا ومفتيا وقاضيا، له تأليف عديدة أهمها: شرح على كبرى السنوسي، منظومة في أسرار الحروف، إضافة إلى فتاوي فقهية واحكام قضائية. محمد عبد الله ولد المصطفى: المرجع السابق، ص 13. وأيضا المختار بن حامد: حوادث السنين أربعة قرون من تاريخ موريتانيا وجوارها، تح: سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب للتراث، أبو ظبي، 2011، ص 375-376

ثَقِيلَةٌ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ<sup>ط</sup> "1" ويرد بالآية الكريمة على الذين يتعللون بالضعف وهم في نفس الوقت يُحْضِرُونَ لِسِيِّ الْمُسْلِمِينَ وَيُبْعُونَ الْخَيْلَ وَالْكَنَادِرَ لِلْمَشْرِكِينَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّعْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَنْ نَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا<sup>ط</sup>"<sup>2</sup> كما أوجب الشيخ الجهاد مستدلاً بالحديث من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة جاهلية<sup>3</sup>.

### 3- رأي الشيخ محمد بلو<sup>4</sup> (ت1253هـ/1837م) في الهجرة:

كانت كتابات الشيوخ الأوائل من أمراء إمارة صكتو تشحن الهمم بالدعوة إلى الهجرة، فبعد كتاب ((بيان وجوب الهجرة على العباد)) للشيخ عثمان نجد وثيقة أخرى من خليفته محمد بلو يبعث برسالة إلى مودبو آدم أمير أدماوا يقول فيها: "والأمر الذي ذهبت به من عندنا، وهو إنفاذ الجيوش إلى جنوب وداي وجنوب دار فور، وإلى ناحية بحر النيل، فاجتهدوا في ذلك وأنفذوا العيون إلى تلك البلاد، فإن شيخنا (رضي الله عنه) أشار إلينا بأن جماعته تنتقل إلى تلك النواحي عند قرب ظهور المهدي..."<sup>5</sup>.

### 4- رأي الشيخ أحمد لبو بن محمد بوبو الماسيني (1775م-1845م) في الهجرة:

جاء في رد الشيخ أحمد لبو على رسالة الشيخ أحمد بن الصغير بن حمى الله: إن الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة إجماعاً كما أن الهجرة من دار الفتنة إلى دار السنة واجبة إجماعاً، ومن قال بهذا الإجماع الشيخ محمد بن المختار الكنتي، والعبرة في الدار السلطان لا العامة، فدار الكفر هي التي سلطانها كافر، ولو كثر بها المسلمون والعكس صحيح. وإن اختلط المسلمون مع الكفار الحربيين أو

1 سورة آل عمران: الآية 28.

2 سورة النساء: الآية 96.

3 محمد المختار ولد السعد: إمارة الترازو وعلاقتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703 إلى 1860م، معهد الدراسات الإفريقية، المغرب، 2002، ص422.

4 ولد محمد بلو بن عثمان سنة 1786م في بيت علم في أحضان أبيه وعمه عبد الله، كان مولعاً بالدراسة والقراءة حتى يذكر بأنه درس عشرون ألف وثلاثمئة كتاب، وبعد وفاة والده ولى خلافة صكتو، وأظهر مقدرة وحنكة سياسية حيث استطاع القضاء على الفتن والاضطرابات رغم صغر سنه. ترك الشيخ محمد بلو العديد من المؤلفات في شتى الفنون ومن أبرزها: الغيث الوابل في سيرة الامام العادل، المجهول في ذكر جملة من مسائل الغلول، وإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. ينظر أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص107-108، وأيضاً آدم عبد الله اللوري: المرجع السابق، ص92-93.

5 عبد الله عبد الماجد إبراهيم: المرجع السابق، ص328.

الظلمة المحاربين اختلاطا لا يمكن الاحتراز منه فأصيبوا معهم فذلك معفو عنه للقاعدة الشرعية (العفو عما عسر الاحتراز منه)<sup>1</sup>.

### 5- رأي الحاج عمر الفوتي (ت1864م) في الهجرة:

بعد هزيمته على يد فرنسا سنة 1857م وجه الحاج عمر نداء إلى شعب فوتاتور: "هاجروا، لا تتأخروا، اخرجوا من حيث لا وجود للدين ولا للسنة، هاجروا فإن هذا البلد لم يعد لكم، إنه بلد الأوروبي، ووجودكم معه لن ينجح". وفعلا انطلقت الهجرة من فوتا في فبراير 1859م بأعداد قليلة، فلم يقتنع الكثير بقرار الحاج عمر، ووافقت الهجرة موسم الجفاف وخلالها وقعت بعض المواجهات الخفيفة انتهت بدخول الحاج عمر مدينة نيورو (Niuro) عاصمة كارطا سلمياً وذلك يوم 28 جويلية 1859م<sup>2</sup>.

### 5- رأي القاضي عبد الله بن أحمد في الهجرة:

من أبرز المؤلفات الداعية للهجرة وثيقة ((رسالة ونصيحة إلى المعاصرين المعتنين بما يدخلهم في زمرة المسلمين الناجين))<sup>3</sup> للقاضي عبد الله قاضي صكتو، وتتألف هذه الرسالة من مقدمة وثلاثة مباحث وأخيرا خاتمة، وهي في مجملها حوالي عشرون صفحة<sup>4</sup>. تضمنت هذه الرسالة مجموعة من الأدلة من القرآن والسنة والإجماع وهي خالية من كل التفسيرات الشائعة عند كثير من المؤرخين والتي حاولت تفسير الهجرة بأسباب خرافية ميتافيزيقية، فهي لم تتعرض لمسألة المهديّة أو إقامة دولة الفلان في الشرق

1 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص2998.

2 عبد الله عيسى: الطريقة التجانية وأدوارها السياسية في إفريقيا الغربية خلال القرن 19م، مركز مقديشو للدراسات والبحوث، ص68-69.

3 ظلت هذه الوثيقة مجهولة وسرية لدى علماء التاريخ رغم كونها أهم سند فقهي اعتمده الطاهر في هجرته، فلا ذكر لها في فهرست المخطوطات العربية بشمال نيجيريا، ولا في مؤلفات علماء خلافة صكتو وهما أكبر مكتبتي تهمان بتاريخ الخلافة في نيجيريا، مما يطرح احتمالات عديدة حول سبب اختفائها كل هذه المدة. ينظر عبد الله عبد الماجد إبراهيم: المرجع السابق، ص322-323.

4 الأمين أبو منقعة: موقف الخلافة السكتية من الاستعمار البريطاني النصراني، الإسلام في إفريقيا، دار الفكر المعاصر، لبنان، 2001، ص116.

أو الهروب من الحرب، والظاهر أنها وصلت إلى أيدي أمير المؤمنين الطاهر قبل هجرته<sup>1</sup>. وقد تناول المبحث الثالث من الرسالة للقاضي عبد الله بن أحمد حكم وجوب الهجرة، وأهم الأدلة التي استند إليها هما الآيتين السالفتين من سورة النساء، كما استند إلى ما ذكره الشيخ المختار في كتابه النصيحة الكافية من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله برئ من مسلم ساكنا بين المشركين" وحديث: "المؤمن والكافر لا تتراءى نارهما"، ومن الإجماع ما ذكره الامام الونشريسي في المعيار: إن الاجماع منعقد على وجوب الهجرة. وقد أورد القاضي أقوال الفقهاء المختلفة في الهجرة وشروطها، فإن كان المسلم في دار الكفر لا يقدر على إظهار دينه، تحرم عليه الإقامة وتجب عليه الهجرة، وإن كان قادراً على إظهار دينه والقيام بشعائره نظراً لمكانته، أو عشيرة تحميه فإن الهجرة في هذه الحالة مستحبة، حتى لا يُكثّر سواد هؤلاء الكفار أو يميل إليهم. وأما من يحتج بأن الأرض مُلئت جوراً وظلماً ولا يوجد بلد يسافر إليه فجوابه أن يعتزل أو أن يعيش في فلاةٍ أو شاهقٍ من الجبال كما فعل أصحاب الكهف<sup>2</sup>.

#### 6- موقف محمد العاقب بن مايبا<sup>3</sup> (1272هـ/1855م-1327هـ/1909م) من الهجرة:

في الغالب كانت قبائل الزوايا مهادنة للاستعمار، إلا أن الشيخ محمد العاقب شد عن هذا الموقف وأظهر معارضة كبيرة للتواجد الفرنسي وأعلن أن الواجب الديني يفرض علينا الوقوف في وجه النصارى، وعدم التعامل معهم. ولما تيقن من سيطرة الفرنسيين نادى بالهجرة إلى الأماكن المقدسة، وقد لقيت دعوة الشيخ مايبا استجابة واسعة لدى قبائل الرقيبات فهاجرت أعداد غفيرة واستقرت نهائياً في المدينة المنورة. هذه الهجرات هي التي حيرت الباحثين والإدارة الفرنسية مما جعل المقيم الفرنسي في مدينة كيفه في تقاريره يخبر عن معارضة قبائل الزوايا ومعاداتها للسلطات الفرنسية حيث يقول في أحد تقاريره: "... إن الزوايا أعداء الأوروبيين البيض والمسيحيين، وعواطفهم الدينية تمنعهم في الغالب من إمعان النظر

1 عبد الله عبد الماجد إبراهيم: المرجع السابق، ص 337.

2 الأمين أبو منقة: الأسس الفقهية، المرجع السابق، ص 39-40.

3 محمد العاقب بن سيدي عبد الله بن مايبا، ولد بأفطوط، لقب ب (حريري زمانه)، أخذ عن الشيخ ماء العينين العلم والطريقة القادرية ولازمه، خلف الشيخ محمد العاقب حوالي 30 مؤلفاً أهمها كشف العمى والرين عن ناظري مصحف ذي النورين، نظم التزامات الخطاب وتعليق عليه، السيف المنتضي في أحكام القضاء، نظم في أحكام الجهاد والهجرة... ينظر محمد عبد الله ولد المصطفى: المرجع السابق، ص 72-73.

في قيمنا...<sup>1</sup>. وقد اعتنق آل مايايا هذا الرأي وطبقوه فعلياً فهاجروا، وفي هذا يقول محمد العاقب بن مايايا أبيات شعرية يحث فيها على الهجرة ويذم المتقاعدين عنها حيث يقول:

مني إلي من في حمى المكبل من قرقل إلى ما وراء العقل

أعيدكم بالله من فضيحة الدنيا ومن رأيكم المفيل

لا تشتروا دنية بدينكم لا يرضاها غير الدني الأردل

تالله ما لكافر عهد ولا لــــه آية إذا ما يأتي<sup>2</sup>

### 7- رأي محمد المختار ولد حامد (ت 1915م) في الهجرة:

بعد دخول فرنسا إلى منطقة الرشيد والتدمير الذي حل بها في أوت سنة 1908م واستعمال فرنسا لأشد الأسلحة فتكاً آنذاك بما فيها المدفعية الثقيلة، مما تسبب بدمار هائل ، وبعد تماثل محمد المختار للشفاء من جرح ألم به، قرر الهجرة نحو الشمال، ورافقه في هجرته نجله وأخوه وعدد هائل من بني عمومته وبعض رجاله تاركين أراضيهم وديارهم بعد استيلاء الفرنسيين عليها، وقرروا عدم مساكنتهم، فرحل محمد المختار بداية إلى المغرب وبعد بسط الاستعمار سيطرته عليها أيضاً، قرر الشيخ إكمال الهجرة والرحلة نحو بلاد الحجاز وتوفي هناك سنة 1915م ، وبرحلته رحل الكثيرون ممن اقتنعوا بأفكاره بعيداً عن أوطانهم<sup>3</sup>.

1 محمد الراضي ولد صدقن: المرجع السابق، ص 48.

2 باب ولد أحمد: المرجع السابق، ص 17

3 المختار ولد محمد: المرجع السابق، ص 117-118.

8- رأي الشيخ زين بن محمدن اليدالي<sup>1</sup>(1277هـ/1860-1358هـ/1939م) في الهجرة:

أشار الشيخ إلى رأيه وموقفه من النصارى وذلك من خلال دعوته للهجرة سواء من خلال خطبه أو أشعاره التي نظمها، وفصل في فتواه تفصيلاً دقيقاً، فالهجرة عنده واجبة بشرطين: الأول القدرة البدنية والمالية، والثاني وهو عدم التمكن من إظهار الدين، وهي مستحبة مع القدرة على إظهار الدين، لكن في نفس الوقت نجده يوجب المقام لأهل الأعدار. حيث يقول:

وهجرة أوجب على ذي المقدره ودينه يعجزه أن يُظهره

وإن على الاظهار يقدر تستحب وعاجز له المقام (قد) وجب<sup>2</sup>

9- رأي الشيخ أمر بيه<sup>3</sup> بن الشيخ ماء العينين (1881-1942م) في الهجرة:

حرف الشيخ أمر بيه رسالة مهمة سماها: ((لبانة المجاهدين وبغية الطالبين تذكرة لي وترغيباً للمؤمنين)) ضمنها أحاديث كثيرة في فضل الجهاد وحذر من مخالطة النصارى بل حتى مصافحتهم، ويرى الشيخ أمر بيه أن فريضة الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام كفريضة الجهاد لا تنقطع إلى يوم القيامة، واستدل بآية سورة النساء، فالظالمون هم من تركوا الهجرة مع القدرة عليها،<sup>4</sup> والتعلل بالخوف على الأهل والمال والولد لا يبيح ترك الهجرة، فمن فضّل المقام مع الكفار فهو مارق من الدين ومنخرط مع الملحدين ولا يجوز له الرجوع للبلاد حتى وإن حصل له ضيق معيشة بعد هجرته، ولا يباح لأحد

1 ولد زين العابدين بن أحمد اليدالي قرب آبار أمينات بمنطقة إكدي، قارئ من الطراز الأول وفقه متبحر، متصوف زاهد وشاعر بليغ، خرج العديد من المشايخ من خلال محضرته العامة، ومن أبرز مؤلفاته: تعليق على نظمه (بسبب ضلال من ضل)، منظومة عقد بما كتابا لابن عطاء الله من 3000 بيت، الغرر السواطع وهو احمرار على ابن بري يبلغ 1600 بيت، شرح الإفادة في شرح وسيلة السعادة... ينظر محمد عبد الله ولد المصطفى: المرجع السابق، ص 91.

2 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 3000.

3 الشيخ أمر بيه بن الشيخ ماء العينين واسمه المصطفى، تتلمذ على يد الفقيه الحضرمي بن الشيخ أحمد في زاوية الشيخ ماء العينين، وشارك المصطفى مع أبيه في جهاد الاستعمار الفرنسي ثم أصبح الذراع الأيمن لأخيه أحمد الهيبية، ولم يشغله كل ذلك عن التعليم ونظم الأشعار والتأليف، توفي بتفو دارت بالساقية الحمراء قرب العيون. ينظر المختار ولد حامد: المرجع السابق، ص 554.

4 أمر بيه: لبانة المجاهدين وبغية الطالبين تذكرة لي وترغيباً للمؤمنين، مكتبة أهل الشيخ ماء العينين، رقم 408، ميكرو فيلم

4313، <http://dl.ub.uni-freiburg.de/omar/mfmau0408>، و 03.

الدخول إلى بلادهم وإلا جرت عليه أحكامهم. وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، فإما الجهاد أو الهجرة ولا خيار ثالث<sup>1</sup>. وقد أورد الشيخ النهي عن مخالطة الكفار في قصيدة طويلة منها:

وبعد فالمقصود يا من أسلموا      اياكم والكافرين تسلموا  
 أحكامهم جور وعدلهم ظلم      ودينهم كفر وبيس عدلهم  
 أموالهم سم لدينكم وقيمة      بلادكم عسى الله يقي  
 أسلافهم قبل لطفه غادرون      في عهدهم كيف لكم لا يغدرون<sup>2</sup>.

## 9-2 كتاب الشيخ أمربيه: (صولة الكار وملجأ الفار في تحريم الإقامة مع الكفار):

ومن تأليف الشيخ المصطفى أمر بيه في هذا الشأن نجد هذا الكتاب الذي وسمه ب: ((صولة الكار وملجأ الفار في تحريم الإقامة مع الكفار)) بين فيه الشيخ رأيه من هذه القضية وقد استدل بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية والأدلة العقلية أو كما قال في أول الكتاب: "النهار لا يحتاج إلى دليل"، وقد استند الشيخ إلى أراء قدماء الفقهاء وإلى المعاصرين أمثال الإمام التسولي، كما حذر من مخالطة الكفار ومساكنتهم ومنع الدخول لبلادهم للتجارة، وحتى الضحك معهم ممنوع لأن من يقيم معهم سيؤدي لهم الجزية وبهذا سيكون معيناً لهم ومكثراً لسوادهم<sup>3</sup>.

1 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 3026.

2 محمد المختار السوسي: المعسول، ج 04، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء المغرب، 1961، ص 259.

3 أمر بيه: صولة الكار وملجأ الفار في تحريم الإقامة مع الكفار، مكتبة بن حمى الله التشيقي، موريتانيا،

ظ 04 و 05، <https://www.cheikh-maelainin.com/?bibliotheque>

10- رأي الشيخ محمد المختار بن أمبال المسلمي<sup>1</sup> (1879-1944م) في الهجرة:

يرى الشيخ محمد المختار بوجوب الهجرة إذا توفرت شروطها: وهي معرفة الطرق وتوفير المراكب وتوفير الزاد<sup>2</sup>. وقد ألف الشيخ محمد المختار المسلمي رسالة عظيمة حول الهجرة وضح فيها رأيه وموقفه ومختلف مواقف العلماء ووسمها ب ((نصيحة الأقباط في الحث على الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام)) أكد فيها إن الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة بالكتاب والسنة والإجماع فمن القرآن: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>3</sup>. ومن السنة ما رواه أبو داود مرفوعاً: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين"<sup>4</sup> وعلى سبيل المبالغة في الزجر نهي الشرع عن موالاته الكفار قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>5</sup>. فموالاتهم تعني الرضى عن دينهم. وهذه البلاد قد غلب عليها النصارى ولا يمكن للرجل إقامة دينه لكثرة الفساد، ولا يمكن الاحتجاج بأن كل البلاد صارت للنصارى حيث توجد بلدان لا يمكن إطلاقاً أن تكون ملكاً لهم كمكة والمدينة المنورة واليمن وغيرها من سائر أرض الحجاز<sup>6</sup>. ويجب قطع الموالاتة بين من هاجر من المؤمنين ومن لم يهاجر، فالهجرة واجبة ولا تنقطع ولا يستثنى منها سوى الذين استثناهم القرآن الكريم، أو من في مقامه بين النصارى مصلحة للمسلمين أو تقوية للمستضعفين الماكثين بين النصارى<sup>7</sup>. وقد ألف الشيخ قصيدة

1 ولد الشيخ محمد المختار بن حمى الله ببئر شمال تمبديغة ودفن بالتلال الواعرين قرب ولاته، درس على يد الكثير من العلماء الذين أجازوه في مختلف فنون العلم ومن آثاره العديد من المؤلفات أهمها: منهاج السنة، شرح الإضاءة، قرة العينين، شرح أسماء الله الحسنى، بيان حكم المداراة للظلمة خوف الانتهاب والضيافات... ينظر محمد عبد الله ولد المصطفى: المرجع السابق، ص 94-95 وأيضاً المختار ولد حامد: المرجع السابق، ص 403.

2 سيد محمد ولد محمد: المرجع السابق، ص 34.

3 سورة الأنفال: الآية 72.

4 أبو عاصم البركاتي: الولاء والبراء في الإسلام، دار الدعوة الإسلامية، مصر، 2012، ص 30

5 سورة المائدة: الآية 53.

6 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 3029.

7 باب ولد أحمد: المرجع السابق، ص 17.

بين فيها الوعيد الشديد لمن رضي بالإقامة في دار الحرب، وزين له حب الأولاد والبلاد أمره ورغب عن بلاد المسلمين، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد أشارت إلى كل هذا<sup>1</sup>.

### 11- رأي الشيخ محمد بن حامني الغلاوي (ت1375هـ/1956م) في الهجرة:

يقول الشيخ محمد في فتواه التي كتبها في الرابع من ربيع الثاني 1345هـ الموافق 1926م إن الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة بالكتاب والسنة والإجماع، وحكم الإقامة في دار الكفر والفسق حرام مقطوع به، فمن استسهل هذا لحكم فهو مارق من الدين مفارق للجماعة، فمن استحلها فهو مرتد، وإن لم يفعل فهو عاص. ومال من لم يهاجر وبنوه فيء لمن قدر عليهم من المسلمين كما هو المشهور عند مالك وأبي حنيفة، ويعظم الأمر إن أعان في قتال المسلمين فهنا يُستباح ماله وتُسبى ذراريه بالقوة من أجل إعادتهم لديار المسلمين<sup>2</sup>. ولا يوجد مخالف من أهل السنة المتمسكين بالكتاب العزيز في تحريم الإقامة مع الكفار، ولذا فهو أمر مقطوع به<sup>3</sup>. والمسلم الذي يساكن هؤلاء النصارى مع القدرة على الهجرة يعتبر مخالفاً وهو مستهين بأحكام الله، فيعتبر خارجاً من الدين وماله وأهله وأولاده لمن قدر عليهم من المسلمين أخذهم وتربيتهم. فالرضى بالمقام مع عدم القدرة على إظهار الدين وممارسة شعائره بكل حرية هذا هو سبب المنع، لأن المسلم يصير ذليلاً ضعيفاً، فالأولى ترك البلد الذي يطبق فيه نظام يحكمه الفجرة ولا صلة بينه وبين المسلمين. وعلى المسلم الهجرة إلى دار الإسلام التي يحكمها المسلمون وبهذا ينال فضلاً عظيماً وأجرًا كبيراً<sup>4</sup>.

1 سيد محمد ولد محمد: المرجع السابق، ص 34.

2 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2999.

3 باب ولد أحمد: المرجع السابق، ص 17

4 سيد محمد ولد محمد: المرجع السابق، ص 33.

## 12- رأي الشيخ محمد المجتبي بن خطري البوصادي<sup>1</sup> (ت1958م) في الهجرة:

لازم الشيخ محمد المجتبي الشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين وجاهد معه مدة ثم رحل في جملة من تلامذته بلغت المائة نحو الشيخ التراد، ولما غلب أمر النصارى قرر الشيخ سنة 1357هـ الموافق 1938م الهجرة النهائية من موريتانيا نحو المشرق ومرّ بنيجيريا وخلف فيها جمع من تلامذته ثم مرّ بالسودان، وترك فيها أثره وبهذا وصل الحجاز عام 1358هـ/1939م، وقد أخذ عنه جمع كبير من التلامذة في الحجاز وبقي هناك حتى وافته المنية بمكة المكرمة<sup>2</sup>.

## 13- رأي الشيخ المختار بن المختار بن محمد عينين اللمتوني في الهجرة:

يرى الشيخ المختار بأن معاملة النصارى ومساكنتهم من غير ضرورة شرعية غير لائق، ومساكنتهم وموالاتهم لا يشك مؤمن في حرمتها، وحرمتها كما جاء في المعيار مقطوع بها كحرمة الميتة، وأما مال وأنفس من ساكن هؤلاء النصارى فهي غير معصومة، والبيع لهم يحرم إجماعاً، فلذا وجبت الهجرة عنهم والخروج من بين أظهرهم. وقد استشهد الشيخ في المسألة بقول الإمام عليش في كتابه ((فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك)) حيث يذكر إن جمعاً من العلماء أفتى بأن من لم يهاجر من المسلمين مع القدرة يستباح ماله ودمه ويُسبى أهله وذرائعه، بحجة أن من بقي مع النصارى صار مُعيناً لهم على قتال المسلمين، مستشهداً بما ورد في المعيار، فما أصيب من مال المسلم المقيم بدار الكفر فيء للمسلمين وقد حدث خلاف كبير بين الائمة حول هذه المسألة والأظهر أن هذا الأمر يتعلق بالمقيمين مع النصارى الحربيين على الراجح، فإن حاربوا معهم استبيحت دماؤهم وإن أعانواهم بالمال استبيحت أموالهم<sup>3</sup>.

1 ولد محمد المجتبي سنة 1307هـ/1889م في بلدة تكوة في الجنوب الشرقي من ناحية تامسكط في غرب موريتانيا، نشأ في بيت علم وشرف وسيادة، وبعد أن أكمل تعليمه في الحوض الغربي، انتقل إلى الشمال ليدرس عند الشيخ النعمة بن ماء العينين، ثم رحل مع تلامذته إلى الحجاز، وفي طريقه مر بنيجيريا وترك مجموعة من تلامذته بها ونفس الشيء في السودان. ينظر محمد عبد الله البوصادي: المصدر السابق، ص 34.

2 نفسه، ص 34-35.

3 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 3004-3005.

## 14- فتوى الشيخ المختار بن أحمد الهادي (1885م-1959م) حول الهجرة:

كتب الشيخ المختار بن أحمد الهادي رسالة من حوالي عشرين صفحة يرد فيها على ابن عمه الذي ذهب إلى مهادنة الاستعمار والتعامل معه، وقد ذكر الشيخ ضمن ثنايا الرسالة فيما يخص الهجرة إن مساكنة النصارى لا تجوز، لأن فيها إعانة لهم بطريقة غير مباشرة، أما من أعانهم بالتجسس أو مبايعتهم فذاك من باب أولى. وقد كتب الشيخ رسالة إلى الشيخ سيديا عنوانها ((إرشاد الضال عن وجوب جهاد كبلان وحرمة مساكنته الموجبة للفسق والطغيان)) بيّن فيها أحكام الجهاد والهجرة وبيّن بأن العاجزين عن الهجرة عدد قليل فلا ينبغي التعلل به، ولذا يجب الهجرة، وأن أهل هذا البلد لم يصدّقوا في استضعافهم عن الجهاد والهجرة، فلم يُعدّروا والله حسبهم. وهذا يقتضي أن دماءهم وأموالهم غير معصومة بحقها لعدم هجرتهم<sup>1</sup>. وقد خرج الشيخ بعد استيلاء النصارى على البلاد مع أهله وبعض أقرابه، وقطع رحلة شاقة في الصحراء والمفاوز، حيث عبر إلى ليبيا ومصر ثم الحجاز، وقد خلد هذه الرحلة في قصيدة جميلة يمدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومما سبق يمكن القول إن موقف الهجرة كان له نصيب من تأييد الفقهاء، فالهجرة فرار بالدين قد تعددت في تاريخ البشرية، ولها أدلة من القرآن والسنة النبوية إلا أن الظروف خلال هذه الفترة كانت صعبة خصوصاً مع استيلاء النصارى على كثير من الأراضي، وما يصاحب المهاجر من عوائق طبيعية وغيرها، إضافة إلى أن التخلي عن الوطن يحز في النفوس خصوصاً إذا كان نهائياً، ولو فرضنا أن هذا الرأي والاتجاه الذي ينادي بالهجرة غلب، لكانت معظم هذه البلدان اليوم مسيحية وتحت سيطرة النصارى. ولهذا سيغير الكثير من الفقهاء من رأيهم في هذه الفتوى.

### المبحث الثالث: المواقف المعارضة للهجرة:

رأى مجموعة من الفقهاء أن الهجرة بعد سيطرة المستعمر ليست واجبة لعدم توفر شروطها، واستدلوا بمجموعة من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة لدحض آراء ومواقف الفريق الأول كما عرضوا مجموعة من الأدلة العقلية والواقعية لتبرير موقفهم.

1 الطالب اخيار: المرجع السابق، ص 97.

## 1- رأي الشيخ أحمد بن حمى الله<sup>1</sup> (1223هـ/1808م-1272هـ/1855م) في الهجرة:

قسم الشيخ أحمد في رسالته التي بعث بها إلى أحمد لب بن محمد بوبو الماسيني (ت 1844م) السفر إلى أرض الحرب إلى ثلاثة أقسام: الأولى: أن يكون المسلم في أرض الحرب مكرهاً على فعل ما لا يجوز من التقرب لآلهتهم أو لأصنامهم أو مكرهاً على فعل منكرات فهذه الإقامة والهجرة لا تجوز. والثانية: ألا يكره على شيء من المآثم ولكن تناله ذلة وصغار فهذه الإقامة لا تجوز، لكنه أخف من الأول. أما الثالث: إن كان المسافر إلى أرض الحرب كسفره إلى أرض المسلمين ولكنه يدفع المغارم فهو أخف ولا حرج فيه<sup>2</sup>.

## 2- رأي الشيخ سعد بوه (1848م-1917م) في الهجرة:

تحدث الشيخ سعد بوه عن عجز الناس عن الهجرة مستدلاً بصلح الحديبية عن الصلح مع النصرى، وحديث عائشة رضي الله عنها إن المؤمن يعبد ربه حيث يشاء. فالإقامة مع هؤلاء النصرى أفضل لما يرجى من دخولهم إلى الإسلام<sup>3</sup>. ويرى الشيخ سعد بوه في رسالته (النصيحة) أن الهجرة لا تجوز، فأهل الصحراء لا سلاح لهم ولا نفقة إلا ما يُجلب من بلاد النصرى، والهجرة على هذا الحال ستهلك الكثير، واستدل بسؤال الأعرابي لرسول الله عن الهجرة فقال له الرسول: "ويحك إن شأنها شديد، فهل لك من إبل تؤدي صدقتها. قال نعم، فقال له الرسول: فاعمل من وراء البحار فإن الله لن يترك من عملك شيء. كما استشهد بقول الماوردي: إذا قدر الانسان على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت بلد إسلام<sup>4</sup>.

1 أحمد الصغير بن حمى الله المسلمي ولد بتشيت برع في العلوم وأجازه علماء عصره في عدة فنون كالنحو، التفسير، الحديث، والبيان. من أهم مؤلفاته التي تجاوزت الأربعين: مختصر الرسالة القدسية للشعراني، مختصر كشف المسائل لابن خلدون، الياقوت والمرجان في عقائد الايمان، فتح الكرم في حكم الاحياء والحريم، كنز المرغوب على تنوير القلوب في الصلاة على النبي المحبوب... ينظر محمد عبد الله ولد المصطفى: المرجع السابق، ص 61-62.

2 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2997.

3 الطالب أخيار ولد مامينا: المرجع السابق، ص 82.

4 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2923.

### 3- أدلة مواع الهجرة عند الشيخ محمد الأمين زيدان<sup>1</sup> (ت 1918/1335م)

استدل الشيخ محمد الأمين لرأيه في الهجرة بالأعرابي الذي سأل النبي عن الهجرة، ثم قال له النبي في النهاية: "اعمل وراء البحار فإن الله لن يترك من عملك شيء"<sup>2</sup>. وحديث رسول الله: "من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها". كما ضرب مثلاً بقصة آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون في سورة التحريم، فإنها خالطت فرعون وهو أعظم الجبابرة بالنكاح وهي أعظم خلطة، فكانت مثلاً للمرأة المطيعة لله مع مخالطتها للكفار. ولو سلمنا بوجوب الهجرة فالمال والولد عذر كبير يجوز بهما، فمثلاً بسبب المال سمح الرسول صلى الله عليه وسلم للحجاج بن عيلاط بالرجوع إلى مكة لجمع أمواله من المشركين، كما أذن لعياش بن ربيعة بالرجوع إلى مكة بسبب شغف أمه به وهي كافرة. أما الأدلة العقلية والقانونية فقد ركز الشيخ على أن الهجرة والإقامة في البلدان أصبح لها ضوابط تحكمها ولم يعد يحكمها الشرع، وهي الآن من أصعب الأشياء<sup>3</sup>.

### 4- موقف الشيخ محمد الأمين البوصادي<sup>4</sup> (1883-1923م) من الهجرة:

يرى الشيخ محمد الأمين أن البلد الذي فتحه المسلمون لا تجب منه الهجرة تفسيراً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا هجرة بعد الفتح" أما البلد قبل الفتح فحكم المسلمين فيه على ثلاثة أنواع: الأول: قادر على الهجرة ولا يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فالهجرة منه واجبة. الثاني: قادر على الهجرة

1 محمد الأمين ولد أحمد زيدان: علامة جليل وقاضي متبحر عاش يتيماً لكنه برع في العلم حتى أصبح محل تقدير العلماء ورؤساء القبائل، أسس محضرته التي كانت قبلة لطلبة العلم سنة 1270هـ، عاش حوالي قرن من الزمن، وترك العديد من المؤلفات أهمها: نصيحة الضعفاء وارشاد الاغوياء، شرح على لامية الرقاق في القضاء، مراقي السعود على مراقي السعود، شرح على السلم في المنطق، شرح على إضاءة الدجنة... ينظر محمد عبد الله ولد المصطفى: المرجع السابق، ص 78.

2 احمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ج 10، المكتبة السلفية، المملكة العربية السعودية، ص 553.

3 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 3042-3044

4 هو محمد الأمين الملقب الدادة ويلقب بوسته، عالم جليل، عارف بمسالك الصحراء والمغرب، كان من مريدي الشيخ ماء العينين، بل كان الحامل لرسائل الشيخ الصادرة والواردة، وشارك الشيخ في معاركه. ينظر الطالب أختيار ولد ماميننا، المرجع السابق، ص 458-459.

ويمكنه إظهار دينه فيستحب له الهجرة لتكثير عدد المسلمين ومعاونتهم فيما يصلح دينهم وديناهم. الثالث: عاجر سواء بأسر أو مرض أو غيره يجوز له الإقامة وإن هاجر أُجر. ومن كانت في إقامته مصلحة المسلمين فيستحب له الإقامة معهم كما كان حال العباس رضي الله عنه في مكة، فقد مكث هناك يكتتب الرسول صلى الله عليه وسلم بأخبار قريش، كما يستحب البقاء في دار الكفر لمن رجا أن تصير دار إسلام أو لمن رجا أن يقوم بالدعوة لدين الإسلام<sup>1</sup>.

### 5- موقف الشيخ باب بن الشيخ سيديا (1860-1924م) من الهجرة:

ورث الشيخ باب بن سيديا مكانة متميزة عن أبيه وجدّه في كل بلاد شنقيط بل وحتى خارجها، وبعد تأكد وقوع الاستعمار سارع الشيخ سيديا مع الشيخ سعد بوه لأخذ زمام المبادرة، محاولة منهما لفهم نيات المستعمر وخططه، كل ذلك من أجل الحفاظ على الإسلام ولحماية مصالح قبائل الزوايا.

### 5-1 توصيف الشيخ باب سيديا لظروف الهجرة:

يرى الشيخ باب سيديا أن الهجرة ساقطة على أهل البلاد الموريتانية لَمَّا تسلط عليهم الاستعمار في بلادهم، لأن معظم السكان أو جُلُّهم في حالة من الضعف لا يقدرّون عليها ولعدم وجود مكان آمن لائق يهاجرون إليه، فهم ممن رخص لهم القرآن الكريم في سورة النساء: "إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا"<sup>2</sup>. وتنطبق الآية على أهل هذا البلد، لفقرهم وعجزهم وعدم معرفتهم السبل الموصلة إلى أرض السلام والإسلام، ولعل هؤلاء النصارى أرسلهم الله رحمة ولطفًا لهذه البلاد، لما يقومون به من إعانة في بناء المساجد وبناء للمحاكم ونصب للقضاة وغيرها من المشاريع التي فيها مصالح البلاد والعباد، وأهم شيء حققوه هو كف أيادي المتلصقين وقطاع الطرق وإيقاف الحرب بين القبائل والصلح بينهم، وهذا كله لا يمكن أن يُستغنى عنه ولا يُنكر عاقل هذا الإصلاح<sup>3</sup>. ويرى أن وجوب الهجرة مفروض عند التعرض للدين مع القدرة عليها، والآن معظم البلاد الإسلامية واقعة تحت حكم الأمم المسيحية، وهي تحت هذا الحكم يمكن فيها صلاح الدين والدنيا،

1 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 3030-3031.

2 سورة النساء: الآية 97.

3 موسى كمر: تاريخ قبائل البيضان، المرجع السابق، ص 153.

كما أنها أفضل من البقاء سائبة معمورة باللصوص وقطاع الطرق ولا يأمن فيها المسلم على نفسه ولا ماله ولا عمله<sup>1</sup>.

## 5-2 رد الشيخ باب سيديا على دعاة الهجرة:

يرى الشيخ سيديا باب في جوابه على رسالة وسؤال فيديرب بأن الهجرة ساقطة مثلها مثل الجهاد، لأجل الضعف الذي عليه أهل البلاد كلهم أو معظمهم، فقد عفا الله عنهم بنص القرآن، فهم المستضعفون الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً<sup>2</sup>. وقد أنكر الشيخ سيديا على القائلين بوجود الهجرة، ورد ذلك إلى ثلاثة عوائق أساسية تمنع من الهجرة: أولها عدم تعرض الفرنسيين للدين وبالتالي لا حاجة للهجرة. الأمر الثاني ويتمثل في سيطرة الأمم النصرانية على كل البلدان، وغلبتهم على كل الأرض، فأين المفر؟ ولا يوجد إمام مسلم جامع يقود الأمة وبالتالي من سيهاجر سيضيع عمره في الترحال لا أكثر. أما المانع الثالث فيتمثل في ظروف الهجرة من عدم معرفة الطرق، وقلة الأمن وانتشار اللصوص والقتلة ووعورة المسالك وارتفاع درجات الحرارة وقلة الماء<sup>3</sup>. ولهذا فالمسلمون غير مطالبين بالجهاد ولا الهجرة الجماعية أو الجزئية بسبب فقرهم وبسبب انعدام الأماكن التي ستوفر لهم الأمن وضروريات الحياة، وأكثر من هذا أن هؤلاء المسيحيين لم يتعرضوا للدين ولا للممتلكات المسلمين بل العكس فقد أسهموا في القضاء على الفتن وأقاموا القضاء، وقد أرسلهم الله رحمة للبلاد والعباد على حد سواء<sup>4</sup>.

## 5-3 كتاب فتاوي الشيخ سيديا باب ورسائله في شأن جهاد النصارى والهجرة عنهم:

تعد هذه الوثيقة من أهم الوثائق المُفَصِّلَة لشأن جهاد النصارى والهجرة عنهم، ألفها الشيخ باب في أواسط جمادى الثانية 1339هـ/1920م، وقد ضمنها الشيخ مجموعة من الأدلة النقلية من الكتاب والسنة والإجماع وأخرى عقلية، ورد الشيخ فيها على فتوى الشيخ الونشريسي. وأوضح الشيخ سيديا إن الهجرة كانت فرض في أول الإسلام، والحكمة من ذلك ليسلم المسلم من أذى الكفار حتى لا يرتد عن دينه، فكان يفر بدينه حتى لا يُفْتَن فيه، أما اليوم والحمد لله، فقد ظهر الإسلام والمؤمن يعبد ربه

1 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2931.

2 الطالب اخيار ولد مامينا: المرجع السابق، ص 74.

3 سيد محمد ولد محمد: المرجع السابق، ص 38-39.

<sup>4</sup> Pierre Bonte : Op.Cit, p. 06.

حيث شاء، وأي بلد يستطيع فيه المسلم إظهار دينه قد صار بلد إسلام، والمسلم مخير وإن أراد الهجرة من بلد الكفر فهو مستحب<sup>1</sup>.

#### 5-4 رسالة الشيخ باب سيديا إلى الشيخ أحمد بن حبت الغلاوي:

بعث الشيخ باب بن سيديا يوم 27 جمادى الثانية عام 1327هـ الموافق ل 16 جويلية 1909م برسالة إلى الشيخ محمد بن حبت الغلاوي رداً على فتوى سابقة لهذا الأخير، يطالبه بإعادة النظر في فتواه حول الهجرة ويذكره بأن الهجرة لا تجب إلا بعد التعرض للدين، أما وأن هؤلاء الفرنسيين يسمحون لنا بإقامة الشعائر فهذا يكون بلدنا بلد إسلام حتى وإن كان يحكمه النصارى. والقضية الأخرى هي إن الإقامة مع الكفار وإظهار الشعائر بينهم أفضل من الهجرة، وفتوى الونشريسي لا تنطبق على هذا البلد، ولا يمكن قياسها على حال بلاد موريتانيا لأن الإسبان كانوا يتعرضون لدين المسلمين في الاندلس<sup>2</sup>.

#### 6- موقف الشيخ موسى كمر (1863-1945م) من الهجرة:

يرى الشيخ موسى كمر في كتابه "أكثر الراغبين" أن الحاج عمر قد قهر وظلم أهل دمك وفزل وبند حينما أجبرهم على الهجرة من بلدانهم في فوتا إلى بلاد السودان بحجة إن أراضيهم أصبح يحكمها النصارى، ويرى الشيخ كمر أن ما فعله الحاج عمر غير جائز شرعاً لكثرة من مات جوعاً في الطريق، ومن قُتل أثناء الهجرة، ومن وقع في الأسر والسبي، وهذا كله إفساد في الأرض بغير وجه حق<sup>3</sup>.

1 باب بن الشيخ سيدي: فتاوي الشيخ سيدي باب ورسائله في شأن جهاد النصارى والهجرة عنهم، مكتبة أهل الشيخ سيديا، أبي تلميت موريتانيا، رقم 109، ص 46-47.

2 الطالب اخيار ولد مامينا: المرجع السابق، ص 76.

3 أحمد الأزمي: "موقف الشيخ موسى كمر من جهاد الشيخ عمر الفوتي التجاني بالسودان الغربي"، مجلة قوت القلوب، الرابطة المحمدية للعلماء، دار الأمان للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، ع 07-08، 2013، ص 148.

7- موقف الشيخ التراد بن العباس<sup>1</sup> (1886-1304هـ/1946م) من الهجرة:

يرى الشيخ التراد بن العباس أن الهجرة من بلد فيها معاصي ولا يقدر المسلم على إزالتها مندوبة وليست واجبة وهذا رأي شيخه سعد بوه، أما الإمام السيوطي فيرى بأنها واجبة وصاحب "مغني المحتاج" يرى بأنها مستحبة، أما إن رجا ظهور الإسلام بمقامه فالأفضل له البقاء في محله، ولو قدر على الاعتزال والامتناع بدار الحرب وجب عليه المقام بها، إلا إن رجا بهجرته نصرته المسلمين فالأفضل له الهجرة، وهي لا تجوز من بلد فتحه المسلمون، ولو سيطر عليه الكفار لأن بالهجرة سيصير دار كفر، ويفسر الشيخ حديث رسول الله: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين"<sup>2</sup> بأنه محمول على من لم يأمن على دينه<sup>3</sup>.

## 8- موقف الشيخ محمد الأرواني (1910م-1973م) من الهجرة:

يستدل الشيخ محمد محمود الأرواني عن مواقف الهجرة بالآية الكريمة: "لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"<sup>4</sup>. فيرى بأن الدولة الفرنسية أقرت الناس على دينهم وفي ديارهم، فهم لم يخرجوا أحداً من داره، ولم يمنعه من إقامة شعائر دينه، وأكثر من ذلك فهم ينفقون الأموال الكثيرة على العساكر من أجل توفير الأمن والسلم للناس. ولا يبلغ ما يأخذونه من الضرائب عشر ما كان يأخذه البغاة من البرابيش والطوارق، بل قاموا ببناء المساجد والمحاكم للقضاء وأمنوا للناس الأرزاق، فمن حاربهم لاعتقل له، ورغم هذا فهم لا يضرونه بل يصفحون عنه وذلك للرفقة وللحلم الذي تخلقوا وطبعوا عليه<sup>5</sup>.

1 الشيخ التراد بن العباس عالم جليل وصوفي مشهور ولد بمنطقة الناعمة بالحوض الشرقي، ودفن بدار السنغال، تتلمذ على يد عمه سعد بوه، عمل على نشر الطريقة القادرية وله تلامذة واتباع كثر في نواحي إفريقيا، من آثاره: إرشاد الخلف على معتقد السلف، كف العذل واللوم في مسائل القوم، الكنوز الخفية في التوقف في العوالم الكشفية، إدخال السرور وانسراح الصدور، رسالة في تخليد المولد النبوي الشريف، دقائق الحقائق وحقائق الدقائق... ينظر محمد عبد الله ولد المصطفى: المرجع السابق، ص 95-96  
2 أبوداود: سنن أبي داود، تع: شعيب الارناؤوط ومحمد كامل قره، ج 4، دار الرسالة العالمية دمشق، 2010، ص 282-283.

3 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 3040-3041.

4 سورة الممتحنة، الآية 08.

5 محمد محمود الأرواني: المصدر السابق، ص 253.

## 9- موقف الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (1905-1974م) من الهجرة:

أوضح الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رأيه وموقفه من الهجرة من البلاد التي سيطر عليها النصارى رغم عدم تعرضه للموضوع بالتفصيل في كتابه "أضواء البيان"، فيرى الشيخ بأن الهجرة والجهاد فرض كفاية لا فرض عين وأن أهل الأعذار حتى عن الجهاد لن يضيع الله أجرهم، فلو كانوا تاركين فرضاً لما وعدهم الله بكل ذلك الثواب الجزيل وهو الجنة<sup>1</sup>. قال تعالى: ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾<sup>2</sup>. وقد ألف الشيخ رسالة مهمة في هذا الشأن وضح فيها بعض العذر للقاطن في قطر شنقيط ممن لم يهاجر، فهي أوطانهم وأوطان أجدادهم وأسرتهم أولاً، وأن الهجرة تجب على من لم يستطع إقامة أمور دينه من صلاة وزكاة وغيرها أما غيره فلا هجرة عليه إذا كان يعبد ربه بكل حرية. وبين أن الآية في سورة الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَّلِيَّتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>3</sup> أنها منسوخة فهي قبل فتح مكة. ويضيف الشيخ محمد الأمين إن من شروط الهجرة أن تكون الإقامة ممكنة في المكان المنتقل إليه، وأيضاً إمكانية الهجرة في هذا الزمن أصبحت أمراً عسيراً على حسب القوانين العصرية، لأن الشرع لم يعد يُطبق وإنما القوانين المستحدثة هي التي تحكم. ويرد أيضاً على فتاوي الشيخ الونشريسي في المعيار التي نقلها عنه الشيخ عليش، بأن جل تلك الأدلة منسوخة والاستدلال بها لا يخلو من نظر<sup>4</sup>.

## المبحث الرابع: المواقف والآراء في حكم من بقي في دار الحرب:

أسالت هذه المسألة الكثير من الخبر، وهي من المسائل المرتبطة والمتفرعة عن أحكام الهجرة تتعلق بحكم من مكث في دار الحرب ولم يهاجر وحكم ماله وذراجه، وقد اختلف الائمة الأربعة حولها، وما يهمنا هنا هو رأي الإمام مالك والذي رأى أن دم هذا الإنسان محقون أما ماله فهو فيء لمن أخذه من المسلمين، وليس بمعصوم حتى يهاجر ويخرج به إلى أرض المسلمين. وإن حاربوا مع الكفار استُحلت دماؤهم، وإن أعانواهم بالمال استُحلت أموالهم ويترجح أيضاً سبي أولادهم، وهذا التحريم في البقاء بدار

1 محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مج 01، دار عالم الفوائد، المملكة العربية السعودية، د.ت.ن، ص 793.

2 سورة الحديد: الآية 10.

3 سورة الأنفال: الآية 73.

4 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 3042.

الحرب يرجع إلى أن الماكث مع هؤلاء الكفار يدفع ضرائب، وبالتالي فهو معين لهم ومُكثّر لعددهم وهذا ما يجعل أمواله مباحة على قول الإمام مالك<sup>1</sup>. وقد اختلف أئمة المذاهب الأربعة على أقوال فيما يصيبه المسلم من أرض العدو هل يَخمس أم لا؟ والمالكية ذهبوا في هذه المسألة إلى أن ما أخذه متعمد الخروج إلى أرض العدو بالقهر والحيلة والتلصص ففيه الخمس، أما ما أخذه التاجر أو العبد الآبق أو من خرج من غير تعمد فلا خمس فيه<sup>2</sup>.

### 1- موقف الشيخ عثمان بن فودي فيمن بقي في دار الحرب:

أفتى الشيخ عثمان في كتابه "بيان وجوب الهجرة على العباد" في الفصل التاسع والأربعين بإباحة أموال من بقي في دار الحرب، وقد استند الشيخ في فتواه إلى رأي ابن عرفة، فأموالهم حلال عملاً بالأغلب حتى يتحقق أهل الحلال منهم، فهم بمخالطة هؤلاء المحاربين عُصاة بمكاثرة جموعهم وتكثير سوادهم، ولهذا لا حرمة لهم لأنهم لم يتجنبوا مخالطة النصارى، كما استدل الشيخ بمسألة مماثلة بعث بها الأسكيا محمد الكبير إلى الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي فكان جواب الشيخ المغيلي أنهم ظلموا أنفسهم بالنزول مع المحاربين وهم على قسمين: فإن لم يساكنوهم اختياراً ولم يعينوهم ولم يغيروا معهم، فما وقع على أيدي المسلمين من ضرر في أموالهم وأنفسهم فلا شيء عليهم فيه قبل أن يعلموا، أما إن علموا فليجتنبوه ويردوه إلى أهله. والقسم الثاني، من ساكنهم اختياراً وكان يغير معهم ويعينهم، فهذا منهم اقتلوه وانهبوا أمواله<sup>3</sup>.

### 2- موقف الشيخ التراد بن العباس (/1304-1886/1365-هـ/1946م) من الإقامة:

يرى الشيخ التراد بن العباس القلقمي أن الإقامة في دار الكفر على ثلاث صور: الأولى: من أقام في دار الكفر وكان في إقامته مصلحة للمسلمين، فهجرته غير واجبة، فإن رجا ظهور الإسلام بمقامه كان مقامه أفضل، ويضرب مثلاً بالعباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم لما مكث في مكة وكان بإقامته فيها يكتب بأخبار المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم، كما كان حماية للمستضعفين

1 التسولي: أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، تح: عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص ص 307-310.

2 أبو سلمان الصومالي: استيفاء الأقوال في المأخوذ من أهل الحرب تلصصا من الانفس والأموال، 2015، ص 18.

3 عثمان بن فودي: المصدر السابق، ص 132.

في مكة، فلما أراد القدوم إلى المدينة كتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم إن مقامه بمكة خير. والصورة الثانية: من أقام بدار الكفر وقدر على إظهار دينه أو الاعتزال دون أن يتعرض له أحد فهجرته مستحبة ولا تجب لقدرته على إظهار دينه ولا شيء عليه. أما الصورة الثالثة: العاجز بمرض أو غيره فلا تجب عليه الهجرة، وتجاوز له الإقامة، فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج أُجر<sup>1</sup>.

وخلاصة القول إن مساكنة اليهود أو النصارى ليست بمحرمة في نفسها، ولا يمكن أن نهجر أوطاننا لوجودهم بيننا أو معنا، فالرسول صلى الله عليه وسلم تعامل معهم في المدينة بناء على وثيقة المدينة التي كتبها مباشرة بعد هجرته، إلا أن المشكل يكمن في توليهم السلطة وكونهم يملكون الكلمة العليا فلا بد أن يؤثروا في المسلمين عاجلاً أم آجلاً، والتاريخ أثبت هذا الأمر في كل المناطق التي احتلوها. ولو هجرنا كل أرض دخلوها لضاعت الكثير من الأوطان ومنها المقدسات.

### المبحث الخامس: مواقف علماء خارج إفريقيا الغربية من الهجرة:

من أجل فهم أي قضية والحكم عليها لا بد من مقارنتها بمثيلاتها المشابهة لها حتى يكون الحكم صائباً، ومن هذا المنطلق حاولنا معرفة رأي ومواقف شيوخ وفقهاء المناطق المجاورة في مسألة الهجرة، لاكتشاف مدى التأثير والتواصل بين المنطقتين، وفي نفس الوقت الوقوف على أهم الفتاوى التي استند إليها فقهاء غرب إفريقيا في قضية الهجرة بعد سيطرة الاستعمار.

#### 1- موقف الشيخ التسولي من الهجرة:

من بين أبرز الفتاوى المعاصرة لنانزلة الاستعمار والقريبة زماناً ومكاناً لدى فقهاء غرب إفريقيا إجابة الشيخ التسولي عن سؤال الأمير عبد القادر حول حكم من بقي في أرض استولى عليها الكفار؟ وما حكم من يقيم معهم؟ والتي لم نجد لها إشارة أو استشهاداً لدى فقهاء غرب إفريقيا، رغم تزامنها مع دخول الاستعمار للمنطقة والقرب المكاني. فكانت خلاصة إجابة الشيخ إن الهجرة من أرض الفساد واجبة إجماعاً إلا لأهل الأعذار، ولا يوجد فساد أشد من الكفر<sup>2</sup>. وقد وافق موقف الأمير عبد القادر رأي الشيخين التسولي وابن عليش من الهجرة فقد قال بوجودها وأنكر على من يقول بالمهادنة ومن دعا

1 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2037.

2 التسولي: المصدر السابق، ص 307.

إليها من العلماء، وقال بأنها طاعة للكفار فكيف يعقل هذا؟ وأحكام الكفار وشرائعهم وتصرفاتهم جارية عليهم وخصوصاً أنهم يؤدون المغارم ويحملون أثقالهم ويحاربون معهم في بعض الأحيان<sup>1</sup>.

أما بخصوص أهل الاعذار فيرى الإمام التسولي أن الهجرة واجبة من دار الكفر فإن لم توجد فيختار الأقل إثماً، فبلد فيها كفر وبلد بها جور فالأخيرة أولى. ولا تسقط الهجرة إلا على من حصل له العجز بكل الوجوه، ولم يجد حلاً كالمريض المتعد أو الضعف الظاهر ومع كل هذا يجب أن تكون له نية صادقة حيث لو وجد فرصة للهجرة لهاجر. أما القادر عليها بأي حيلة، فلا تسقط عنه وإلا فهو معرض للسخط والوعيد<sup>2</sup>.

## 2- فتوى الشيخ المغراوي لأهل الاندلس:

أورد عبد الله عنان في كتابه نهاية الاندلس رسالة إلى من سماهم (الغرباء) تعتبر هذه الرسالة التي بعث بها الشيخ أحمد بن جمعة المغراوي (الوهراني) إلى أهل الاندلس في رجب 910هـ الموافق 28 نوفمبر 1504م، من أهم الفتاوى في هذا الشأن، حيث يحث فيها أهل الاندلس على البقاء في بلدانهم ويصفهم بوصف الرسول صلى الله عليه وسلم للفتنة القليلة بالغرباء القابضين على دينهم، ويأمرهم بالبقاء على دينهم وتعليمه لأولادهم، ويعطيهم الشيخ المغراوي عدداً من الحلول الشرعية للثبات على دينهم، وعدم قبول التنصير منها: قضاء الصلوات في جوف الليل والطهارة بالتيمم، وإن أكرهوا على شرب الخمر أو أكل لحم الخنزير فليفعلوا مع إنكار قلوبهم، وإن أكرهوا على زواجٍ أو ربّا فلينكروا بقلوبهم وليفعلوا حتى لا يفتضح أمرهم، كما أرشدهم إلى التورية في الكلام والألغاز إن أكرهوا في الكلام<sup>3</sup>.

## 3- فتوى الشيخ الونشريسي:

تعتبر فتوى الشيخ الونشريسي أهم فتوى حول الهجرة، وحكم البقاء في البلاد التي استولى عليها

1 عبد الجليل أولاد حمادي: "النوازل الفقهية في مراسلات الأمير عبد القادر للفقهاء"، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، الجزائر، مج 10، ع 02، 2019، ص 435.

2 التسولي: المصدر السابق، ص 302.

3 محمد عبد الله عنان: نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط 03، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1966، ص 343-344.

النصارى، وقد تم تحقيق هذه الفتوى من طرف الدكتور حسين مؤنس وسماها ((أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج)). ومناسبة هذه الفتوى أن أبو عبد الله بن قطية بعث برسالة تتضمن مجموعة من الأسئلة الجزئية إلى الشيخ الونشريسي كلها تتعلق بالهجرة من دارٍ غلب عليها النصارى، وما يتعلق بها من الأحكام. فأجاب الشيخ أن الهجرة واجبة ولا تسقط إلا في حالة الضعف وتصور العجز بكل الوجوه وعلى كل حال، وإن البقاء بحجة الوطن والمال كله لا اعتبار له. ولا معذرة إلا للمستضعفين بنص الآية الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً<sup>1</sup>. والمستضعف هو من كان بمثابة المقعد المأسور أو من كان مريضاً جداً لا يستطيع الهجرة، ومع كل هذا ينبغي أن تكون له نية وعزم صادق إن وجد فرصة فلن يتوانى وإلا فهو آثم<sup>2</sup>. وملخص فتوى الشيخ الونشريسي في أربع نقاط: إن الهجرة واجبة إجماعاً ولا تسقط، العجز المطلق نسبته قليلة، تحريم الإقامة مع الكفار ومن جوزها فهو مارق من الدين، وأخطر هذه النقاط وهي استحلال أموال وأولاد وديار من بقي مع هؤلاء النصارى<sup>3</sup>.

### 3-1 أدلة الشيخ الونشريسي في الرد على من لم يهاجر:

استند الشيخ إلى مجموعة من العلماء والأقوال، فيرى الشيخ الونشريسي أن علماء الأمة أجمعوا على وجوب الهجرة، فالمسلمون لا يجوز لهم البقاء في مكان يحكمه الكفار، فيجب عليهم الارتحال، فإن لم يرتحلوا فهم عصاة. واستدل برأي الإمام النووي<sup>4</sup> والرافعي إن كان المسلم ضعيف لا يقدر على إظهار دينه، فإنه تحرم عليه الإقامة وتجب عليه الهجرة إلا أن يكون من أهل الأعدار المذكورين في القرآن، أما إذا كان هذا المسلم يستطيع إظهار دينه إما لمكانته في قومه أو لوجود عشيرة تحميه أو لم يخف أن يفتتن في دينه فالهجرة مستحبة في حقه وهي أولى حتى لا يُكثّر عدد الكفار أو خوفاً من الميل إليهم بمعاشرتهم، وقيل تجب عليه الهجرة والظاهر إنها مستحبة فقط<sup>5</sup>.

1 سورة النساء: الآية 98.

2 أبو العباس أحمد الونشريسي: المصدر السابق، ص 26-27.

3 محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 61-62.

4 الإمام النووي: المصدر السابق، ص 587.

5 عبد الله عبد الماجد إبراهيم: المرجع السابق، ص 351.

### 3-2 موجبات الهجرة عند الشيخ الونشريسي:

لما سئل الشيخ الونشريسي عن حكم من بقي في أرض الكفر من أجل قضاء مصالح إخوانه الضعفاء من المسلمين (أهل الدجن) ليتكلم باسمهم ويخاصم عنهم؟ أجاب الشيخ: إن البقاء لا يجوز لعدة اعتبارات، لخصها الشيخ في تسعة مخاوف ومخاطر وهي كالتالي: أولاً، من أجل عزة الإسلام فأهل الدجن عصاة. ثانياً، إن هذا الإنسان لا يمكنه القيام بفرائض وأركان دينه بداية بالأركان الخمسة (الصلاة، الزكاة الصوم، الحج) كما تمنعه من الجهاد من أجل إعلاء كلمة الحق. ثالثاً، هذه الإقامة تضع من أمر الإسلام وتعرض للاستغراق في مشاهدة المنكرات. ورابعاً، الخوف من نقض النصرى لعهودهم فهم لا أمان لهم، وخامساً، الخوف على الأهل والمال والأولاد من شرارهم وسادساً الخوف من الفتنة في الدين وخصوصاً بالنسبة للصغار وسابعاً الخوف على الفروج والابضاع من التعدي عليها. وثامناً، الخوف على من تغلبه عاداتهم ولغاتهم ولباسهم من المقيمين بينهم وتوسعاً الخوف من التسلط على المال بإحداث الوظائف الثقيلة والمغارم المحففة. ومن هنا كان التحريم لأن المفاصد المتوقعة من خطر المساكنة عظيمة قد تجعل المسلم ينحرف عن دينه<sup>1</sup>.

### 3-3 الرد على فتوى المعيار للونشريسي:

أشار الشيخ محمد الأمين بن اخطور الجكني إلى تشدد الشيخ الونشريسي في فتواه على وجوب الهجرة وعدم العذر فيها إلا للعجز الحقيقي، وتشدد من نقل عنهم أيضاً كالإمام عليش. والجواب: إن معظم أدلة المعيار منسوخة وبالتالي لا تخلو من نظر، والذي يظهر من جميع النصوص إن الهجرة التي تتوقف عليها موالاة المسلمين وتوارثهم هي الواجبة، أما من استطاع إظهار دينه والقيام بشعائره فلا تجب عليه<sup>2</sup>.

رأى بعض الباحثين أن فتوى الشيخ الونشريسي كانت ظالمة ومتجنية على أهل الاندلس ولم تراع المصلحة، والتي كانت تقتضي بقاء القادرين من أجل مصلحة العاجزين، فلو أن الرؤساء والاعيان والفقهاء وأرباب المهن مكثوا مع أولئك المستضعفين لما انحل أمر الجماعات ولما تلاشت شخصيتهم

1 أبو العباس أحمد الونشريسي: المصدر السابق، ص 58-65.

2 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 3045.

ولحافظوا على ديانتهم وهويتهم<sup>1</sup>. ومن جانب آخر إن مثل هذه الفتاوي جعلت أهل الأندلس يقنطون ويقطعون الأمل من مناصرة أهل المغرب لهم، مما جعلهم يرأسلون أهل المشرق برسائل وقصائد ومن ذلك قصيدة بعث بها صاحبها إلى السلطان بايزيد العثماني (ت1513م) يصور فيها صاحبها معاناة أهل الأندلس والأمهم يقول فيها:

سلام عليكم من عبيد تخلفوا بأندلس في الغرب في أرض غربة  
أحاط بهم بحر من الروم زاخر وبحر عميق ذو ظلام ولجة  
سلام عليكم من عبيد أصابهم مصاب عظيم يا لها من مصيبة<sup>2</sup>.

جاءت فتوى الشيخ الونشريسي حول نازلة البقاء في دار الحرب والهجرة مبكرة عن وقتها حيث صدرت سنة 1484م، أي قبل سقوط غرناطة، فالمسألة في ذلك الوقت لم تتضح أبعادها الحقيقية والمشكلة لم تظهر بشكل واضح، مما يجعل الشيخ عن غير قصد آثر تطهير الأندلس من المسلمين من خلال نصيح المسلمين بالهجرة من الأندلس<sup>3</sup>. أما فتواه الثانية التي صدرت سنة 1495م بعد سقوط غرناطة والتي لم تختلف عن سابقتها والتي جاء فيها: "إن مساكنة الكفار من غير أهل الذمة والصغار، لا تجوز ولا تباح ساعة من نهار، لما تنتجه من الأدناس والأوصار، والمفاسد الدينية والدينية طوال الأعمار" أكد فيها على وجوب الهجرة لارتباطها بالعقيدة والحفاظ على المسلمين من الردة والتعميد. وبعد التعمق والتدقيق نلاحظ إن دخول المسلمين تحت حكم النصارى لم يسبق أن حدث إلا بعد القرن الخامس الهجري ولهذا فهي نازلة حديثة لم يسبق أن تعرض لها الفقهاء، ولم يراع فيها الشيخ ما كان يتعرض له أهل الأندلس حتى بعد هجرتهم إلى أرض المغرب من مضايقات ومنها اعتبارهم دخلاء، مما جعل البعض منهم يفكر في العودة<sup>4</sup>. وما رد به الدكتور حسين مؤنس على فتوى الشيخ الونشريسي

1 الحسن اليوسي: المرجع السابق، ص 204.

2 عبد الوهاب بن منصور: "من الهجرة إلى التهجير"، الأكاديمية، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ع 15، 1998، ص 38-39.

3 هشام بن سنوسي: "محنة الموريسكيين في نوازل الفقهاء والمفتين الونشريسي التلمساني والمغراوي الوهراني أمودجا"، مجلة القرطاس، جامعة تلمسان، الجزائر، ع 06، جوان 2017، ص 10.

4 أبو العباس أحمد الونشريسي، المصدر السابق، ص 11.

إن معظم هؤلاء الأندلسيين من الضعفاء وإن بقاءهم في تلك الديار جعلهم كالغرباء الذين قال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم: " القابض على دينه كالقابض على الجمر"<sup>1</sup> ولم تكن الرحلة متيسرة فالطريق مملوءة بالمخاطر والمكاره تتوقف على عدة مخاوف بداية بتأمين المال ثم الإذن من السلطات، وبعدها يسير هذا المهاجر في طريق موحشة لا يدري هل يسلب ماله أم حياته أم حرته؟ ثم بعد ذلك تأتي الرحلة البحرية التي تتطلب مالاً وهي خطيرة جداً. وبالجملة فيقول الدكتور إن هذه الفتوى غابت فيها الجوانب الإنسانية، وحتى الوصول إلى بلاد المغرب كان فيه الكثير من السلبات إذ لم يحظ هؤلاء المهاجرون بحسن الترحيب والاستقبال من إخوانهم المغاربة<sup>2</sup>.

ويرى الحسن اليوسي أن فتوى الشيخ الونشريسي ومن تبعه كانت واقعية إلا أنها لم تأخذ بعين الاعتبار ولم تهتم كفاية بالطرف الآخر من المشكل وهو إلى أين يهاجر هؤلاء، ومن يستقبلهم هل الأقوى أم الأقرب؟ وما هي واجبات المسلمين في الضفة الأخرى لماذا لم يتكلم عنها الفقهاء؟ هل هي واضحة؟ أم أنهم سكتوا عنها لأسباب خاصة<sup>3</sup>؟

بالنسبة لهذه الفتوى من الشيخ الونشريسي ورغم أهميتها فهي المرجع لكثير من فقهاء البلدان الإسلامية، إلا أنها تعرضت للكثير من الانتقاد خاصة في الوقت المعاصر، ومن ذلك ما يراه محمد عبد الله البوصادي أن حُفاظ المذهب المالكي أفتوا بعصمة مال الخارجي المحارب للمسلمين، فكيف ندعي بعد هذا إباحة مال المسلم بموالاتة الكفار فالأول أكثر ضرراً على الإسلام وأوضح في الدلالة. وهذا ما ثبت عن الإمام مالك وابن القاسم وغيرهم من دوام عصمة من ارتد عن الإسلام وهرب لدار الحرب وحارب المسلمين، فإن لم تستباح أموال المرتد فأموال الموالي من باب أولى فلا يجوز الاعتداء عليها<sup>4</sup>. ومن جهة أخرى فإن ظروف الهجرة وما ينجر عنها من معاناة حدث ولا حرج، فقد كان هؤلاء الموريسكيون يعانون شدة أثناء هجرتهم حيث كانوا يهاجرون في سفن تجارية ويضطرون إلى الهجرة إلى بلد نصراني

1 جلال الدين السيوطي: جامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير، ج 02 دار الفكر، بيروت، د.ت.ن، ص 454.

2 أبو العباس أحمد الونشريسي: المصدر السابق، ص 18-19.

3 الحسن اليوسي: المرجع السابق، ص 205.

4 محمد عبد الله البوصادي: المرجع السابق، ص 242.

قبل أن يعبروا لضفة بلاد المغرب، وأيضا عند وصولهم لم يجدوا الترحاب من إخوانهم، فيستقبلون بجفاء وغلظة ويعاملون معاملة سيئة لأنهم يعدونهم من النصارى<sup>1</sup>.

يرى الدكتور حسين مؤنس أن هؤلاء الذين كَفَرَهُم الشيخ الونشريسي ببقائهم في دار الحرب قد حافظوا على التراث العربي الإسلامي إلى القرن السابع عشر الميلادي رغم القيود والإرهاب وهم أولى الناس بمحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القابض على دينه كالقابض على الجمر" كما يرى أن الشيخ الونشريسي فاته أن معظم هؤلاء الناس كانوا من الضعفاء، والهجرة كانت مستحيلة فهي محفوفة بالمخاطر فكان لابد للمهاجر من صرف نصيب من المال حتى يؤذن له،<sup>2</sup> كل هذه النواحي الإنسانية غابت عن الشيخ الونشريسي حين أصدر تلك الفتوى، في حين أنه لم يكلف نفسه عناء التنقل إلى أرض الاندلس حين أصدرها<sup>3</sup>.

### المبحث السادس: نماذج من الهجرة بعد الاستعمار:

لم يقف الفقهاء في غرب إفريقيا على دعوة الناس وتحويلهم على الهجرة، بل إن الكثير منهم كانوا في طليعة المهاجرين، ولم تقتصر هذه الهجرة على منطقة دون أخرى، فقد كانت عقيدة آمن بها كثير من الناس وبناء عليها تركوا أراضيهم ومساكنهم استجابة لهذا الأمر.

#### 1- هجرة الفلان نحو الشرق:

كانت كتابات الشيخ عثمان بن فودي مصدرا لفقهاء صكتو بعده، فقد أشار الشيخ وابنه محمد بلو في كتاباتهما إلى وجوب هجرة أتباعهم نحو الشرق ولهذا انطلقت هجرات محتشمة من بلاد الهوسا قبل سيطرة الاستعمار إلا أن الهجرة الحقيقية والمعتبرة كانت بعد الهيمنة الاستعمارية على البلاد.

1 محمد قشتيليو: حياة الموريسكوس الاخيرة باسبانيا ودورهم خارجها، مطابع الشويخ، تطوان المغرب، 2001، ص 25-26.

2 محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 398.

3 أحمد الونشريسي: المصدر السابق، ص 18-19.

## 1-1 دوافع هجرة سكان إمارة صكتو نحو الشرق:

افتتن المسلمون في غرب إفريقيا لمدة طويلة بمسألة قرب الساعة وظهور المهدي وهذا جزء من تعلقهم في كل أنحاء العالم بالغيبيات، وهذا ما جعل المستشرقين يستغلون هذه النقطة لتفسير الكثير من الأحداث الدينية التي يقوم بها المسلمون بهذه الخوارق، ومن ذلك مسألة الهجرة<sup>1</sup>. ولعل أهم الدوافع الشائعة في كتب المؤرخين عن أسباب هجرة سكان إمارة صكتو نحو الشرق بعد سقوط الإمارة تحت سيطرة الانجليز هي ثلاث نقاط: أولاً قرب قيام الساعة وقرب ظهور المهدي وبالتالي تنفيذ الهجرة التي تنبأ بها الشيخ عثمان. النقطة الثانية، تخص تحقيق حلم إقامة دولة الفلان بالشرق، أما النقطة الثالثة، الهروب من ظلم المستعمر وقوته. وهذه النقاط الثلاث لا تخلو من نظر<sup>2</sup>.

## 1-2 المعارضين للهجرة في إمارة صكتو:

بعد انقسام الناس حول خيار الهجرة والمهادنة في إمارة صكتو، وبعدها تأكد الناس أنهم لا قيل لهم بمحاربة الانجليز، قرر أمير المؤمنين الطاهر الهجرة، هذا القرار أقلق الكثير من الشخصيات النافذة والبارزة في صكتو وعلى رأسهم محمد مرافا أخ الأمير الطاهر والذي كان له الفضل في تولي الأمير الإمارة، فقد بعث محمد برسالة إلى أخيه الطاهر يعبر فيها عن أسفه للقرار الذي اتخذته الأمير والذي كان سبباً في تحلل الكثير من مبايعته، ويذكر محمد مرافا الأمير بأن قراره سيفسد جميع الخطط والمشاريع ويختتم رسالته بقوله: "...أستحلفك بالله ألا تدع أحدا يسمع من فمك أننا نزع الرحيل عن هذه الديار لأن في ذلك نهاية لأمرنا..." ومن المعارضين أيضاً أنصار الطاهر بن علي الذي تنازل عن الخلافة غصباً وضمنت قائمة المعارضين الوزير محمد البخاري<sup>3</sup>.

كان الخليفة الطاهر الأول في وضع لا يحسد عليه حيث سقطت معظم إمارات الدولة، والانجليز على مشارف صكتو ولا يوجد جيش كافٍ لمجابهتهم، لهذا قرر عقد اجتماع تشاوري للخروج بقرار صائب من هذا المأزق حتى لا يستبد بالقرار، وقد لقيت فكرة الهجرة التي طرحها القاضي عبد الله

1 عبد الله عبد الماجد إبراهيم: المرجع السابق، ص 334.

2 الأمين أبو منقعة: الأسس الفقهية، المرجع السابق، ص 29

3 عبد الله عبد الماجد إبراهيم: المرجع السابق، ص 330-331.

معارضة كبيرة لأن فيها تحطيماً لروح الجهاد وضياعاً للخلافة دون مقاومة تُذكر، وهذا سيئ ومشوه لسمعة المسلمين ومُقلل من هيبتهم في أعين غيرهم من المسلمين وحتى أمام عدوهم<sup>1</sup>.

### 1-3 الهجرة من إمارة صكتو نحو الشرق:

لما بلغ المسلمون خبر وصول الانجليز إلى أطراف صكتو انقسم الناس والعلماء إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول رأى بوجوب الجهاد حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، والثاني رأى وجوب الصلح معهم، أما الثالث، فرأى الحل في الهجرة إلى الشرق قبل وصولهم، وكان أمير المؤمنين يميل إلى الرأي الأخير. وبعد الهزيمة في المعركة الكبرى أمام الانجليز اتجه أمير المؤمنين مهاجراً مع من بقي معه نحو الشرق حتى وصلوا إلى قرية بريم حيث لحقهم الإنجليز فقاتلوهم وهناك استشهد الأمير، وبعدها تفرق الناس إلى فرقتين فرقة واصلت الهجرة نحو الشرق إلى السودان العربي، وفرقة فضلت الرجوع إلى صكتو وكان عددهم قليل<sup>2</sup>.

كانت الفترة ما بين مارس وجويلية 1903م بداية الانطلاق في الهجرة نحو الشرق، فقد تجمع السكان واندفعوا من كل حدب وصوب للاحاق بركب الهجرة، إلا أن هذا الأمر أقلق الانجليز أكثر من بقاء الأمير لذا عملوا على مطاردته خصوصاً أن ركب الهجرة بدأ يزداد كلما مرّ بقرية أو منطقة، فالتحق الناس أفواجا بهذا الركب ومما زاد في قلق الإنجليز أكثر انضمام شخصيات ذات مكانة سياسية ودينية مرموقة من أمثال الأمير أحمد ميساو وقاضي كانو دون ياموس: (مقاجن كفى) ومهاجرين من فوتاتور، السنغال وماسينا<sup>3</sup>.

بدأت الهجرة تتجلى بداية من يوليو 1903م، مع مطاردة الإنجليز لهم ورغم ذلك انطلق المهاجرون أفواجا وجماعات من كل حدب وصوب مهاجرين نحو الشرق للحاق بالمهدي، منفذين ما وصاهم به الشيخ عثمان، قبل هذا الموعد بسنوات طويلة<sup>4</sup>. فبعد استشهاد الطاهر تولى الخلافة ابنه محمد بيلو ميورونو وهو الذي قاد جماعة المهاجرين من الأتباع الذين واصلوا مسيرتهم نحو الشرق يقودهم الأمير

1 عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار، المرجع السابق، ص 52.

2 موسى عبد السلام: الغزو الفكري الاستعماري، المرجع السابق، ص 94.

3 عبد الله عبد الماجد إبراهيم: المرجع السابق، ص 333.

4 الأمين أبو منقة: موقف الخلافة السكتية، المرجع السابق ص 115.

الجديد، وتوقفت الرحلة جنوب سنار<sup>1</sup>. وقد بلغ عددهم حوالي 25 ألف وبلغت الجماعة النيل الأزرق 1906م وهناك بنوا قرية (مايرنو) 15 كيلومتر جنوب (سنار)<sup>2</sup>. وهذا بعد استشهاد الأمير الطاهر وعدد من الوجهاء والاعيان، ظل الأمير بالمدينة الجديدة مايرنو والتي عرفت باسمه إلى غاية وفاته سنة 1940م، بينما واصل عدد من المهاجرين الرحلة نحو مكة المكرمة<sup>3</sup>.

## 2- هجرة علماء وأهل شنقيط:

إضافة لمن أوردنا من فقهاء شنقيط ممن أفتوا بضرورة الهجرة وطبقوها، فقد أورد محمد محمود ولد ودادي في تاريخ البرابيش أنه في سنة 1908م، هاجر من الحوض حوالي 600 رجل رفقة عائلاتهم بعد سيطرة الاستعمار الفرنسي على المنطقة، وكان في مقدمة هؤلاء المهاجرين مجموعة من الفقهاء أبرزهم المختار ولد سيدي ولد الشيخ القاضي، ومحمد عبد الله ولد أحمدية، ومحمد الأمين ولد زيني القلقمي... واستقرت جماعات من هذا الوفد بليبيا والبعض الآخر بالأردن وهناك من واصل المسيرة نحو تركيا، وقد تركوا أثراً طيباً بكل المناطق التي مروا بها<sup>4</sup>. ومن بين الذين هاجروا أيضاً الشيخ حمه بن اخليفة من قبيلة الجعافرة التي تقطن في جنوب شرق شنقيط. حيث قاوم الشيخ المستعمر بضراوة إلا أن مقاومته لم تطل، مما جعله يرحل عن موطنه مبتعداً بدينه وقومه عن الحكم الفرنسي إلى أن توفاه الله<sup>5</sup>.

## 3- الطريقة الغطفية والهجرة:

من أبرز أعلام الطريقة الغطفية الشيخ الغزواني بن محمد محمود الذي فتحت له الإدارة الفرنسية تقريراً وملفاً خاصاً لمتابعته، وقد عُرِفَت هذه الطريقة بعدائها الشديد للاستعمار الفرنسي، ومن أبرز رجالاتها أيضاً محمد الأمين بن زين القلقمي وابنه محمد زين العابدين وهما من قادا الهجرة نحو المشرق

1 بابكر حسن قدرماري: المرجع السابق، ص 05.

2 الأمين أبو منقة: موقف الخلافة، المرجع السابق، ص 116.

3 آدم عبد الله الألوري: المرجع السابق، ص 208.

4 محمدو محمدن أمين: المرجع السابق، ص 106.

5 محمد سعيد قشاط: المرجع السابق، ص 70.

لما وقع الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وأشهر رجال هذه الطريقة أيضاً بن مولاي الزين الذي قتل قائد الحملة الاستعمارية الفرنسية بموريتانيا كبولاني<sup>1</sup>. فما إن تم احتلال فرنسا لموريتانيا حتى خاطب الشيخ محمد الأمين بن زيني القللمي<sup>2</sup> السكان وأمرهم بالرحيل عن هذا البلد الذي صار في قبضة الفرنسيين، فامثل السكان أمره وأبرزهم بعض الأسر القللمية، المسومية، البوساتية، والدليمية. وتركوا ديارهم وأراضيهم في حوالي ستمائة شخص، وكان لهذه الهجرة وقع مؤلم على الفرنسيين الذين لم يستوعبوا هذه القطيعة الجازمة وهذا الرفض القاطع للبقاء معهم. وقد وصل الركب الغطفي إلى فزان بليبيا وبعد الاحتلال الايطالي لليبيا توجه الوفد نحو بلاد الحجاز ومنه إلى الشام ليستقر في النهاية بمدينة أضنة بتركيا<sup>3</sup>.

## المبحث السابع: تطورات مواقف الهجرة:

### 1- الهجرة وتشنت القبائل:

دعا بعض الفقهاء إلى ضرورة الهجرة من بلد تغلب عليه الكفار، بينما رأى فريق آخر أن الهجرة تكون داخلية فقط<sup>4</sup>. ولما تم للعدو السيطرة على البلاد كانت الهجرة حلاً للكثير من القبائل التي تفرقت ومن ذلك أهل الشيخ ماء العينين فقد سكن فرع بدرعة بقيادة شبيها بن الشيخ ماء العينين، وفرع الشيخ علي بن محمد الفاضل استوطن في بني ملال، واستقرت مجموعة في الداخلة مع الشيخ الطالب بوبكر، واستوطن فرع في موريتانيا بزعامة الطالب أختيار وأقامت مجموعة بزعامة عبداتي بن الشيخ ماء العينين في طنطان<sup>5</sup>. أما في بلاد الهوسا فبعد تنفيذ الهجرة لم يبق في صكتو إلا القليل من الناس حيث أن الغالبية تبعوا الأمير فراراً بدينهم وتنفيذاً لوصية شيخهم فكتب الوزير الجنيد قصيدة طويلة تبين الحال المرير الذي آلت إليه المدينة حيث يقول:

1 سيدي أحمد ولد الامير: المرجع السابق، ص 166.

2 محمد الأمين بن زين القللمي هو فقيه وشاعر موريتاني من منطقة الحوض، قاد مجموعة كبيرة من المهاجرين حوالي 600 شخص واتجه بهم نحو ليبيا، وشارك في الجهاد ضد الايطاليين. ينظر عبد الله الشيخ ولد سيدي: نقد الشعر الفصيح عند الشناقطة 1700-1960، اتحاد الادباء والكتاب الموريتانيين، موريتانيا، 2013، ص 393.

3 سيدي احمد ولد الامير، المرجع السابق، ص 50.

4 محمدمو محمدن أمين: المرجع السابق، ص 105.

5 حمداتي شبيها ماء العينين: قبائل الصحراء المغربية أصولها جهادها ثقافتها، المطبعة الملكية، الرباط، 1998، ص 145.

ظعن الذين عهدت في ذا النادي  
 وعلام تبكي من بكاء حمامة  
 والدمع يجري فوق نحر ك سائلاً  
 ذهبوا وغير رسم دارهم البلا  
 ماذا وقوفك في الطلول تنادي  
 في أيقة تشدو على الترداد  
 كالماء يجري في مسيل الواد  
 المرذ وطول تهجر وبعاد...<sup>1</sup>

## 2- الرجوع عن مواقف الهجرة:

رجع الكثير من العلماء عن رأيهم وموقفهم من وجوب الهجرة وترك البلاد، فمنهم من كاتب الفرنسيين وعاد إلى الاستقرار في البلاد بل أصبح من المقربين من الفرنسيين وتوطدت علاقته بهم، ومنهم الشيخ سيد محمد بن حامي. وقد أرسل بعضهم إلى الشيخ باب سيديا اعتذاراً عما صدر منهم وما قالوه في حقه، واعترفوا بسداد رأيه. كما عاد العديد من العلماء والأسر عن قرار الهجرة خصوصاً في المنطقة الشرقية والحوض مثل ابن اخطور والشيخ التراد بن العباس القلقمي وأصدروا فتاوي بسقوط الهجرة والجهاد معاً، وهذا انطلاقاً من استقراء أوضاع المنطقة ومن النصوص الشرعية أيضاً<sup>2</sup>.

## 3- موقف الأوروبيين من الهجرة:

لم يستغ الأوروبيون هذه الهجرات الجماعية التي انطلقت مع مجيئهم، فقد حير هذا الموقف الإنجليز في البداية، كيف للإنسان أن يترك أرضه وأرض أجداده التي ارتبط بها زمناً طويلاً؟ بمجرد وجود هؤلاء النصارى، ولهذا حاول الإنجليز من خلال كتاباتهم وتقاريرهم السرية التقليل من شأن الهجرة وربطها بالأسباب الخرافية والميتافيزيقية خاصة مسألة المهدي، ومحاولة تجريدها من صبغتها الدينية، لأنها ليست من مصلحتهم. فمثلاً الحاكم الإنجليزي بالمر Palmer المقيم في برنو كتب في تقريره ما يلي: "...الأعداد الكبيرة من مواطني غرب إفريقيا الذين عبروا إلى السودان، جاؤوا لأسباب دينية، ويمكن القول خرافية... للاعتقاد السائد لدى الفولاني بأن هذا الشعب المختار سيقاد يوماً إلى أرض أجداده بواسطة

1 موسى عبد السلام: الغزو الفكري الاستعماري، المرجع السابق، ص 94.

2 سيد محمد ولد محمد: المرجع السابق، ص 35.

المهدي...<sup>1</sup>. وللحد من هذه الهجرة حاول بالمر تنظيم السفر خارج البلاد وذلك عن طريق إصدار جوازات السفر، ولا يسمح للمسافر أن يهاجر إلا مع أقاربه وكذا إيداع مبلغ مالي قبل السفر<sup>2</sup>.

والتأمل في عوامل هجرة سكان إمارة صكتو يجدها لا تخرج عن ثلاثة أسباب مشهورة عند معظم الكتاب وهي: قرب قيام الساعة وتنفيذ وصية الشيخ عثمان، ثانيا: الحلم بتأسيس دولة الفلان في الشرق وثالثها الهروب من الأقوى. وهذه العوامل الثلاثة تحتاج إلى تدقيق، فهي مرتبطة بالإدارة الاستعمارية بهدف التقليل من قيمة الهجرة ومن أجل منع الناس منها. فلو نظرنا للعامل الأول نجد أن المستشرقين كثيرا ما نسبوا إلى علماء الهوسا العديد من الخوارق والكرامات وخاصة للشيخ عثمان مثل المشي على الماء والطيران وقطع المسافات الطويلة في مدة قصيرة... رغم أن الشيخ كان ينفي كل ذلك في حياته. والعامل الثاني المتعلق بإنشاء دولة الفلان كان الهدف منه تجريد الهجرة من صبغتها الإسلامية والشرعية والادعاء بأنها من منطلق قومي عنصري. أما العامل الثالث وهو مسألة الهروب فلا يقبله عقل ولا منطق، خصوصا لو علمنا ما قاساه المهاجرون من متاعب أثناء تلك الرحلات من جوع وعطش واسترقاق<sup>3</sup>.

#### 4-واقع الهجرة اليوم:

إن موضوع الهجرة من دار الكفر لايزال مطروحا اليوم وبشدة، في العديد من الدول وإن اختلف عما كان عليه في الماضي، فالمهاجرون الذين يعيشون تحت القوانين المسيحية وغيرها ينسلخون من هويتهم ومبادئهم يوماً بعد يوم لأنه لا عاصم لهم رغم وجود القوانين الدولية التي تحمي الحقوق العامة، لكنها لا تحميهم في إطار الحياة الاجتماعية واليومية والأفكار والإعلام الذي يبعدهم عن هويتهم، وبالتالي ستولد أجيال بعيدة عن تراثها وهويتها وقيمها الإسلامية<sup>4</sup>.

1 عبد الله عبد الماجد إبراهيم: المرجع السابق، ص 335.

2 Martthew Michael Heaton: Stark roving mad: The Reperation of Nigerian mental patients and the Global construction of mental illness, 1906-1960, Doctora of philosophy, faculty of the graduate school, University of Texas, USA, 2008, p 191.

3 الأمين أبو منقة: الأسس الفقهية، المرجع السابق، ص 29.

4 الحسن اليوسي: المرجع السابق، ص 213.

## 5-تقييم موقف الهجرة:

لعل من أهم الردود على رأي الهجرة هي أن هذا الرأي والموقف تنجر عنه مفسد عظيمة حيث ستصبح البلاد الإسلامية بهجرة أهلها بلاد مسيحية، والأمر الثاني، المعاناة والتخويف مما سيلاقه هؤلاء المهاجرون في طريقهم من متاعب، وعطش خاصة مع قسوة المناخ، والأمر الثالث، مثلما ذكر الشيخ سيدي باب أن البلاد والأرض كلها أصبحت تحت حكم المسيحيين فلا مفر ولا مهرب ويضيف أن البلدان الواقعة تحت حكم المسيحيين اليوم هي الصالحة للعيش ولإقامة الدين وهذا أفضل طبعاً من السبية والفوضى التي كانت سائدة<sup>1</sup>.

إن الناظر لمواقف الهجرة وأصحاب هذا الرأي يجد لهم سند في تاريخ المسلمين وتاريخ الأنبياء قبلهم، فهم لم يكونوا بدعاً، بل إن لديهم ما يشابه موقفهم حتى قبل الإسلام، ومن ذلك اعتزال نبي الله إبراهيم لقومه، واعتزال أهل الكهف، وهجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة فراراً بدينهم، وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وغير بعيد عنهم هجرة الشيخ عثمان من طفل إلى غدو، وهذه الهجرات لها أدلة وأسانيد في القرآن الكريم<sup>2</sup>. ويرى الحسن اليوبي في كتابه ((الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية)) إن أهم المشاكل التي أصبحت تواجه الحركات الجهادية هي قضية ارتباط السكان بالمحتل الأجنبي حيث أصبحوا عامل تقوية له من خلال إمداده بالضرائب وإعانتته بالأخبار وإمداده بما يحتاج إليه، وما يؤديون له من خدمات سواء عن قصد أو عن غير قصد، والأدهى والأمر هو مشاركة البعض في حركاته العسكرية بالتجنيد في صفوف جيش المحتل<sup>3</sup>. ورغم كل العراقيل التي أثرت حول قضية الهجرة إلا أنه يمكن اعتمادها كمبرر ودليل لعدم الهجرة من أرض الكفر لأن المسلم مرتبط بدينه أولاً قبل أرضه رغم ما لحب الوطن من قيمة لا يمكن التغافل عنها أو إنكارها ومشاعره وأحاسيسه نحو وطنه معتبرة لكنها لا تبلغ حجم الدين<sup>4</sup>.

1 باب ولد أحمد: المرجع السابق، ص 13.

2 الأمين أبو منقة: الأسس الفقهية، المرجع السابق، ص 31.

3 الطالب أخيار: المرجع السابق، ص 85.

4 الحسن اليوسي: المرجع السابق، ص 206

وخلاصة القول انطلاقاً مما سبق:

- هجرة المسلم من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة حفاظاً على دينه، فهو أعلى ما يملك. ولهذا الرأي أدلة من القرآن والسنة النبوية.
- أهتم الفقهاء قديماً وحديثاً بموضوع الهجرة سواء في غرب إفريقيا أو غيرها من مناطق العالم الإسلامي، وصنفوا فيه تأليف عديدة، شكلت تراثاً هاماً في تاريخ الأمة الإسلامية.
- شكلت فتوى الشيخ الونشريسي أهم مصدر للداعين إلى الهجرة، وفي المقابل تعرضت للكثير من الانتقادات. ولم يحفل فقهاء غرب إفريقيا بفتاوى المناطق المجاورة والمعاصرة لهم وهذا دليل على النضج الذي وصل إليه الفقه في المنطقة.
- لم تكن ظروف الهجرة مواتية مع إحكام الأوروبيين قبضتهم تقريباً على كل البلدان، وظروف السكان التي كانت صعبة للغاية، فالهجرة تتطلب شروطاً عديدة.
- للهجرة مخاطر عديدة مما جعل الكثير من الفقهاء يتراجعون عن رأيهم ومواقفهم منها ويعودون لبلدانهم وأراضيهم، ولم ينل هذا الرأي تأييد الكثير من الفقهاء.
- دعا الكثير من الفقهاء في غرب إفريقيا إلى الهجرة وقادوا جماعات من البشر نحو مناطق أخرى لم تستعمر، ونحو المشرق، فراراً بدينهم أولاً، لا كما صور المستشرقون هذه القضية.
- احتلت قبائل الفلان المرتبة الأولى من حيث عدد المهاجرين تنفيذاً لدعوة الشيخ عثمان والفقهاء من بعده، مما جعلهم يؤثرون في النسيج الاجتماعي للسودان المصري نظراً لتلك الأعداد الهائلة التي استقرت هناك.

## الفصل الرابع: آراء فقهاء غرب إفريقيا في المهادنة

المبحث الأول: تعامل الفقهاء مع الأوروبيين قبل الاستعمار

المبحث الثاني: المواقف المؤيدة للمهادنة

المبحث الثالث: المواقف المعارضة للمهادنة

المبحث الرابع: مواقف فقهاء خارج إفريقيا الغربية من المهادنة

المبحث الخامس: مواقف الطرق الصوفية من المهادنة

المبحث السادس: خلاصة آراء ومواقف المهادنة

من أبرز المواضيع التي اهتم بها الشرع الإسلامي قضية الهدنة فلا يمكن الحديث عن الجهاد دون الحديث عنها، فهما مرتبطان، فهي جائزة شرعاً سواءً بعد جهاد الدعوة أو حتى جهاد الدفع، كما أن الأعراف والقوانين الدولية تناولت تفاصيل وحيثيات الهدنة، وقد تباينت آراء الفقهاء قديماً وحديثاً حول الهدنة ووجوبها وشروطها، سواء في غرب إفريقيا أو غيرها من مناطق العالم الإسلامي.

## المبحث الأول: تعامل الفقهاء مع الأوروبيين قبيل الاستعمار:

### 1- مفهوم المهادنة:

بالبحث عن أصل الكلمة هدنة نجد أنها مشتقة من الفعل هدن ويعني سكن وأسكن، والمهادنة بالضم كالمصالحة، والدعة والسكون<sup>1</sup>. وقد ورد في لسان العرب المحيط أن الهدنة أو الهدانة تعني المصالحة بعد الحرب، وأصل الهدنة السكون بعد الهيج وتُقَال للصلح بعد القتال والموادعة بين المسلمين والكفار وبين كل متحاربين، وغالباً تكون لمدة معينة<sup>2</sup>.

أما في الاصطلاح فهي المصالحة بعد الحرب أو فترة تعقب الحرب يتهياً فيها الخصمان للصلح، فقد ورد في مختصر ابن عرفة في مفهومها: "المهادنة وهي الصلح، عقد السلم مع الحربي على المسألة مدة ليس هو فيها تحت حكم الإسلام، فيخرج الأمان والاستئمان، وشرطها أن يتولاها الإمام لا غيره"<sup>3</sup>.

### 2- مؤلفات حول المهادنة:

اهتم الفقهاء المالكية بمسألة المهادنة والتعامل مع أهل الذمة، فصنفوا عدة مؤلفات حول المسألة ومن أبرزها: ((الجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين بلاد الروم)) لأبي بكر بن محمد الفخار الجذامي المالقي (ت723هـ/1323م) و((كشف الغطاء والستر في موالات الكفار)) لمحمد

1 الفيروز أبادي: المصدر السابق، ص 1239.

2 ابن منظور: المصدر السابق، ص 4638

3 محمد بن عرفة: المختصر الفقهي لابن عرفة، تح: حافظ عبد الرحمن محمد خير، ج 03، خلف أحمد الحبثور للأعمال الخيرية، الامارات العربية المتحدة، 2014، ص 67

بلو(ت1253هـ/1837م) و((فتوى بجواز الاحتماء بالأجنبي من الملة)) لإبراهيم بن عبد القادر الرياحي(ت1266هـ/1850م) و((جواب في حكم الاحتماء بالكفار)) لجعفر بن إدريس الكتاني(ت1323هـ/1905م) و((منار الحيارى في حكم من غلب على وطنه النصارى)) لمحمد بن حبت الغلاوي(ت1954م)<sup>1</sup> ومن المؤلفات حول المهادنة أيضاً ((رسالة الوزير إلى أهل العلم والتدبير)) ألفها محمد البخاري تتألف من عشر صفحات وتتكون من جزئين: الأول يشرح أسباب قبول المهادنة والثاني يتضمن فتوى القاضي أحمد سعد قاضي غواندو، ومن أبرز المؤلفات كذلك المساندة للمهادنة كتاب القاضي أبي بكر بن القاضي أحمد سعد تحت عنوان ((إرشاد الحيارى في معاملة أيمتنا بالنصارى))<sup>2</sup>.

### 3- إشكاليات التعامل مع الأوروبيين:

بغض النظر عن جواز التعامل مع النصارى أو عدمه، كان التعامل مع الأوروبيين قبل الاستعمار في غرب إفريقيا عامة وفي بلاد شنقيط خاصة يطرح عدة إشكالات فقهية أهمها نقطتين أساسيتين: الأولى جواز التعامل مع النصارى في حد ذاته والثانية تتعلق بطبيعة العلك هل هو طعام يجرم بيعه بالطعام؟ لأنه ربا، أم إن العلك ليس طعاماً، لا ربوية في مبادلته بالطعام؟ ومن بين النقاط كذلك مسألة استخدام الأوروبيين القنطار في تعاملاتهم والتلاعب في الأوزان، وهذا ما أثار ردود فعل عديدة، أي الغش بالغش منها خلط العلك الجيد بالرديء ومنها مزجه بالتراب ليزيد وزنه<sup>3</sup>.

### 4- مواقف العلماء في التعامل مع الأوروبيين نهاية القرن 18م:

تباينت الآراء والمواقف منذ القدم حول حكم التعامل مع الأوروبيين في أقطار شنقيط وضواحيها بين فقهاء يعدون من الأفاضل، فمن ذلك ما رواه والد بن خالنا(ت1212هـ-1797م) عن شيخه الفقيه الأمين بن الماحي بن الحسن بن أوبك حينما سئل عن فتوى السفر إلى المراكز الأوروبية والتعامل مع أصحابها، وهل يجوز قصر الصلاة في هذا السفر؟ فأجابه شيخه مینحه لقد أدركت من أولي الفضل

1 محمد العلمي: المرجع السابق، ص 388.

2 الأمين أبو منقة: موقف الخلافة، المرجع السابق، ص 117-119.

3 محمد المختار ولد السعد: إمارة الترازة، المرجع السابق، ص 420-423.

وممن يقتدى بهم لهم مذاهب مختلفة في هذه المسألة: الأول وهو أبو حيدة المختار بن يحيى كان لا يتسبب في أمر العلك وكان ينهى عبده أن يعينوا أولاده ولو بحلاب بقرة إن تأهبوا للعلك. والثاني: صباره بن بابه بن أحمد فكان يسعى في العلك ويبيعه لمجير السفن ويقول له اصنع به ما شئت<sup>1</sup>. أما الثالث فهو: الفقيه الفاضل بن باركله فكان يسعى في تحصيله ويتاجر فيه مع النصراني، فإذا أخذ ثمنه قال تأولت فيه قول خليل: "واغتفر غير يسير لحاجة لم يقصد....". وكان الشيخ مينحه يتم في ذهابه إلى المراكز الأوروبية ويقصر في الرجوع منها<sup>2</sup>.

### 5- مواقف الفقهاء من المستكشفين:

شهدت منطقة غرب إفريقيا مقتل العديد من المستكشفين الذين حاولوا التسلسل إليها والتعرف على جغرافيتها وخصائصها الطبيعية أمثال دانيال هافتون، ومانجو بارك، ولم يسلم إلا القليل بعد توفير الحماية لهم من طرف بعض العلماء أو القبائل. فقد استضاف الشيخ محمد بلو الرحالة الإنجليزي كلابرتون (Clapperton) مدة من الزمن، ولما هم الرحالة بالرحيل حمّله الشيخ رسالة لملك إنجلترا يبحث فيها على حسن معاملة أسرى المسلمين<sup>3</sup>.

### 5-1 موقف الشيخ أحمد البكاي من المستكشفين:

تجلى موقف الشيخ أحمد البكاي في حمايته ورعايته للمستكشف هنري بارث حيث حماه الشيخ ودافع عنه، رغم معارضة أمراء ماسينا والطوارق لدخول هذا الأوروبي إلى تمبكتو، وفي هذا الصدد أرسل الشيخ البكاي رسالة مطولة إلى الشيخ أحمدو لبو في شأن هذا النصراني<sup>4</sup>. وقد حاول حمادي ابن أخ الشيخ البكاي التعرض لبارث، كما طالب أمراء ماسينا بتسليمه باعتباره جاسوساً وهو يختلف عن هذا المجتمع في دينه ولغته وعاداته، إلا أن الشيخ البكاي أصر على حماية ضيفه واضطر من أجله للخروج

1 سيدي باب وسعد بوه: وثائق ورسائل وفتاوي، حمد سالم بن باقاه، انبيكت، رقم 656، <http://dl.ub.uni->

[freiburg.de/omar/mfmau0656/0019](http://freiburg.de/omar/mfmau0656/0019)، ظ 05.

2 محمد المختار ولد السعد: إمارة الترازو، المرجع السابق، ص 421.

3 أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص 107.

4 ينظر أحمد البكاي: جواب أحمد البكاي بن محمد بن المختار إلى أحمد الأمير أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد الفلاني في شأن النصراني، مكتبة الكونغرس الأمريكي، Arab 6756.

من تمبكتو والسكن بالبادية ووجه عدة مراسلات يرد بها عن هذا الموقف كما نظم الشيخ البكاي قصيدة من ثلاثين بيتا منها:

وتنصر الضيف من كل السوق فئة هم أسد في النائبات وسؤدد  
 هم القوم في الإسلام لا يخذلونني وهم إخوتي أجلي إليهم وأنجد  
 ولي من بني الفلان في الأرض عصابة إلى نصر دين الله نسعى ونخفد  
 أحب إليهم من بنيتهم وما لهم وأنفسهم جيش الاله يؤيد<sup>1</sup>.

وقد برر الشيخ البكاي موقف الشيخ أحمدو لبو من هؤلاء المستكشفين بأن دافعه بدرجة أولى هو الحصول على المال لا أكثر، ويحاول تغطية مراده بالدين -وهذا ما يؤكد التفسير الاجتماعي لأعمال العنف قديماً وحديثاً- وهناك عامل ثاني وهو الجهل بالكتاب والسنة، كما رأى الشيخ البكاي أن المرجعية الأساسية في مثل هذه الأحكام يجب ردها إلى ولي الأمر آنذاك وهو السلطان العثماني عبد المجيد الثاني والسلطان المغربي عبد الرحمن بن هاشم<sup>2</sup>.

وبهذه الحماية من الشيخ مكث بارث في تمبكتو من 27 سبتمبر 1853 إلى 08 ماي 1854م<sup>3</sup>. وهي أطول فترة عاشها مستكشف بتبكتو، وقد خير الشيخ البكاي ضيفه قبل مغادرته بين ثلاث طرق ليصل سالمًا إلى بلاده: الأولى عبر أراضي الفلان وإمارة ماسينا إلى الساحل الغربي والطريق الثاني عبر أراضي الطوارق إلى شمال إفريقيا أما الطريق الثالث فيتمثل في أن يعود من الطريق الذي قدم منه إلى تمبكتو<sup>4</sup>.

ومن أجل ضمان سلامة ضيفه فقد أرسل الشيخ معه رسالة ذكّر فيها كل أجداده وأوصى جميع الفولانيين والقادريين والمسلمين بشكل عام بحماية ضيفه وضييفهم بالمسافر المسيحي عبد الكريم بارث

1 محمد الصالح حوتيه: آل كنته، المرجع السابق، ص 182.

2 ياسين بن روان: تاريخ التسامح في الصحراء دراسة لفتوى الشيخ سيدي أحمد البكاي الصغير في شأن النصراني، مركز بلعري العلوي للدراسات التاريخية، المملكة المغربية، 2019، ص 09

3 Mgr A. Hacquard: Op.cit, p 66

4 Henri Barth, voyages et découvertes dans l'Afrique, traduction : Paul Ithier, deuxième édition, Firmin Didot Frères, Paris, 1863, P 45.

ضمانا لسلامته<sup>1</sup>. وكان قبل توديعه لضيفه حمّله رسالة مجاملة للملكة فيكتوريا يمدحها فيه ويعبر لها عن رغبته في إقامة علاقة مع المملكة البريطانية، بل أكثر من ذلك فقد أرسل الشيخ البكاي وفداً من خيرة سفرائه سنة 1862م إلى ملكة بريطانيا يطلب منها إمداده بجيوش وعُدّة لمواجهة أطماع الحاج عمر في المنطقة، إلا إن الملكة لم تلبّي طلبه خوفاً من الدخول في مواجهة مع القوات الفرنسية التي كانت تتوسع هناك<sup>2</sup>.

كانت لدى الشيخ البكاي نظرة بعيدة وذلك من خلال محاولته توثيق الصلة مع الانجليز ليقطع الطريق على فرنسا ولهذا استضاف المستكشف بارث باعتباره ممثلاً للدولة الإنجليزية، وحاول الشيخ توطيد العلاقات للوقوف أمام التوسع الفرنسي في المنطقة، ولتضمن له بريطانيا مصالح العرب في نهر النيجر<sup>3</sup>. وقد كان الشيخ البكاي يرى في الانجليز حليفاً قوياً يمكن الاعتماد عليه من أجل السيطرة على منحى النهر سياسياً وعسكرياً، وهذا ما تضمنته رسائله التي بعث بها للانجليز عن طريق هنري بارث. وقد ردت الحكومة البريطانية على رسالة الشيخ عن طريق الوزير الأول اللورد كلارندون بكل شكر وتقدير ووعود بتقديم المساعدة<sup>4</sup>.

## 5-2 موقف الشيخ سعد بوه من المستكشفين:

رفض الشيخ سعد بوه التعامل مع المستكشفين في البداية لكنه عدل عن رأيه تبعاً لموقف فقهي يسمح بإجارة الكافر وهذا لاعتبارات عديدة منها: إن قتل واحد من هؤلاء النصارى سيضر بمصالح التجار الموريتانيين في بلاد السودان التي أصبحت تحت سيطرة النصارى، وإن قُتل فرنسي واحد سيقتل بسببه عدد من المسلمين، أما الدافع الثالث فإن هؤلاء المستكشفين همهم حب المغامرة والتفاخر ليس إلا، ودخولهم إلى المنطقة إن كان لسوء فقد رأى الشيخ أن استضافتهم لمدة كبيرة تعطيلاً لهم، ولهذا

1 Henri Barth: op.cit., p 293.

2 عمر عبد الماجد: "التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر"، مجلة دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، ع 48، 2012، ص 171.

3 محمد الصالح حوته: آل كتنه، المرجع السابق، ص 188.

4 بول مارتي: كتنه الشرفيون، المصدر السابق، ص 102.

كان يحرص ويبالغ في إكرامهم حتى يكونوا تحت مراقبته بل يُرسل من يقوم بمهامهم ومرافقتهم حتى لا يطلعوا على عورات المسلمين ونقاط ضعفهم<sup>1</sup>.

ومن أشهر المستكشفين الذين أنقذهم الشيخ سعد بوه من القتل المحقق بول صوليبي حيث تم الاستيلاء على قافلته من طرف أولاد دليم سنة 1879م ووفر له الحماية<sup>2</sup>. وكاد صوليبي أن يقتل مع من معه لولا تدخل الشيخ الذي فداه وسمح له بالعودة بعد أن قضى صوليبي 55 يوماً في بلاد البيضان حررها في وثيقة تحت عنوان (تقرير إلى وزير الأشغال العمومية حول رحلة بين سان لويس وأدرار). ومن جملة المستكشفين أيضاً بول بلانشي الذي تعرض سنة 1900م مع قافلته الاستكشافية إلى هجوم في منطقة آطار، حيث هاجم السكان القافلة وقتلوا عشرة من المجندين وأسروا ثلاثة وهرب باقي المجندين إلى أندر. ولولا حكمة الشيخ سعد أبوه والمختار بن عيده لوقع ما وقع، حيث دفع الشيخ أموالاً لفديتهم بعد سبعة وسبعين يوماً في الأسر<sup>3</sup>.

عمل الشيخ سعد بوه قبل الاستعمار الفرنسي لبلاد شنقيط على إنقاذ الأوربيين من القتل عدة مرات للأسباب السالفة الذكر، وقد ذكّر الشيخ كابولاني بهذا الأمر في أول لقاء لهما في رمضان 1325هـ/1907م، فقد روى لكابولاني أنه أنقذ موسى سلي ومن معه من أولاد دليم كما منع أعمار سالم من قتل فيبير كما أنقذ الشيخ موسى ابلانش ومن معه من سجن أهل ادرار بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدنى من القتل، ويبيّن الشيخ لكابولاني في نفس الوقت علة هذا الإنقاذ وهذه الوساطة فقال: "وما حملني على هذا كله إلا المحافظة من سبب يدخلكم أرض المسلمين أو حجة تحاربونهم بها، لظني أنكم لا تظلمون"<sup>4</sup>.

وقد أورد الشيخ سعد بوه في رسالة بعث بها إلى حاكم التراززة نفس الكلام الذي أخبر به كابولاني في تعامله مع المستكشفين، مُعللاً إن في إطلاق هؤلاء النصارى خير للمسلمين لأن فرنسا أحاطت بأقطار البلاد ولا يوجد سبب لإغاثتهم، وأنه قد جرهم ثلاثين سنة ولم يجد منهم في عهدهم وصحبتهم

1 علي بدوي: المرجع السابق، ص 103.

2 Gaston Donnet : op.cit., p 29.

3 الحسين بن محنض: المرجع السابق، ص 268-271.

4 محمد عبد الله البوصادي: المرجع السابق، ص 44.

إلا الصلاح، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل دخل الشيخ في مناظرات وحوارات مع علماء أدرار قرابة الشهر واستطاع أخيراً إقناع هؤلاء العلماء بأن هؤلاء النصارى دخلوا البلاد بأمان وعهد ولا يجوز في شرعنا الغدر كما أفنعههم بما سينجر من الشر على المنطقة بعد قتلهم<sup>1</sup>.

## المبحث الثاني: الآراء والمواقف المؤيدة للمهادنة:

### 1-مهادنة الحاج عمر الفوتي(ت1964م) للفرنسيين:

يعتبر الحاج عمر فوتي أهم رمز من رموز مقاومة الاستعمار في غرب إفريقيا، لكنه رغم ذلك حاول التقرب من الفرنسيين خلال مقابلتين سنة 1846 و1847م من أجل تثبيت حكمه في بلده الأصلي<sup>2</sup>. ففي سنة 1847م اجتمع الحاج عمر في مدينة بـكـل مع السيد كرامو حاكم مستعمرة السنغال ومعاونه النقيب (بول هول) ومسؤول عن الشؤون الخارجية، وفي هذا الاجتماع أعلمهم الحاج عمر عن نيته في تأسيس دولته الممتدة من المحيط الأطلسي إلى ما وراء تمبكتو وأنه سيمنحهم حرية التجارة والمرور، وتأمين حياة الشعوب، كما سيمنح للأوروبيين الحق في انشاء بنايات تجارية في إطار عقود مقابل دفع الجزية والرسوم بصفتهم رعايا أجنبية، وتكوين علاقات ودية، وفي الأخير أعلن نيته أن يكون صديقاً لأوروبا إذا نجحت الأهداف التي يرمي إليها. فوافق المسؤولون الفرنسيون على مقترحاته جملة وتفصيلاً<sup>3</sup>. وتكرر الأمر ذاته سنة 1854 حيث حاول الحاج عمر ربط علاقات مع الفرنسيين من أجل إمداده بالأسلحة، وفي لقاء له مع بعض مسؤوليهم أوضح لهم إنه يريد السلم ويكره الظلم وإن عليهم دفع الجزية مقابل تسهيل التجارة، وإن نجح مشروعه في إقامة دولة إسلامية ستكون صديقة للدول الأوروبية<sup>4</sup>.

ويشير عبد الله عيسى في كتابه الطريقة التجانية بأنه لا توجد أي وثيقة تثبت تفويض الحاج عمر لتيرنو موسى للقيام بعملية التفاوض مع الفرنسيين، فرمما يكون قد كلفه شفويّاً حتى لا يقع في حرج وتناقض، حتى لا يقال إن الحاج عمر المجاهد يسعى للتفاوض مع المسيحيين، وقد قام تيرنو موسى بمفاتيحة ومراسلة الفرنسيين في أمر السلم سنة 1859 وسنة 1860م، والحقيقة أن دواعي عقد هذه

1 Ismael Hamet : Chroniques de la Mauritanie et Sénégalaise, Ernest Leroux, Paris, 1911, p 268-269.

2 Yves Saint-Martin : Op.cit, p146.

3 محمد جوف: المرجع السابق، ص 133.

4 عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار، المرجع السابق، ص 70.

المهادنة تجنبا لفتح جبهة جديدة يمكن أن ينجر عنها تبديد كل إنجازات الحاج عمر والقضاء على أحلامه<sup>1</sup>.

في سنة 1863م أرسلت الإدارة الفرنسية وفدا مكوناً من القائد فيديرب والملازم أوجين ماج Eugene Mage والطبيب كونتان Quintin لمقابلة الحاج عمر والتفاوض معه، واستمرت المفاوضات بين الطرفين حتى بعد وفاة الحاج عمر إلى سنة 1866م وتم توقيع الاتفاقية بعدها بيد الشيخ أحمدو والتي عرفت باتفاقية (ماج) وكانت غاية الحاج عمر تحقيق سلم مؤقت مع فرنسا للتفرغ للقتال في الجبهة الأخرى ضد سيغو وماسينا. وتضمن الاتفاقية في النهاية الاعتراف بسلطة أحمدو شيخو على الأراضي التي استولى عليها، وأن يدفع الفرنسيون 10 بالمئة من قيمة تجارتهم في أراضي التكلور، وقد طلب أحمدو شيخو أن يزوده الفرنسيون باثني عشر مدفعا<sup>2</sup>.

حاول الحاج عمر مهادنة الفرنسيين مؤقتاً لتحقيق عدة أغراض على رأسها ربح الوقت والحصول على الأسلحة حيث أدرك من البداية عدم تكافؤ القوى بينهما، وتحسيدا لهذا قام بمقابلة مدير الشؤون الخارجية لمستعمرة السنغال وأخبره برغبته في تصفية العلاقات والأجواء السياسية مع فرنسا ربط علاقات تجارية بين الطرفين حيث سيسمح لهم بحرية التجارة في الأراضي التي تحت سيطرته بكل حرية مقابل دفع الضرائب، إلا أن الطرف الفرنسي لم يرد عليه نظرا لمعرفتهم لنواياه<sup>3</sup>.

وقد صرح م الحاج عمر مرارا أن غايته ليست محاربة فرنسا، ولا محاربة غيرهم، وإنما هدفه هو إقامة دولة إسلامية في فوتا تعمل على الحفاظ على الأمن في المنطقة<sup>4</sup>. وقد أورد الباحث دافيد روبنسون رسالة بعث بها الحاج عمر إلى والي السنغال دوكرامون (De-gramont) سنة 1847م جاء فيها: " لي معكم روابط محبة وثقة، وسأعمل على صيانتها على الدوام...إنني رجل يمكن الاطمئنان إليه"<sup>5</sup>. وأما ابنه الشيخ أحمدو فعلى النقيض من أبيه فقد عمل على مهادنة الفرنسيين لعدة اعتبارات أهمها: إنه

1 عبد الله عيسى: الطريقة التجانية وأدوارها السياسية في إفريقيا الغربية خلال القرن 19م، مركز مقديشو للدراسات والبحوث، د.ت.ن، ص71.

2 تمام همام تمام: المرجع السابق، ص 110-111.

3 شيخ لعرج: المرجع السابق، ص 236.

4 محمد شقرون: المرجع السابق، ص 56.

5 عبد الله عيسى: الطريقة التجانية وأدوارها، المرجع السابق، ص 59.

كان يحارب على ثلاث جبهات: رعاياه وضد إخوته وضد الفرنسيين، كما أن جيش الدولة العمرية قد ضعف عددياً بعد وفاة الحاج عمر، ولم تكن لأحمدو تلك القوة التي امتلكها أبوه لإلهاب وتأجيج الحماس في نفوس هؤلاء المحاربين<sup>1</sup>.

## 2- مهادة ساموري توري (ت1900م) للأوروبيين:

اتضح عبقرية ساموري توري حيث كان ديبلوماسياً ماهراً، وتمثل هذا في محاولته الوقعة بين الفرنسيين والبريطانيين وذلك من خلال التحالف مع جهة ليغيز الجهة الأخرى وللإستفادة من كلا الطرفين، فبعد سنة من توقيع معاهدة (بيساندوجو) مع الفرنسيين وقع معاهدة (فستنج) مع البريطانيين سنة 1888م. وبعد معاهدة (نياكو) مع الفرنسيين سارع لتوقيع معاهدة (جارت) مع البريطانيين وأعلن رفضه لمعاهدته مع فرنسا<sup>2</sup>.

حاول ساموري توري في بداية تكوين مملكته وتوسيعها ألا يتصادم مع الفرنسيين، لذلك راسل جول فيري من أجل المصالحة والمهادة خصوصاً أنه كان يحتاج مزيد من الوقت للتخلص من أعدائه في الداخل وكذلك تسوية علاقاته مع الممالك الوطنية، فقبلت الإدارة الفرنسية بهذا العرض وفعلاً تم عقد الاتفاقية، وكانت نية فرنسا من عقدها قطع صلات ساموري مع الإنجليز ثم التخلص منه وضم دولته، وقد تضمنت الاتفاقية التي أبرمت يوم 16 أبريل 1886م إخلاء ساموري الضفة اليسرى من جميع قواته واعترافه بنفوذ فرنسا من نيامي حتى تنكسو Tinkisso وأيضا تخليه عن حقوقه في مناجم الذهب في بوريه للفرنسيين، وفي المقابل تعترف فرنسا لساموري بدولته الممتدة على طول الضفة اليمنى للنهر حتى مدينة سيغو<sup>3</sup>. وقد تحللت مسيرة ساموري توري الكثير من المعاهدات مع الفرنسيين لكن أمدها لم يطل حيث كانت تنقض من أحد الطرفين متى سنحت الفرصة<sup>4</sup>. كما قام بعقد معادة مع البريطانيين

1 مباي غوبي وأدو بواهن: المرجع السابق، ص131.

2 عطية عبد الكامل: المرجع السابق، ص174.

3 تمام همام تمام: المرجع السابق، ص134.

4 محمد المحجوب ولد بيه: المرجع السابق، ص194.

في سيراليون في مايو 1890م بهدف الحصول على الأسلحة وبفضلها تمكن من تسليم جيشه لمدة ثلاث سنوات<sup>1</sup>.

### 3- موقف الشيخ سيديا الكبير (1777م-1868م) من مهادنة النصارى:

يذكر المؤرخ سعيد القشاطر في كتابه ((عرب الصحراء الكبرى الطوارق)) أن الشيخ سيديا الكبير من أبرز الشخصيات التي ساندت الفرنسيين في غرب إفريقيا من خلال فتاويه ورسائله التي كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل حيث كان يطالب بعدم محاربة الفرنسيين على اعتبار أنهم مرسلون من عند الله ولا تجوز محاربتهم لأنهم قضاء وقدر<sup>2</sup>. والظاهر أن المؤرخ وقع له خلط بين سيديا الكبير وحفيده سيدي باب. فقد بعث الشيخ سيديا الكبير جواباً<sup>3</sup> إلى فيديرب رداً على رسالة هذا الأخير الصادرة يوم 22 ديسمبر 1855م والتي يتوعد فيها بالانتقام إن لم يرد أولاد أحمد ما نهبوه من الفرنسيين. فرد عليه الشيخ سيديا الكبير بأن أولاد أحمد من بني حسان<sup>4</sup> ولا سلطة له عليهم فهم غير تابعين له، ولطالما نهبوا عن النهب والإغارة على السود المسلمين وعن أهل العهد، لأن أهل العهد ما لم ينقضوا عهدهم مع المسلمين فإنه تحرم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم وفي آخر الرسالة نصح الشيخ سيديا فيديرب أن يدخل في دين الإسلام<sup>5</sup>.

### 3-1 رد فيديرب على جواب الشيخ سيديا:

بدأ فيديرب رسالته بالتحية والإجلال للشيخ سيديا، ووصفه بشيخ الشيوخ، الرجل المهاب الموفق، والذي همته إصلاح الأرض، وبعد شرح الأوضاع التي تدور في المنطقة، صرح فيديرب للشيخ إن كل من يسالمهم الشيخ سييسمح لهم بالتجارة في المرسى وسينال الشيخ كريم الهدايا من الفرنسيين، وسيعملون

1 مباي غويي وأدو بواهن: المرجع السابق، ص 138.

2 محمد سعيد القشاطر: عرب الصحراء، المرجع السابق، ص 187.

3 نص الرسالة أورده موسى كمر: تاريخ قبائل البيضان، المرجع السابق، ص ص 136-140. وأيضاً محمد عبد الله البوصادي: المرجع السابق، ص 36-40.

4 بنو حسان: هم عرب ولهم فروع كثيرة منها أولاد أحمد، أولاد رحمون، البرابيش، أولاد عبد الرحمن... نرحوا من الاحواز المراكشية خلال القرن 15م إلى أقصى الجنوب المغربي نحو الصحراء الغربية حتى وصلوا إلى السودان. بول مارتى: البرابيش، المرجع السابق، ص 11.

5 سيديا الكبير: المصدر السابق، ص 246.

على إعانتة بجيشهم وسفنهم وتزويده بالمدافع والبارود والحنط، وفي الأخير عاد لوصف الشيخ سيديا بالعالم التقى النقي ورحب به هو وأولاده في محطة حلفائه عند البراكنة<sup>1</sup>.

#### 4-موقف القاضي أبو المقداد سك<sup>2</sup>(1826-1880م) من المهادنة:

نال القاضي أبو المقداد سك أوسمة شرف من فرنسا لم ينلها أحد من الأفارقة قبله، فقد شارك في 22 معركة ضد المقاومة الوطنية، وربما كان قائداً من قادات الجيش الفرنسي، فقد كان محل ثقة الإدارة الفرنسية والتي كلفته بمهام لم تكن تُعطى إلا لقادة الجيش الكبار. وترقى القاضي أبو المقداد في السلم الإداري خلال 23 سنة قضاها في خدمة فرنسا، فبالإضافة لعمله كقاض فقد كان مندوباً سامياً وسفيراً فوق العادة، و مترجماً و كاتباً لجميع المراسلات والاتفاقيات والمعاهدات مع ملوك كجور ووجهاء السنغال وقبائل موريتانيا وأمرائها<sup>3</sup>.

كان القاضي أبو المقداد ظاهرة حيث نشأ بين الموريتانيين وتعلم لغتهم ولهجتهم فكان يتقن أربعاً: العربية الفصحى، الفرنسية، اللهجة الحسانية ولغة الولوف. وكان من كبار الموظفين للاستعمار في ندر، فألى جانب مهمته الرسمية كقاض للمسلمين والفرنسيين في ندر، فقد كان مترجماً وسفيراً متجولاً. فكان يخدم الاستعمار ويدعو إلى خدمته وخاصة بعد أن مكنته المستعمر من أداء فريضة الحج سنة 1860 و 1862م بل كان يشارك حتى في الحروب مع المستعمر. ولهذا بعد وفاته يوم 24 أكتوبر 1880 بكاه الفرنسيون لتفانيه في العمل والخدمة، إلا إن ابنه دود سك خلفه في كل مهامه ووظائفه<sup>4</sup>. ولم يختلف أولاد أبو المقداد عن أبيهم فابنه عبد الله قتل في بوال رفقة ملازم فرنسي سنة 1887م، وتولى ابنه

1 سيديه الكبير: المصدر السابق، ص 253-254.

2 ولد محمد بن المقداد سك سنة 1826م بمدينة سان لويس وفيها شب وترعرع، قرأ في بداية حياته على يد أبيه الذي كان عالماً كبيراً، ومشهوراً بسعة اطلاعه ومتقناً للعربية والفرنسية، ثم انتقل محمد إلى بلاد شنقيط لتهديب لسانه وتعميق فكره. وقد عمل كضابط ومترجم عند فرنسا، وقد حافظ على العلاقات بين شعوب المغرب والسودان. ينظر محمد جوف: المرجع السابق،

ص 148. و. Paul Soleillet: Voyage à Ségo 1878-1879, challamel aîné, Paris, 1887, p 24.

3 محمد جوف، المرجع السابق، ص 148

4 أحمد التجاني الهادي: المرجع السابق، ص 370.

الأصغر المهام بعد أبيه، وكذلك البنات: عائشة، أم كلثوم ومريم كانوا كأشقاتهن فقد بذلن جهودهن لخدمة فرنسا<sup>1</sup>.

## 5- رأي الشيخ محمد الأمين (1830م-1885م) في المهادنة:

مع بداية تأسيس دولته نجح الشيخ محمد الأمين في الاتفاق مع الفرنسيين وإخراجهم عن الصراع معه، فأقام معهم جسوراً من المودة والتعاون ونجح في كسبهم إلى حين، وذلك من خلال إرسال بعثة إلى سان لويس لشرح قضيته وموقفه، وأظهر لهم أن عداوته مع الشيخ أحمدو ومع الوثنيين لا غير، وبهذه الحركة الدبلوماسية استطاع أن يكسب رضاهم وأن يتزود منهم بالسلاح والمؤونة قبل أن يعلن الحرب على الجميع عندما قويت شوكته واشتد أمره. واستطاع الشيخ بدبلوماسية الفذة أن يظهر كحليف للفرنسيين حيث سمحوا له بالتجوال في مناطق نفوذهم بكل حرية، كما استطاع أن يحصل منهم على سيف كهديّة وخطاب توصية للحكام، إلا أن هذه لم تكن سوى مناورات من الشيخ لكف أذاهم عنه وللتزود بالأسلحة وأكثر من هذا لتعيينه كقائد على شعب السراكولا ضد التوكولور<sup>2</sup>.

عمل الشيخ محمد الأمين في بداية دعوته على مهادنة الفرنسيين، وهذا عملاً تكتيكياً من الشيخ حتى لا يعترضوا دعوته وحتى لا يجهضوا محاولاته الإصلاحية، وجهاده ضد الوثنيين، كما أشاع بين أتباعه ومريديه بأنه ليس عدواً لفرنسا، ولما علم بتفطن فرنسا لنواياه خصوصاً بعد اتساع رقعة دولته وكثرة أتباعه مع توالي انتصاراته، قام بشن بعض الهجومات على الإنجليز في غامبيا ليوهم فرنسا بأنه لا يبغي عدواتها<sup>3</sup>. ورغم كل المراسلات بين الأمين والفرنسيين لإثبات حسن النوايا، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل حيث ساءت العلاقة بين الطرفين بداية من سنة 1886 حين هاجم الشيخ قرى حول المركز الفرنسي في باكل، فردت القوات الفرنسية بالإغارة على قرية الشيخ وإلقاء القبض على أسرته<sup>4</sup>.

1 محمد جوف: المرجع السابق، ص 149.

2 عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار، المرجع السابق، ص 104-105.

3 نجم عبد الأمير الأنباري: المرجع السابق، ص 112.

4 عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار، المرجع السابق، ص 110.

6- رأي القاضي أبوبكر بن القاضي أحمد سعد<sup>1</sup> في المهادنة:

بعد انهزام أمير صكتو محمد الطاهر في معركته ضد الإنجليز المحتلين في مارس 1903م، كتب القاضي أبوبكر رسالة تحت عنوان: ((إرشاد الحيارى في معاملة أئمتنا بالنصارى)) بعث بها إلى الوزير محمد البخاري، وتضمنت الرسالة العديد من الأسباب التي جعلته يقبل الهدنة مع النصارى وذلك من خلال العديد من الأمثلة التاريخية ومنها تخريب بغداد من طرف التتار وكذلك تخريب مكة من طرف القرامطة وكل ذلك لم يجعل أهل هذه البلاد يهاجرون منها لأن هجرتهم ستؤدي إلى تحويلها إلى دار كفر وأشار إلى أن الهجرة تجب عن المكان الذي يصد فيه المسلم عن الأركان الخمس أو يصير عبداً. ومن هنا يجب البقاء للحفاظ على القرى والمساجد في محلها<sup>2</sup>.

وأورد القاضي أبو بكر أدلة من القرآن والسنة والإجماع، فمن القرآن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>3</sup>. أما السنة فقد ذكر القاضي مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم للسعديين يوم خيبر عندما اشتد الحصار على المسلمين، اقترح النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلح بعض القبائل على قدر من تمر المدينة حتى يرجعوا، ورغم معارضة السعديين لهذا الاقتراح، إلا أنه دليل على جواز المهادنة وإلا لما فعله الرسول. وفصل القاضي أبو بكر في أنواع المهادنة وشروطها مستنداً إلى أقوال العديد من العلماء بأنها تجوز في الضرورة القصوى خصوصاً إن المسلمين صاروا في قبضة النصارى ولا ملجأ لهم وإلا لعاملوهم مثل الأسرى<sup>4</sup>. واستدل كذلك بقصة عمار بن ياسر لما عذبه كفار قريش فاستجاب لطلبهم مكرهاً بعد أن نفذ منه الجهد، فلما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عما فعل قال له "كيف وجدت قلبك؟" أجاب مطمئن بالإيمان فقال له المصطفى: "إن عادوا لك فعد لهم بما قلت" فنزلت الآية: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾<sup>5</sup>.

1 القاضي أبو بكر بن أحمد سعد، قاضي غواندو عاصمة القسم الغربي لخلافة صكتو، تولى القضاء بعد أبيه، عاصر دخول الاستعمار. ينظر عبد الله عبد الماجد، المرجع السابق، ص 323.

2 الأمين أبو منقعة: موقف الخلافة، المرجع السابق، ص 118.

3 سورة الأنفال: الآية 62.

4 الأمين أبو منقعة: موقف الخلافة، المرجع السابق، ص 120.

5 سورة النحل: الآية 106.

## 7- رأي الشيخ سعد بوه (1848م-1917م) من الفرنسيين:

كانت بداية التواصل بين الشيخ سعد بوه والفرنسيين لما سكن الشيخ في منطقة انشيري وهناك توافد عليه الطلبة والمحبين من كل حدب وصوب، ونظراً لتتبع الإدارة الفرنسية لنشاط الشيخ حاولت التقرب من الشيخ واستغلال مكانته ومنزله خدمة لأغراضها التوسعية وسياستها في المنطقة، وفي منطقة انشيري مرت على الشيخ بعثة استطلاعية فرنسية بقيادة بلانشيه (Blanchet)، ومن هنا بدأ صيت الشيخ ينتشر في الأصقاع حتى سمع به القاضي والداني<sup>1</sup>.

ومع مرور الأيام توثقت صلات الشيخ سعد بوه مع الفرنسيين نظراً لمكانته على الضفة اليسرى لنهر السنغال، فهو أصلاً لم يكن يعترف بالحدود الجغرافية، فكثرة مريدي الشيخ وأتباعه حتمت عليه الاتصال بالسلطات الاستعمارية التي أصبحت ضرورة يفرضها الواقع للحفاظ على مكانته الدينية والدينية. ولهذا استغلت فرنسا العلاقات الإدارية الحسنة مع الشيخ سعد لحل كل ما يتعلق بموريتانيا، وبالتالي التمهيد للاحتلال، وفي نفس الوقت استفاد الشيخ وأتباعه من حرية التنقل وممارسة نشاطهم بين ضفتي النهر. وبمرور الوقت اقنعت الإدارة الفرنسية الشيخ سعد بوه وبقية الأعيان مثل الشيخ سيديا بأن السيطرة الاستعمارية لا تتعارض مع إقامة الشعائر الدينية، بل هي أكثر من ذلك تعمل على توفير الامن والمساهمة في بناء المساجد وتأمين القضاء<sup>2</sup>.

## 7-1 أدلة الشيخ سعد بوه في التعامل مع الفرنسيين:

يستدل الشيخ سعد بوه بفتوى أهل الاندلس في القرن الخامس الهجري بالإذن للنصارى في بناء الكنائس لأن النصارى كانوا في قوة وعزة سواء سمحوا لهم أم لم يسمحوا لهم، وبالتالي خشية من ضررهم سمحوا لهم بالبناء. كما يستدل بأن النصارى في قوة وغنى عن تجارتنا ولا معنى لمنع بيع شيء منهم<sup>3</sup>. ويرى الشيخ سعد بوه أن التعامل مع الفرنسيين ومهادنتهم يتركز في نقطتين ويعود لسببين رئيسيين: الأول هو حالة الفوضى والتناحر والسيبة التي كانت تعيشها المنطقة وبدخول الفرنسيين انتظم الأمر وساد الأمن

1 المختار ولد محمد: المرجع السابق، ص 127.

2 محمد الأمين ان باريك: المرجع السابق، ص 79.

3 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2920-2921.

والسلم، أما النقطة الثانية فتتمثل في قوة فرنسا وقهرها لملوك وحكام إفريقيا بكل سهولة مثل ساموري توري وقبله الحاج عمر وكسر شوكتهم وبالتالي محاربتها لا تجدي نفعا<sup>1</sup>.

من بين العوامل التي جعلت سعد بوه يهادن الفرنسيين إنه كان يعيش في أقصى جنوب شنقيط على مقربة من أندر فكان مُطلعاً على حال الفرنسيين وقوتهم السياسية والعسكرية وشدة تنظيمهم وفي نفس الوقت يعرف تشتت قبائل البيضان التي يعايشها والاختتال الدائم بين قبائلها، ولهذا رأى أن مسالمة هؤلاء الغزاة أسلم لقبائل البيضان وإن التحصن بالدين والحفاظ على الهوية الوطنية هو الأنسب لمواجهتهم سياسياً<sup>2</sup>.

## 7-2 مراسلات الشيخ سعد بوه من أجل المهادنة:

بعث الشيخ سعد بوه برسالة إلى القائد الفرنسي العقيد غورو يوم العشرين من ديسمبر 1910م، ضمنها الكثير من السلام والتحيات وحمد الله فيها على رجوع العقيد سالما وشكره على ما حقق من سلام وأمن في المنطقة حيث قضى على اللصوص والمحاربين وآمن الناس من القتل والنهب والغارات، وفي آخرها طلب منه المَعذرة لأنه لم يتلقاه عند قدومه لعدم علمه بمقدمه<sup>3</sup>. وضمن الرسالة وصية لأحمدو بمب يطالبه فيها بحسن التصرف مع الفرنسيين<sup>4</sup>.

ومن أبرز الرسائل في هذا الشأن الرسالة التي ذكرناها سابقاً والتي بعث بها سعد بوه إلى أخيه الشيخ ماء العينين، تحت عنوان: (النصيحة العامة والخاصة في التحذير من محاربة فرنسا) أوضح فيها إن هؤلاء النصارى يمتلكون من السلاح والنفقات والجنود ما لا طاقة لأحد بتخيله، فقصورهم في البر في كاندرو وخاي وديكار أعظم من أن تُعد أو تحصى، ناهيك عما في معاقلمهم ومواطنهم في جزر البحر، فلم يزالوا يناوشوا الملوك الواحد تلو الآخر حتى يقبضوا عليه أو يهرب ذليلاً. كما أنهم أهل ميثاق وعهود، وعادتهم قبول السلم ممن دعاهم إليه مهما كان، وهم يعظمون قبائل الزوايا ويحترمونهاهم ويجلونهاهم، وأما حمل السلاح ضدهم فهو أعجب ما تلد به الليالي، وإن محاربة المسلمين لهي كما يقول الشاعر:

1 حمادو نور الدين: المرجع السابق، ص 190.

2 الحسين بن محنض: المرجع السابق، ص 275.

3 بول مارتني: دراسات حول الإسلام، المرجع السابق، ص 213.

<sup>4</sup> Paul Marty : L'Islam en Mauritanie et au Sénégal, Op.cit, p 218.

صاح هل ريت أو سمعت براع رد في الضرع ما قرا في الحلاب.

فإن رد اللبن في الضرع أيسر عندي من رد النصارى عن الأرض<sup>1</sup>.

تشابحت مواقف الشيخ سعد بوه مع مواقف الشيخ سيديا باب وقد بعث في هذا الشأن عدة رسائل يؤيده فيما ذهب إليه في شأن التعامل مع النصارى<sup>2</sup>. ولقد أعلن الشيخ سعد بوه عن موقفه من التعامل مع الفرنسيين صراحة فقد كان يدعو إليه القبائل وإخوانه وتلامذته، وهذه القناعة من الشيخ سعد جاءت بعد استقراء للأوضاع السياسية والاقتصادية التي كانت تعيشها المنطقة، وما يمكن أن يوفره التعامل مع الفرنسيين من حلول وبدائل لإصلاح الأوضاع في مختلف المجالات والتي يمكن إجمالها في عدة نقاط أولها: العدل: والمتمثل في جور بني حسان وتعديهم على قبائل الزوايا وبدخول الفرنسيين خمد هذا الظلم. النقطة الثانية: الأمن حيث سكنت الحروب التي كانت مشتعلة في المنطقة بين مختلف الإمارات وساد بدلها الأمن والاستقرار. أما النقطة الثالثة فتتمثل في السلطة المركزية التي حلت محل السبية التي كانت سبباً في الفوضى وعدم النظام لعدم وجود سلطان موحد، والنقطة الرابعة تتمثل في الفتنة حيث يرى إن جهاد هؤلاء النصارى ما هو إلا فتنة لأنهم لم يعترضوا على إقامة الدين ولم يمنعوا المسلمين من أداء مناسكهم وشعائر دينهم<sup>3</sup>.

### 8-1 رأي الشيخ مالك سي في المهادنة:

لم يتردد الشيخ مالك سي في إعلان موقفه من فرنسا في كثير من الأحيان سراً وعلناً على المنابر وبالأقلام فقد نشرت صحيفة السعادة المغربية سنة 1913م وثيقة يدعو فيها الشيخ مالك سي جميع التجانيين والمحبين له في السنغال أن يوافقوا فرنسا ويؤيدوها قائلاً: " عليكم أن توافقوا الدولة الفرنسية، لأن الله تبارك وتعالى خصهم بنصر وفضل ومزية، وجعلهم سببا في صون دماننا... لأنه قبل دخولهم علينا كنا بين أسر وقتل ونهب... ولا تغتروا بقول الحمقى الذين يقولون لكم: قرب انقطاع الدولة الفرنسية، لخيلات فاسدة"<sup>4</sup>.

1 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2925-2926.

2 سيدي باب وسعد بوه: المصدر السابق، ظ 11.

3 علي بدوي: المرجع السابق، ص 101-102.

4 خديم امباكي: المرجع السابق، ص 04.

وخلال الحرب العالمية الأولى كتب الشيخ نداء تكفلت فرنسا بنشره على المسلمين أهم ما جاء فيه: " إن الله اختار الفرنسيين لحماية أشخاصنا وممتلكاتنا، لهذا علينا أن نعيش معهم في توافق تام". أما تأييد الشيخ الشخصي فقد تجسد في الدفع بابنه الأكبر أمادو للدفاع عن الحلفاء، كما تبرع الشيخ بأمواله لمعالجة جرحاهم. وبالمقابل قامت فرنسا بالتسهيل له في جميع أنشطته<sup>1</sup> مثل السماح له بالتدريس وطبع ستة وعشرون من مؤلفاته في تونس.

## 8-2 محاورة الشيخ مالك سي (1858-1922م) لحاكم فرنسي:

لما انعزل الشيخ مالك سي في قرية أندار السنغالية سنة 1905م، استدعاه الحاكم الفرنسي فجرت بينهما محاورة حول انتماء الشيخ وطريقته ومن بين الأسئلة سأل الحاكم الشيخ عن رأيه في إقامة فرنسا في أرض السنغال فأجابه الشيخ: " إن تركتم لي ثلاثا تركتكم بشؤونكم... ديني وعلمي وطريقتي" فأجاب الحاكم لا حاجة لنا بما فرد الشيخ: " لا حاجة لنا بسطانكم" وبعد هذا اللقاء بستة أشهر سلم الحاكم مرسوماً من رئيس الجمهورية الفرنسية للشيخ مالك ومعه تصريح يسمح للشيخ بممارسة نشاطاته التربوية والتعليمية والاذكار في كل بقعة يرفرف فيها العلم الفرنسي<sup>2</sup>.

## 9 موقف الشيخ محمد الأمين البوصادي (1883-1923م) من الموالاتة:

استدل الشيخ محمد الأمين بتفسير الرازي لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾<sup>3</sup> بأن مداخلة الكفار ومخالطتهم لدفع ضرر أو جلب مصلحة مباح وهو لا يعتبر ركون، أما الركون فتحسين الرضى بأعمالهم ومشاركتهم، فقد أجاز الشيخ الأوزاعي للأسرى أن يقاتلوا مع العدو من ليس من ملتهم ومنعه الشيخان مالك وابن القاسم، كما استدل الشيخ على رأيه في جواز الموالاتة عن نية الرسول في إعطاء غطفان ثلث ثمار المدينة لينسحبوا من حلف قريش، فالشريعة دائرة مع المصلحة، كما استدل بقول البيضاوي في تفسير قول الله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾<sup>4</sup> دليل على جواز الولاية من يد الكفار، كما تجوز العمالة والتولية من يد السلطان الجائر<sup>4</sup>. وتولي أمر العباد

1 أحمد عباد: المرجع السابق، ص 96.

2 عثمان أنجاي: السيرة الذاتية للشيخ الحاج مالك سي، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص 39-40.

3 سورة هود: الآية 113.

4 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 3032.

أصبح تغليبي ولم يعد على الاختيار والاعتدال ولم يعد يعبأ بالعلم والعدالة وسائر الشروط، ففي مثل هذه الاحوال يقول مالك والثوري: "سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار" كما ثبت عن الإمام علي قوله: "إمام عادل خير من مطر وابل، وأسد خطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم"، ثم إن العدل قسمان كما جاء في سراج الملوك، عدل جاءت به الشرائع السماوية وعدل وهو السياسة الاصطلاحية وهذا القسم الثاني جائز فقد هرم عليها الكبير ونشأ عليها الصغير، وقد قيل إن السلطان الكافر الحافظ لشرائط السياسة الاصطلاحية أيقن وأقوى من السلطان المؤمن العدل في نفسه المضيع للسياسة النبوية العدلية.<sup>1</sup>

### 10-1 رأي الشيخ باب سيديا (1860-1924م) في المهادنة:

مع مطلع القرن العشرين ودخول الاستعمار الفرنسي إلى غرب إفريقيا وبالضبط سنة 1903م التي شهدت توقيع اتفاقية الحماية، كانت فتوى الشيخ سيديا باب أهم حدث في ذلك الوقت<sup>2</sup>. ولقد سجل التاريخ إن أول من وقع معاهدة التسليم مع الفرنسيين هو الشيخ سيديا الحفيد ويلقب باب<sup>3</sup>. ولقد أدرك كابولاني من بداية تكليفه أهمية ومكانة هذا الشيخ، ولهذا بعث له بالسؤال المشهور في 05 جانفي 1903م،<sup>4</sup> حول: (هل يجوز للمسلمين أن يحاربوا المسيحيين الذين دخلوا أرضهم إن كان هؤلاء جاءوا مسلمين وعملوا على إصلاح القضاء وإسكات الفتن بل ومساعدة المسلمين في إقامة دينهم مع عدم التعرض لشريعتهم وعقيدتهم)<sup>5</sup>. فكان جواب الشيخ سيدي باب يتعين على المسلمين أن يهادنوا النصرارى ولا يقصروا فيما يجلب لهم العافية، ثم ساق مجموعة من الأدلة النقلية والعقلية التي تؤيد رأيه<sup>6</sup>. وبعدها أصدر الشيخ باب سيديا فتواه سنة 1903م تقضي بأن الجهاد يضعف المجتمعات الإسلامية ويزيدها ضعفاً على ضعف، كما أسهم الشيخ سيديا في تجنيد مسلمي السنغال وموريتانيا في الحرب العالمية الأولى معللاً ذلك بأن الحكم الفرنسي في المنطقة أرسى قواعد الأمن والاستقرار في

1 محمد بن الوليد الطرطوشي: سراج الملوك، المطبعة الوطنية، الإسكندرية، 2018، ص54.

2 سيد محمد ولد محمد: المرجع السابق، ص42.

3 محمد سعيد القشاش: عرب الصحراء المرجع السابق، ص187.

4 ينظر سيدي باب وسعد بوه: المصدر السابق، ظ 14.

<sup>5</sup> Pierre Bonte : Op.cit, p 05

6 الطالب أخيار ولد مامينا: المرجع السابق، ص73.

المنطقة، وأنه يحترم الدين الإسلامي، ولهذا يجب قبوله ومؤازرته، بل أكثر من هذا فقد ساعد الشيخ سيديا القائد غورو Gouraud في إتمام احتلال جنوب موريتانيا<sup>1</sup>.

وقد تطورت صداقة الشيخ سيديا مع الإدارة الفرنسية فقد حضر في توقيع عقود الأمان للعديد من القبائل كشاهد، ومن ذلك عقد الأمان مع قبائل الرقيبات في 30 نوفمبر 1907م<sup>2</sup>. كما كان يمثل الذراع الأيمن لكابولاني من (1902-1905)، وأكدت جميع تقارير المفوضين الفرنسيين Capdoscp (1905-1907), Gouraud(1907-1910), Patey( 1910-1912), Mouret(1912-1914 عن مدى تعاون وإخلاص الشيخ سيديا في تقديم يد المساعدة<sup>3</sup>.

### 10-1 دواعي قبول الشيخ باب المهادنة:

تعددت رسائل الشيخ التي تبادلها مع الفرنسيين في شأن المهادنة والتي غالباً ما يستشهد فيها بالأوضاع التي كانت تسود قبل مجيئهم، وكيف تحولت خاصة شيوع الأمن في الجبال والسهول<sup>4</sup>. فرأى الشيخ أن الفتوى في هذه المسألة تجعلنا بالضرورة نرجع إلى فقه المقاصد وضرورات المجال الموريتاني وما ينبغي استدعاؤه من خصوصيات المنطقة والظروف العامة السائدة والتي تختلف عن الفضاء الإسلامي عموماً، ومن أبرزها حالة السبية والتقاتل التي عرفتها البلاد منذ قرون وبالتالي ضياع الكثير من المصالح العظمى، وبدخول فرنسا إلى هذا المجال تحقق الأمن والاستقرار، وحُفِظت الأموال وصلحت الأحوال وهذا مما يوجب شكرها ولا ينكر فضل هذه الدولة إلا من اعتاد الظلم أو آثر مصلحته الخاصة على المصلحة العامة، فما كان يحدث أدهى وأمر مما هو واقع<sup>5</sup>. وقد استدل الشيخ باب بالمناطق المجاورة التي سيطر عليها الفرنسيون فأصبحت بفضلهم في أمن وسلام بالقضاء على مظاهر الضعف السياسي والفوضى فصلحت أحوالها جُملة، كما استدل بوجود طاعة ولي الأمر المُتغلب كائناً من كان. ويضيف الشيخ إن فرنسا قضت على كثير من الممالك التي وقفت في وجهها فما بالك ببلاد شنقيط، كما أن منافع هذه الدولة الاقتصادية وما تجلبه من منافع من سلع وبضائع يدعو إلى مسالمتها، وأهم نقطة يذكرها الشيخ سيديا باب أننا لا نوالهم في دينهم أما شؤون الدنيا فلا حرج، فهي مسألة جلب

1 أحمد عباد: المرجع السابق، ص 97.

2 Paul Marty : Les Tribus de la haute Mauritanie, Comité de l'Afrique Française, Paris, 1915, p 46.

3 Paul Marty : études de l'Islam Maure, Op.cit., p 35

4 Alioun Trore : Op.cit, p 1005.

5 باب ولد أحمد: المرجع السابق، ص 12.

منفعة ودفع مضرة ليس أكثر<sup>1</sup>. وقد بنى الشيخ سيديا موقفه من الاستعمار انطلاقاً من عدة اعتبارات وعلى رأسها ما كان يسود المنطقة من تسيب واقتتال وقبلية ضاعت فيها الحقوق وانتهكت الحرمات، وكذلك الفراغ السياسي في ظل عدم وجود سلطان يجمع كلمة الأمة ويقوم العدل وينشر السلم والأمن رغم المحاولات العديدة التي باءت بالفشل<sup>2</sup>.

## 10-2 أدلة الشيخ باب سيديا في المهادنة:

يرى الشيخ سيديا في رسالته التي بعث بها يوم 05 شوال 1320هـ الموافق 1902م إلى طلبته وفي فتواه (فتاوي الشيخ سيدي باب ورسائله في شأن جهاد النصارى والهجرة عنهم)<sup>3</sup> إن التعامل مع النصارى يجوز بنص الآية القرآنية: **لَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**<sup>4</sup>. ولا يجوز موالاتهم في الدين إلا كما قال تعالى "إلا أن تتقوا منهم تقاة" وهذا في كل بلد ضعف فيها الإسلام. وأما تولى المسلم العمل تحت سلطة الملك الظالم أو الكافر فجائز، كما في قصة نبي الله يوسف عليه السلام: **"قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ"**<sup>5</sup> فيجوز هذا خاصة إذا كان الملك يتبع ولا يعارض في كل الأمور، ففيه سبيل لإقامة الدين وإقامة العدل<sup>6</sup>.

وقد استدلل الشيخ لموقفه بأهم العلماء في المذهب المالكي وعلى رأسهم الشيخ خليل بوجوب تنصيب الحاكم الذي يقوم بأمر الله ويزيل الظلم ولو تولى هذا الأمر نصرانياً<sup>7</sup>. وعملاً بقول الإمام مالك والليث بن سعد: "سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار". ولأن الشريعة تدور مع المصلحة، والنهي عن مودة المخالف وتوليته، إنما هي في الدين لا غير. وطاعة المتغلب تجب شرعاً مهما كان. وبعد مطالعة لأحوال الأمم ودراسة عميقة للمؤلفات المتعرضة لهذه الفتوى كالجزم الأخير من

1 سيد محمد ولد محمد: المرجع السابق، ص 22-23.

2 المختار ولد محمد: المرجع السابق، ص 125.

3 باب بن الشيخ سيديا: المصدر السابق، ص 49-50.

4 سورة الممتحنة، الآية 08.

5 سورة يوسف: الآية 55.

6 موسى كمر: أكثر الراغبين، المرجع السابق، ص 153-154.

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، أفق الشيخ بضرورة المهادنة مع الفرنسيين، ونتيجة لهذا هدأت الأحوال بحسم القتال وحُفظت الأموال وكثرت وسائل النقل، وتوفرت البضائع الغالية وتيسر الحج لبيت الله الحرام، بعد أن كان شبه مستحيل. ولأن الشيخ باب لم يكن يبحث عن مكانة أو أمجاد شخصية فبعد توقيع المعاهدة سأل الفرنسيون الشيخ عن أولاده ليحترمهم فأجاب إن كل من يدين بدين الإسلام ولده، ورفض تسلم أي وسام منهم، كما رفض تعلم أبنائه لغة المستعمر<sup>1</sup>.

### 10-3 رسائل الشيخ باب سيدي للإمارات والقبائل الموريتانية وإلى أتباعه:

عمل الشيخ سيدي من خلال نفوذه ومركزه في منطقة الحوض على التأثير على شعوب إمارات الترازو والبراكنة وأدرار وتكانت من أجل مهادنة المستعمر الفرنسي وضرورة التعامل والتعاون معه، وأخطر من ذلك دعاهم للوقوف في وجه التيار المقاوم المعادي للتواجد الأجنبي المتمثل في الشيخ ماء العينين. وهذا ما جعل الشيخ سيدي يحظى بحماية السلطات الفرنسية ويتبوأ مكانة لا مثيل لها<sup>2</sup>. كما بعث الشيخ سيدي برسالة إلى أتباعه في سيراليون في 16 أوت 1913م يحذر فيها من أحد المتكلمين باسمه وهو أحمد الشريف الحسيني الذي كان يحرص على الجهاد مُدعياً إنه من طلبة الشيخ سيدي، ودعا الشيخ في هذه الرسالة إلى التحذير من الشرور وعواقب الخراب الذي قد يسببه التهور على الأموال والبلدان من خراب ودمار<sup>3</sup>.

ولم يقتصر تأثير الشيخ باب سيدي على موريتانيا فقد بعث برسائل عديدة إلى أتباعه، منها رسالة إلى أهل السنغال ينصحهم بطاعة فرنسا لأن بها استكانت الفتن التي ظلت قرونا في البلاد وحصل بوجودها الأمن، وهي الآن متغلبة ووجوب طاعة ولي الامر واجبة حتى ولو لم يكن مسلماً لأن مدار السياسة الشرعية يتوقف على المصلحة والدليل رد النبي بعض المسلمين بعد صلح الحديبية وإرسال النبي إبراهيم عليه السلام زوجته سارة للملك الظالم. أما المنهي عنه في معاملة النصارى هو توليتهم في الدين.

1 سيدي بابا: رسالة في اخبار البلاد البيضاوية الصحراوية والمغربية، تحقيق: عبد الله سليمان الشيخ سيدي، 2014، ص 39.

2 حمادو نور الدين: المرجع السابق، ص 190.

3 بول مارتى: دراسات حول الإسلام في موريتانيا، المرجع السابق، ص 108.

كما أن إعانة الفرنسيين في حربهم ضد أعدائهم واجبة والدليل إعانة النبي صلى الله عليه وسلم لخزاعة على أعدائهم من قريش وبني بكر وهذا سبب فتح مكة<sup>1</sup>.

### 11 رأي الشيخ باي محمد الصغير<sup>2</sup> (1284هـ-1348هـ/1927) في المهادنة:

من أبرز الوثائق التي أوردها عبد الرحمن محمد ميغا في كتابه الحركة الفقهية حول الإقامة مع النصراري وعدم نهب أموالهم فتوى الشيخ باي التي بعث بها إلى أحد أصدقائه ويسمى (بكت) ذكره فيها أن الدماء والأموال حرام إلا بأمر محقق فيه مجمع عليه، وأن موالاة الكفار المكفرة هي توليهم في معتقدتهم ودينهم، فمن فعل ذلك فقد استحق العقوبة والخلود في النار. وأما من تبعهم في أغراضهم فهو ظالم ظلم معصية لا ظلم كفر، وتولية الكفار حرام لا تجوز ولا تحل لغرض دنيوي أو لغيره إلا تقية، وذلك من أجل صرف شرهم وأذاهم. والتولي المحرم هو المحبة والصفاء معهم وإرادة الخير لهم والنصح، سواء كان ذمياً أو حربياً<sup>3</sup>.

### 12-1 موقف الشيخ أحمدو بمب (1853-1927م) من الاستعمار:

شهدت حياة الشيخ أحمدادو بمب تحولاً جذرياً في مواقفه من الاستعمار بعد لقائه للشيخ سيديا، فبعد أن كانت علاقته متوترة مما أدى إلى نفيه مرتين سنة 1895 و1903م، تحسنت علاقته مع الإدارة الفرنسية حيث قدم للفرنسيين مساعدات كبيرة خاصة في المجالين العسكري والاقتصادي، فقد أسهم الشيخ في انخراط ما يربو عن سبعين ألف مجند في صفوف الجيش الفرنسي، كما أسهم في تنشيط الإنتاج الزراعي بل أكثر من ذلك قام بتقديم خمسمئة ألف فرنك فرنسي للمساعدة على استقرار العملة الفرنسية<sup>4</sup>. وبمشاركة أتباعه في الحرب العالمية الأولى جنباً إلى جنب مع الفرنسيين. هذا ما أدى إلى

1 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2930.

2 الشيخ باي: هو محمد الصغير بن عمر بن محمد بن المختار الكنتي. درس على يد والده وأخيه سيدي محمد الملقب بالزين، وأجازه مجموعة من المشايخ، من مؤلفاته: السنن المبين شرح أحاديث أصول الدين، النوازل، فتح البصيرة في أحكام الدين المنيرة، شرح مختصر الاخضري، مؤلف في أصول قبيلة كنته. ينظر عبد المالك كرشوش: "الإمام العلامة سيدي محمد الصغير الملقب باي بن سيدي عمر الكنتي الوائي"، مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، مج 08، ع 02، 2012، ص 138-139.

3 عبد الرحمن محمد ميغا: المرجع السابق، ص 84-86.

4 أحمد عباد: المرجع السابق، ص 97.

الاسترخاء في العلاقات بين الطرفين، وكما أشار تقرير لحاكم السنغال سنة 1817م إن المريدين أصبحوا يسعون إلى إشراك الفرنسيين في طقوسهم الدينية، ومنذ ذلك الحين تبادل الطرفان الخدمات بشكل واسع، وخاصة زراعة الفول السوداني في العشرينيات من القرن العشرين<sup>1</sup>

## 12-2 عوامل مهادنة الشيخ أحمدو بمب للفرنسيين:

لم يفكر الشيخ أحمدو في إنشاء دولة أو مواجهة الاستعمار الأجنبي، لكنه حرص على انشاء مجتمع صالح تسوده القيم الإسلامية بمعنى آخر فصل الدين عن السياسة. وقد تعددت العوامل التي جعلت الشيخ أحمدو بمب يهادن الفرنسيين وعلى رأس تلك العوامل: إن الشيخ تلقى تعليمه في منطقته فهو لم يسافر خارج بلده ولم يطلع على تلك الحركات الإصلاحية في المشرق التي عملت على تغيير الأوضاع القائمة بالقوة. ثانيا إن الشيخ أحمدو تتلمذ على يد الشيخ سيديا باب أحد كبار العلماء الموريتانيين المعروف بمهادنته للاستعمار والحرص على السلطة المعنوية، والعمل على الإصلاح الاجتماعي بعيدا عن السياسة. ثالثا إن الشيخ أحمدو وعى الدرس من خلال فشل الحركات الجهادية وما انجر عنها من خراب وتشريد في المنطقة<sup>2</sup>.

لم يقتنع الشيخ أحمدو بمب باستخدام العنف ضد الفرنسيين، لمعرفته بقوتهم، ولذا اتبع سياسة سلمية في معاداتهم، وساعد الفرنسيين أثناء الحرب العالمية الأولى بتجنيد مجندين من قومه، مما جعل فرنسا تمنحه مستشار الشؤون الإسلامية، كما منحته سنة 1916م لقب ((نبيل)) أو ((فارس)) في الجيش الفرنسي، ومنحته ميدالية ذهبية على هيئة صليب إلا أن الشيخ رفض هذا اللقب لأنه مسلم<sup>3</sup>. لكنه رغم ذلك لم يسلم من مكرمهم فقد مات أحمدو بمب سنة 1927م وهو تحت الإقامة الجبرية<sup>4</sup>.

وقد قدم الشيخ أحمدو بمب عدة مبررات لمهادنة ومسألة الأوروبيين والتعامل معهم منها: أنهم ملكوا البلاد وتغلبوا على الكثير من الممالك المجاورة، والقتال فتنة مع تفرق الناس ولاوجود للإمام وفي المقابل هذه الأمم موحدة ولهم نظام منضبط، وأمر آخر وهو نقص العتاد وقلة المحاربين مع قلة الخبرة

1 David Robinson: Op.cit., p 166.

2 محمد شقرون: المرجع السابق، ص 63-64.

3 مهدي رزق الله: المرجع السابق، ص 588.

4 إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 373.

الحربية، وهؤلاء الأوروبيين لم يحاربوا الدين ولم يعتدوا عليه بل ساهموا في تطويره في العديد من البلدان السودانية، وذلك من خلال محاربة اللصوص والمعتدين وإشاعة الأمن والسلم، فخالطوهم حتى صاروا مسلمين. ويضيف ما حصل في هذه المنطقة من كثرة النعم والخير بداية بالأمن وأخيراً من السلع والبضائع التي قضت على المجاعات وتحسن في المستوى المعيشي والصحي ورفي في المظهر الاجتماعي هو خير دليل<sup>1</sup>.

### 13-1 موقف الشيخ موسى كمر (1863-1945م) من مهادنة الفرنسيين:

بالرغم من كون الشيخ موسى كمر تجاني الطريقة إلا أن علاقاته كانت جيدة مع الفرنسيين فقد كان يصرح بحبه لفرنسا وحبه لتعلم أبنائه اللغة الفرنسية وقد حضهم على تعلمها، بل أكثر من ذلك كان يأمر غيره بحب فرنسا ويعلل ذلك بأن الفرنسيين أحسنوا إليه<sup>2</sup>. وقد أفرط الشيخ موسى كمر في علاقاته مع الفرنسيين سواء كانوا حكاماً أو قادة جيش أو إداريين بل صرح مراراً في كتاباته بأنهم مجبولون على حبه وأنهم يتفرون مآربه ويقضون حاجاته بدون طلب منه، ولهذا نصح أهله وجميع من يعرفه بمحبتهم، ولم يُخف الشيخ موسى حبه للغة وثقافتهم وحتى أخلاقهم<sup>3</sup>.

### 13-1 أدلة الشيخ موسى كمر في المهادنة:

قبل أن يتحدث الشيخ موسى كمر في كتابه ((تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى)) عن العلاقة مع الفرنسيين فقد استهل هذا الفصل بالرسالة التي بعث بها الشيخ سيديا الكبير إلى فيديرب، ليستدل بحديث شيخه على أن الفرنسيين على دين متين وأنهم أهل كتاب، فينبغي أن يحفظ لهم مقامهم وشرفهم وأن يعاملوا على هذا الأساس. ويشير الشيخ كمر في كتابته إلى الفرنسيين بالكثير من التعظيم فنجدهم يسميهم السادة الفرنسيين وقد استدل الشيخ موسى عن جواز مهادنة الفرنسيين وكل النصارى بعدة أدلة منها دعوة الشيخ سيديا فيديرب إلى الإسلام، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم اكتفى منهم بدفع الجزية، وأن الله أباح نكاح نسائهم والأكل من ذبائحهم، وفي الحرب نهى عن قتل

1 سيد محمد ولد محمد: المرجع السابق، ص 24-25.

2 عمر محمد صالح الفلاني: الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، السنغال، 2007، ص 372.

3 محمد جوف: المرجع السابق، ص 153.

الرهبان على عكس باقي الأديان الأخرى. وأكثر من هذا فقد وعد الرسول أن من أسلم منهم يؤتية الله أجره مرتين وفي هذا دليل على أن إيمانهم معدود، ودينهم أخ لديننا. وبهذا فإن صداقتهم والتعامل معهم جائز شرعاً<sup>1</sup>.

ويستدل الشيخ كمرا بما في كتاب الاستقصاء من جواز بيع الآتنة الحربية للنصارى، لأنهم صاروا أكثر قوة وعدة وتفننا في أنواع الآلات الحربية، فصارت أسلحتنا والحطب عندهم سواء، والدليل على هذا أنهم يبيعوننا أسلحة والآت حربية لأنها أصبحت عندهم قديمة ومتخلفة، وقد نجحوا في صناعة ما هو أدق منها وأنفع<sup>2</sup>.

### 13-2 العلاقات بين الشيخ موسى كمرا والفرنسيين:

يمكن إرجاع بداية العلاقات بين الشيخ موسى كمرا والإدارة الفرنسية إلى العشرينيات من القرن العشرين حين تبادل الشيخ الكثير من الرسائل مع الحاكم العام الفرنسي في موريتانيا هنري كادن Henri Gaden حول نشر مؤلف الشيخ ((زهور البساتين)) في فرنسا وترجمته، كما راسل الشيخ وزير المستعمرات الفرنسية سنة 1936م لنفس الغرض، وبالفعل فقد تم نشر هذا العمل الضخم وتحصل الشيخ على حقوق النشر وتعويضات كبيرة، مما جعل المؤلف يسعى إلى خدمة الأهداف الاستعمارية من خلال كتاباته وتضمينها معلومات أثنوجرافيا واجتماعية مما يخدم الأهداف الفرنسية في التعرف على المنطقة ويسهم في تسييرها بشكل أفضل<sup>3</sup>.

### 14- موقف الشيخ التراد بن العباس (1886م-1946م) من المهادنة:

يرى الشيخ التراد أنه تجوز المخالطة والمعاملة والمعاشرة للنصارى، أما المودة المحظورة فهي المناصحة وإرادة الخير لهم ديناً ودنياً مع كفرهم، أما سوى ذلك فلا حظ فيه، ويحرم أن يعينهم المسلم على عدو، ويستدل على ذلك بإجازة الإمام الأوزاعي أن يقاتل المسلمون مع العدو من ليس من ملتهم، ومنعه الأمام مالك وابن القاسم، كما أجاز الإمام التراد التولية من غير المسلمين وهي جائزة وطلبها جائز

1 موسى كمرا: تاريخ قبائل البيضان، المصدر السابق، ص 141

2 موسى كمرا: أكثر الراغبين، المصدر السابق، ص 66.

3 أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 144.

والدليل نبي الله يوسف عليه السلام، وفي هذا أيضا دليل على التولية من يد سلطان جائر، ويجوز الاستعانة بالكافر إن دعت الضرورة، ومما ثبت عن مالك والثوري قولهما: "سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من النهار." ويستدل على ما ورد في سراج الملوك إن العدل قسمان: إلهي جاءت به الرسل والأنبياء والثاني ما يشبه العمل وهو السياسة الإصلاحية التي هرم عليها الكبير ونشأ عليها الصغير، ولهذا فالسلطان الكافر الحافظ لشرائطه السياسية والإصلاحية أبقى وأقوم من السلطان المؤمن العدل في نفسه المضيع للسياسة القهرية العدلية<sup>1</sup>.

### 1-15 رأي الشيخ محمد محمود الأرواني (1910م-1973م) في الدولة الفرنسية:

يرى الشيخ محمد الأرواني أن مجيء الفرنسيين كان رحمة لبلاد السودان حيث سكنت الحرب وساد العدل، وزُدت الحقوق والمظالم إلى أهلها وأرضعت فرنسا كل قبيلة أفضل ثديها، وكان هذا الدخول أكبر فائدة للمنطقة، وفيه من المنافع ما لا يعد ولا يحصى، ولا ينكر هذا إلا جاهل أو جاحد. فبدخول الفرنسيين صلحت الأمور الدنيوية كصلاح القضاء بوضع المحاكم الشرعية، وسكون الحروب، فقد كفوا أهل الفساد، وأجروا الخير بين القبائل وقربوا البعيد بالسكك الحديدية وأسلاك الهاتف وحفروا الأراضي. أما إصلاحهم للأمور الدينية فبإصلاح الأمور الدنيوية، وتمكين أهل الدين من أداء وظائفهم في جو من الاستقرار والأمن. وبهذا فالفرنسيون مصلحون وهم الذين وعد الله بتمكينهم في الأرض كما ورد في الآية الكريمة: **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**<sup>2</sup> فبسعة نظرهم وعمارتهم للأرض قويت دولتهم وتمكن أمرهم<sup>3</sup>.

### 2-15 رد الشيخ محمود الأرواني على تكفير المهادين وعلى المعادين لفرنسا:

رد الشيخ محمد الأرواني على من يقول بأن المتعاون مع فرنسا ليس مسلماً حقيقياً بهذا السؤال الاستنكاري: ما هو مصير الآباء والأجداد الذين تعاونوا وعملوا مع فرنسا لأكثر من قرن؟ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتعاون مع المسيحيين طالما لم يُخرجوا المسلمين من ديارهم ولم يمنعوهم من

1 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص-ص 3038-3040.

2 سورة الأنبياء: الآية 104.

3 محمد محمود الأرواني: المصدر السابق، ص ص 249-251.

القيام بشعائهم الدينية. بل إن الفرنسيين لطالما أعانوا المسلمين على أداء واجباتهم الدينية والدينية. فقد قاموا ببناء المساجد والمستشفيات وعبدوا الطرق، وكل هذه المشاريع لم يكن لها ذكر قبل مجيء الفرنسيين<sup>1</sup>. ويرى الشيخ مولاي أحمد بابير الأرواني أن فرنسا لما استولت على مالي سنة 1280هـ/1863م، حكموها حكماً لطيفاً واستقام بقدمهم الأمر حيث أنهم سددوا الأمور وأطفأوا نار القلوب<sup>2</sup>. وعند زيارة الشيخ محمود لتيندوف بالجزائر يوم 04 أكتوبر 1955 بطائرة فرنسية خاصة، استغل الشيخ المناسبة للقاء أعيان المنطقة وشرع في وعظ الحاضرين ومما قاله: "إنني أداة من أدوات الله وأطلب منكم اتباع فرنسا مثلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسمعوا واطيعوا لرؤسائكم طالما أن هؤلاء لم يمنعوكم من دينكم ولم يخرجوكم من دياركم...." واستطرد مشيداً بفرنسا وإنجازاتها: "فإنهم هم من يصلح لكم هاته المساجد عندما تتضرر، وهم من ترك لنا حرية التعليم بالعربية، وإنهم يحترمون رمضان وأعيادكم. فماذا تريدون أكثر من هذا؟"<sup>3</sup>

## 16- موقف محمد الأمين (اب) بن محمد المختار الحكاني (1905-1974م) من المهادنة:

أفتى الشيخ محمد بأن المعاملة وموالاته المخالفين في الدين مع الضرورة جائزة بقدر ما يدفعها، ومن الأدلة إن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لكل من أسماء بنت أبي بكر وسعد بن أبي وقاص في الإحسان إلى أمهما وهما كافرتان، ويفتي الشيخ محمد بأن المخالفين في الدين أخف ضرراً على المسلمين من أنفسهم، لأن بلاد المسلمين هذه كانت سائبة لا حاكم ولا زاجر، لا يأمن الضعيف على نفسه ولا ماله، فلما جاء الفرنسيون سكنت الفتنة وأمنت الطرقات، وهذه المنافع أهم من المغارم والضرائب التي يأخذونها وهذا عار كبير على المسلمين حيث أن النصارى خير منهم<sup>4</sup>.

1 محمد بن داره: المرجع السابق، ص 284-285.

2 مولاي احمد بابير الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تح: الهادي المبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، 2001، ص 69.

3 محمد بن داره: المرجع السابق، ص 282.

4 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 3043-3044.

## 17- موقف الشيخ سعيد النور تال (1873م -1979) من المهادة:

عُرِف عن الشيخ سعيد بن النور بن الحاج عمر تال الذكاء والمرونة في التعامل ، فقد عمل على ربط علاقات حسنة مع الفرنسيين حيث كان شديد الولاء لهم مما جعل البعض من أقرابه يتهمونه بالخيانة وعلى رأسهم ابن عمه ( أجيبو) بن الشيخ أحمدو، إلا أن هذا الرجل كان يقوم في نفس الوقت وبصورة سرية بدعم التماسك الاجتماعي في كل القرى والمدن التي يزورها ويحث الناس على التعاون والحفاظ على قيمهم الإسلامية وعدم تقليد الغربيين والانبهار بحضارتهم، رغم أنه في العلن كان يظهر العكس من خلال الثناء على فرنسا والإشهار لمنجزاتها الحضارية التي تقوم بها في المنطقة، وهذا ما جعل الإدارة الاستعمارية تكافئه بعدة أوسمة أبرزها تعيينه مندوبا للحج مرتين سنة 1939م و1959م<sup>1</sup>.

ومما سبق يمكن القول إن المهادة جائزة وأدلتها لا غبار عليها فقد هادن الرسول كفار قريش في صلح الحديبية لكن كما هو معلوم إن المهادة لا تكون مطلقة وإلا تعطل ركن مهم من أركان الإسلام ألا وهو الجهاد، ولا تكون المهادة إلا بعد استفراغ الجهد في المقاومة، كما لا يجوز أن تتحول إلى موالة كالمعاونة بالمال والقتال في صفوف العدو، ومن القواعد الفقهية المتفق عليها إن دفع الضرر مقدم على جلب المنافع، فلا يمكن التعلل دائما بالمصلحة لأن بهذا سيضيع الدين كله، والشروط التي اتفق حولها فتهاء المالكية قديماً وحديثاً غير متوفرة. وأما التعلل بتحسين الأحوال بعد الاستعمار فمردود على أصحابه لأن نتائج الاستعمار لا يمكن أن يظهر مفعولها بين شهر أو شهرين فهي كالسم في الدسم، والعبرة بالخواتيم. ولو أن الكلمة كانت موحدة حول الجهاد ربما لتغير مجرى التاريخ.

## المبحث الثالث: الآراء والمواقف المعارضة للمهادة:

### 1- موقف الشيخ عثمان (1754م-1817م) من موالة الكفار:

وسم الشيخ عثمان بن فودي الفصل الرابع من مؤلفه (بيان وجوب الهجرة على العباد) بعنوان: تحريم موالة الكافرين، وذكر الشيخ بداية بأن موالة الكافرين محرمة كتاباً وسنةً وإجماعاً، وساق الشيخ الآيات بتفاسيرها من عبد الرحمن السيوطي والبيضاوي. فلا تجوز موالاتهم لقربة أو صداقة وإنما الحب والبغض في الله، ومن يتولهم فإنه منهم كما ورد في الآية،

1 شيخ لعرج: المرجع السابق، 243.

ومن السنة نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التودد لهم ومناصحتهم ومساكتهم كما ورد في الحديث (المؤمن والكافر لا تترأى نارهما)<sup>1</sup>، وأما الاجماع فإن علماء الأمة أجمعوا على عدم جواز موالاتهم إلا في وقت المخافة، فتجوز باللسان دون القلب، إشارة إلى الآية: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقية ويحذرکم الله نفسه وإلي الله المصير<sup>2</sup>. وهذا قبل عزة الإسلام وفي بلد يضاعف بها، وأما اليوم فالإسلام قوي فليس للمسلمين أن يتقوا من عدوهم<sup>3</sup>. وقد ذكر الشيخ عثمان في الفصل الرابع والأربعين إن شروط الصلح والمهادنة أربعة مستدلا بما ورد في مختصر الشيخ خليل: أولها أن يكون لمصلحة المسلمين، أو لعجز عن القتال، أما إن لم تكن فيه مصلحة فلا يجوز ولو بدّل العدو المال، والشروط الثاني: خلوه عن شرط فاسد مثل ترك مسلم في أيديهم أو مال من غير ضرورة، والثالث: أن يكون الصلح بعقد الإمام، والرابع أن يكون محمداً بأن لا يزيد عن أربعة أشهر<sup>4</sup>.

## 2-1 موقف القاضي أبو عبد الله قاضي صكتو من المهادنة:

أورد القاضي أبو عبد الله تعريفاً للمهادنة فهي المصالحة، وهي عقد المسلم مع الحربي على المسالمة أي المتاركة، فحكمها الجواز إن كانت غايتها بقاء السلطة للمسلمين حيث خافوا على أنفسهم لضعفهم من الوقوع تحت سلطة الكفار، وهذا من أجل الاستعداد للمواجهة، أو من أجل خروج المسلمين من بلاد الكفر الذين هم فيها، أو من أجل مداخلة المشركين من أجل أن يطلعوا على الإسلام في أمن وسلام، فيسلم من قدير له منهم أن يسلم، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بعقده لصلح الحديبية<sup>5</sup>. وذكر القاضي عبد الله في رسالته السابقة شروطاً ثلاثة لقبول المهادنة بين المسلم والكافر. أولاً أن تكون لصالح بقاء المسلمين تحت حكمهم أي ألا يتولى النصارى أمر المسلمين. ثانياً: أن تكون لمدة محددة وثالثاً: أن تخلو من أي شرط فاسد<sup>6</sup>.

1 ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج 07، ص 20

2 سورة آل عمران: الآية 28.

3 عثمان بن فودي: المصدر السابق، ص 49-50

4 نفسه، ص 123

5 الأمين أبو منقعة: الأسس الفقهية، المرجع السابق، ص 37.

6 الأمين أبو منقعة: موقف الخلافة، المرجع السابق، ص 117.

## 2-1 الرد على رأي المهادنة من خلال مؤلف ((رسالة ونصيحة)):

يرى القاضي عبد الله في مؤلفه ((رسالة ونصيحة)) أن شروط المهادنة الثلاثة لا يمكن تحقيقها بأي حال من الأحوال، فالكلمة العليا ستكون للنصارى بعد المهادنة، ومن المستحيل أن يحدد الانجليز مدة معينة لبقائهم، أما الشرط الثالث فمن غير الممكن أن تخلو عقودهم من الفساد. ثم إن مهادنة النصارى ينجر عنها مصائب عظام عند اختلاط المسلمين بهم ومن ذلك التزبي بزبهم والتخلي بأخلاقهم والتطبع بطبائعهم الرديئة، فينشأ النساء والولدان على عاداتهم وهذا مما يضعف الإسلام ويُذلل أهله بدخولهم تحت حكم النصارى. وأما الاحتجاج للمهادنة بقوة العدو وشدة سلاحه، ولو قاتلناهم لاستأصلوا الإسلام وأهله ولذا يجب مهادنتهم دون قيد أو شرط. فالجواب إن مخالطتهم أيضاً تؤدي إلى استئصال الإسلام وتهدم الدين شيئاً فشيئاً وهذا غير خفي، فكل البلدان التي سيطروا عليها تعرضت لهذا، وهذه هي غايتهم وسبب قدومهم إلى أرض المسلمين. ولهذا لا ينبغي لمسلم أن يبقى تحت سلطة الكافر لأنه سيزيحه عن ملته<sup>1</sup>.

## 3- موقف الشيخ ماء العينين (ت 1323هـ - 1910م) من المهادنة:

من خلال كتاباته يرى الشيخ ماء العينين بأن النصارى من أعدى الأعداء فالعداوة بيننا وبينهم دينية وهي أشد من العداوة البدنية، فكيف إذ اجتمعنا معاً، فلذا لا تجوز مهادنتهم بدعوى أنه لا ضرر لهم على الإسلام، ومن يُجوز مهادنتهم ومداهنتهم فليرجع للتاريخ لينظر ماذا فعل المسيحيون في مصر والاندلس<sup>2</sup>. ولهذا رفض الشيخ ربط أي علاقات تجارية مع الفرنسيين رفضاً قاطعاً رغم محاولاتهم الكثيرة لربط علاقات معه والتلويح بالكثير من الاغراءات من أجل ذلك، وقد بعث الشيخ برسالة إلى الوزير المغربي أحمد بن موسى بخصوص هذا الأمر حيث يقول: " وليكن في كريم علمكم أنهم لعنهم الله كثيرا ما يطالبونني بالعهد معهم، وأنا امتنع من ذلك الا إذا كان على يديكم"<sup>3</sup>.

1 الأمين أبو منقعة: الأسس الفقهية، المرجع السابق، ص 32-37.

2 علي بدوي: المرجع السابق، ص 106

3 أحمد بومزكو، ماء العينين النعمة علي: المرجع السابق، ص 106.

### 3-1 أدلة الشيخ ماء العينين حول المهادنة:

أورد الشيخ ماء العينين في كتابه ((هداية من حار في أمر النصارى)) عدة نصوص حول حكم مهادنة النصارى وشروطها وقد استدل بالقرآن الكريم والسنة النبوية كما استدل بأقوال الفقهاء المالكية في المسألة وعلى رأسهم الشيخ خليل والإمام العدوي والدسوقي ونقل عن هذا الأخير إن المهادنة لا تجوز إلا بشروط أربعة: أن يكون العاقد لها الإمام أو نائبه، أن تكون لمصلحة المسلمين، ثالثاً أن يخلو عقدها من شرط فاسد، وأخيراً أن تكون مدتها معينة ويندب ألا تزيد عن أربعة أشهر. وهذه الشروط غير متوفرة فلو أضفنا لها عدم وفائهم بالعهود ونقضهم للمواثيق وما في مخالطتهم من المفسدة على الدين نظراً لمعادتهم لله ولرسوله فإننا نرى بعدم جواز مهادنتهم وموالاتهم<sup>1</sup>.

### 4- موقف الشيخ محمد المختار بن امبال (1879-1944م) من المهادنة:

أورد الشيخ محمد المختار في فتواه إن الإقامة في دار الحرب وهي التي سيطر عليها غير المسلمين حرام، لما ثبت من إهانة سلطتها للمسلمين. ومن ساكنهم مع قدرته على الهجرة فقد اختار المال والأولاد ومتاع الدنيا على الآخرة، وحال هؤلاء المقيمين ورأيهم فاسد، وهذا دليل على عدم تبصرهم لعواقب الأمور وما ستؤول إليه حياتهم بعد مخالطتهم للنصارى والكفار، وبهذا يكونوا قد اختاروا العاجلة على الآجلة<sup>2</sup>.

### 5- موقف الشيخ محمد بن حبت الغلاوي (ت 1375هـ/1956م) من المهادنة:

يرى الشيخ محمد بن حبت أن المهادنة مع النصارى لا تجوز لعدة اعتبارات منها: أن من عقدها بداية يتوجب عليه القتال، ثانياً إن المهادنة ضررها كبير على المسلمين فهي كهدية للعدو وإبرامها يعتبر خضوع واستسلام، لأنها تعطي العدو فرصة لاستعادة أنفاسه واستعداده للقتال، ثم إن هذه المهادنة بمثابة إعطاء الجزية للكفار وهذا عكس الأصل فهي اعتراف بسيادتهم، والمتبصر بمصائر الأمم سيرى مع مرور الأيام إن السلطة ستؤول إلى أيدي هؤلاء النصارى، وسيفقد المسلمون بذلك سياسة أمورهم كما

1 يجي ولد البراء: المرجع السابق، ص ص 2899-2902.

2 باب ولد أحمد: المرجع السابق، ص 18.

سيفقدون خيرات بلادهم وثرواتها<sup>1</sup>. ويضيف بأن المهادنة التي عقدها المسلمون مع النصارى فاسدة ومنقوضة لأن من عقدها أصلاً يتوجب عليه الجهاد وثانياً منفعتها عائدة على الكفار، وهي مخالفة لما تقدم من أمر المهادنة والحكم والسياسة، فهي عكس ما يجب أن يكون، لأن المسلم هو من يدفع الجزية بدل من أخذها والله تعالى يقول: **قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**<sup>2</sup> وأما هؤلاء المحتلون هل من أحد يأمنهم على نفسه أو على ماله أو دينه؟ وهذا واضح في كل البلدان التي استولوا عليها وما يفعلونه بالمسلمين من قتل وسجن وإهانة وسيطرتهم على أملاك المسلمين ظاهرة للعيان لا ينكرها أحد<sup>3</sup>.

مما سبق، يمكن القول إن المهادنة جائزة شرعاً وقبولها رغم ما فيه من إذلال لمن فرضت عليه جائز، فالمسلمون انتهكت حرمتهم وسلبت حرياتهم وسيطر النصارى على بلادهم مما صعب الأمر عليهم، لكن لا يمكن الاستمرار في الجهاد لعدة اعتبارات منها الضعف الذي كان سائداً قبل الاستعمار، وقلة السلاح والتنظيم وتشتت الكلمة، ومن هنا لا بد لكل محارب من استراحة. وبالنسبة لشروط المهادنة لا يمكن أن تتوفر جميعها في تلك الظروف التي عاشتها المنطقة لكن لا بد من قبولها وعقدها. وبالنسبة لتحديد مدة الهدنة بأربعة أشهر عند المالكية لا اعتبار له، فقد صالح الرسول صلى الله عليه وسلم كفار قريش لمدة عشر سنوات. كما إن وجود الإمام الشرعي في تلك الفترة مستحيل. وفي الحقيقة إن النصارى كما ذكر المعارضون للهدنة لا عهد لهم ولا ميثاق لكن ما باليد حيلة فالكلمة للمتغلب.

## المبحث الرابع: مواقف فقهاء خارج إفريقيا الغربية من المهادنة:

### 1- فتوى الشيخ أحمد المغراوي الوهراني حول المهادنة:

يعود تاريخ هذه الفتوى إلى سنة 1504م الموافق 910هـ، وقد كان لها وزن كبير بين المسلمين المنصرين في الأندلس، وقد عثر لها على ثلاث ترجمات أولها بالإسبانية سنة 970هـ الموافق 1563م.

1 باب ولد أحمد: المرجع السابق، ص 16.

2 سورة التوبة: الآية 29.

3 يحيى ولد البراء: المرجع السابق، ص 2979-2980.

بعث الشيخ أبو جمعة المغراوي بهذه الفتوى إلى مسلمي غرناطة، دعا فيها بشكل غير مباشر إلى استخدام التقية أو ما يسمى بالإسلام الخفي، مقدماً مجموعة من الحلول لمساعدة المسلمين باستعمال عدد من الحيل والتورية والألاعيب النحوية، وأعطاهم حلول لمجموعة من العبادات والمعاملات وحتى العقائد في حال إجبارهم وإكراههم من طرف النصارى، كما أشاد بدورهم وأجورهم المضاعفة نظراً لغربتهم وما يلاقونه في هذه المأساة التي يعيشونها. وقد جاءت هذه الفتوى بغرض بقاء هؤلاء الضعفاء من المسلمين في الأندلس ومن أجل بقائهم على دينهم ولو باطنياً مع اعتناق المسيحية ظاهرياً، حتى يأتي الفرج<sup>1</sup>.

## 2- موقف أحمد بن خالد الناصري (1835-1897م):

تعتبر فتوى الشيخ أحمد الناصري من أهم المصادر التي اعتمد عليها الشيخ موسى كمرا حيث يرى الشيخ أحمد أن التعامل مع النصارى في مجال التجارة جائز، ماعدا بيع الآلات الحربية مثل السلاح أو الخيول مما يفيد في تقوية جيوشهم، ويدخل في المنع أيضاً كل ما هو في معنى السلاح، وأما ما لا يتقنون به فهو جائز<sup>2</sup>، ثم يذكر إن المسلمين في حالة من الضعف لا يمكنهم مجابهة القوى الأوروبية فلهذا لا ينبغي محاربتهم لأن المعركة محسومة. وهؤلاء النصارى يدعوننا إلى السلم لا إلى الحرب، ولقد جاءت فتوى الناصري متزامنة مع محاولة الملك الحسن الأول عقد اتفاقية مع بعض الدول الأوروبية لشراء مواد غذائية فرفض بعض الفقهاء هذا الطلب، إلا أن الشيخ ابن خالد الناصري تصدى لهم وعارض فتواهم وقال بالجواز، لأن الفرنسيين لم يحتلوا المغرب ولم يقوموا بمحاربة أهله أُنذاك<sup>3</sup>.

## 3- موقف الشيخ أحمد بن الغزال:

يرى أحمد بن الغزال الذي كان كاتباً في السفارة التي بعث بها الملك المنصور المغربي إلى إسبانيا والتي توجت بعقد معاهدة بين الطرفين الإسباني والمغربي سنة 1767م، إن المهادنة تجوز إن اقتضت المصلحة والمنفعة العامة حاجة لعقدها، ولكن على قواعد وأسس فتجوز مثلاً من أجل فك الأسرى

1 هشام بن سنوسي: المرجع السابق، ص 16-17.

2 أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص 184.

3 الطالب أخيار، المرجع السابق، ص 71-72.

وإنقاذهم من العذاب وأيضا من أجل استيراد وجلب ما يستعان به على الجهاد مثل شراء السفن والبارود والأسلحة لأن في هذا إذلال لهؤلاء الكفار وغلبة وقهر<sup>1</sup>.

#### 4- موقف الشيخ محمد بن جعفر الكتاني<sup>2</sup> (1857-1927) من المهادنة:

أجاب الشيخ عن هذه المسألة في كتابه ((نصيحة أهل الإسلام)) فقال إنها لا تجوز لا للإمام ولا للناس إلا إذا كانت فيها مصلحة للمسلمين ومن فعلها فهو غاش للمسلمين لأن المهادنة ترك للجهاد، وما صار إليه أمر المسلمين في الأقطار دليل على هذا، فقد أصبحوا كالجراد في البر والبحار وعدوهم يتبعهم في الفياقي والقفار، وما ذلك إلا من مهادنتهم له وتركهم الجهاد. وكيف تكون المهادنة والعدو قد نزل بأرضهم وغلبهم على أمرهم. أما الصلح في السنة النبوية يكون من المسلمين إلى الكفار لا العكس. فكيف يكون الصلح والعدو قد نزل بأرضهم وظهر عليهم؟ والنصارى لا عهد له ولا ميثاق فكيف تسكن إليهم نفوس المسلمين؟ فمنطقيا كيف يكون للمغلوب على غالبه العهد والميثاق<sup>3</sup>؟

#### المبحث الخامس: مواقف الطرق الصوفية من المهادنة:

حاولت الكثير من الكتابات التنقيص من جهود الطرق الصوفية في الجهاد، ووصمها بالتخاذل والتعاون مع المستعمر، وعلى رأسها الكتابات الفرنسية التي حاولت تصوير موقف الطرق الصوفية تجاه الاستعمار بالسلب وتعميمه على كل الطرق<sup>4</sup>، ومن أبرز تلك المؤلفات ما كتبه أوكتاف دييون وكزافيي كابولاني في كتابهما: ((Les confrérie Religieuse Musulmanes)) وما كتبه لوي رين في كتابه

1 أحمد بن الغزال: المصدر السابق، ص 35-36.

2 هو محمد بن جعفر الكتاني الحسني الفاسي، مؤرخ ومحدث، مكث من التصانيف، رحل إلى الحجاز مرتين وأقام بالمدينة ست سنوات، ثم رحل إلى دمشق، ولكنه عاد إلى فاس التي دفن بها، ترك ما يزيد عن 60 كتابا ومن أهم مؤلفاته: نظم المتناثر في الحديث المتواتر، الدعامة في احكام العمامة، الرسالة المستطرفة، سلوة الانفاس في تراجم علماء فاس وصلحاتها. ينظر الزركلي: المرجع السابق، ج 06، ص 72-73.

3 الطالب اخيار: المرجع السابق، ص 90.

4 محمد الأمين شرويك: المرجع السابق، ص 69.

((Marabouts et Khouans)) ومما جاء فيه: إن بعض المرابطين كانوا يقدمون الملاجئ للفرنسيين عند قيام الثورات وعند حدوث الخطر وحتى في الأوقات العادية<sup>1</sup>. ولكن الحقيقة غير ذلك فقد حمل قادة الطرق الصوفية لواء الجهاد في مختلف المناطق، لكنهم كغيرهم سكنوا بعد سيطرة المستعمر وقوته، وهادنوه وتعاملوا معه وفي معظم الأحيان كان هذا التعامل في إطار شخصي لا في إطار الطريقة. وقد لاحظ بعض المفكرين المهتمين بشؤون التصوف إن الطرق الصوفية التي تحالفت مع الاستعمار فقدت بريقها في أعين الاتباع وتراجعت مع مرور الأيام، بينما الطرق التي ظلت مقاومة تجددت وكثر أتباعها. ولهذا نصح هؤلاء الباحثون الإدارة الاستعمارية بعدم استخدام العنف ضد الطرق الصوفية لأن ذلك سيزيد من قوتها ويخدم مصالحها<sup>2</sup>.

### 1- موقف الطريقة البكائية من المهادنة:

أورد بول مارتي في كتابه القبائل البيضانية إن موقف الكنتيين من الاستعمار الفرنسي لم يكن موحداً فالكنتيون المنحدرون من أزواد قاوموا وتحفظوا على التدخل الفرنسي وعلى رأسهم عابدين الكنتي الذي ظل رافعاً شعار المقاومة ولم تستطع فرنسا أن تنعم بالهدوء إلا بعد حين، أما الكنتيون المنحدرون من تكانت فسرعان ما وقعوا اتفاقية مع الفرنسيين تنص على الاعتراف بسلطة الفرنسيين مقابل السماح لقوافلهم بالمرور ولقطعانهم بالرعي في الأراضي التي تحت سيطرة الفرنسيين<sup>3</sup>.

### 1-1 موقف الكنتيين من مهادنة الاستعمار:

إن المتتبع لتاريخ كنته سيلاحظ ثقافة التسامح التي توارثوها كابر عن كابر خلال قيادتهم للطريقة القادرية وهذا يدل على فهمهم الثاقب لأصول الدين وفقه النوازل انطلاقاً من قاعدة التعامل الإيجابي مع الآخر<sup>4</sup>، ففي أوت 1863م عقد فيدير حاكم سان لويس معاهدة صداقة وتبادل تجاري مع بعض أفراد قبيلة كنته الذين كانوا في زيارة إلى إمارة البراكنة بموريتانيا وبموجب هذه المعاهدة فقد زار محمد بن زين العابدين ابن أخ الشيخ أحمد البكاي سان لويس في 27 أكتوبر من نفس العام من أجل

1 Louis Rinn : Marabouts et Khouans, Adolphe Jourdan libraire, Alger, 1884, p 17.

2 عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص 94.

3 بول مارتي: القبائل البيضانية، المصدر السابق، ص 147.

4 ياسين بن روان: المرجع السابق، ص 59.

توقيع اتفاق بين أسرة البكاي والفرنسيين وكان هدف الأسرة الحصول على الأسلحة ليس أكثر<sup>1</sup>. وقد عرف النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي توسع فرنسا في منطقة الصحراء الإفريقية حيث تمكنت من إخضاع تمبكتو وفي نفس الوقت تمكنت من كسب ود أهم القبائل الصحراوية ألا وهي قبائل كنته التي وقفت تقريبا شبه مستسلمة وخاضعة للسلطات الفرنسية بل قبلت المهادنة والتعامل مع الفرنسيين وهذا تقريبا منذ بداية التوغل الفرنسي في المنطقة من خلال موقف الشيخ أحمد البكاي مع المستكشفين، وموقف الشيخ باي بن اعمر الكنتي، لكن رغم ذلك شد بعض الأعلام من القبيلة عن هذا الطرح ورفضوا الاستعمار جملةً وتفصيلاً، بل وعملوا على محاربه في كل أنحاء الصحراء وعلى رأس هؤلاء الشيخ عابدين الكنتي<sup>2</sup>. وبموجب المعاهدة السابقة قدم الشيخ محمد الابن الثاني للشيخ البكاي إلى سان لويس بتاريخ 10 أبريل 1864م للتحادث مع الحاكم فيديرب الذي جهز مشروعاً لحملة استكشافية بهذه المناسبة لكنها تعثرت ولم تنجح<sup>3</sup>.

## 2- موقف الطريقة التجانية من المهادنة:

حدث تحول كبير في موقف الشيوخ التجانيين في غرب إفريقيا بعد الحاج عمر وابنه الشيخ أحمدو، ولعل هذا الأمر يعود إلى تأكدهم من عدم القدرة على مواجهة القوات الاستعمارية، وأيضا النتائج الوخيمة التي خلفها الجهاد العسكري للحاج عمر لمدة سنوات من قتل وتشريد وتجويع وفقر وأرامل ویتامی وإحراق للقرى والمحاصيل الزراعية، فقرر الفقهاء من أمثال الشيخ مالك سي وإبراهيم أنياس مواجهة السياسة الاستعمارية من خلال التمسك بالأصالة ودعم الهوية وصيانة مبادئ وقيم الهوية الوطنية بالإصلاح والتوعية وتجنيد المسلمين الفرقة والحفاظ على المقدسات<sup>4</sup>.

وقد تجسد هذا التحول في مواقف التجانيين بتوقيع أجيبو حفيد الحاج عمر على اتفاقية مع الفرنسيين يوم 12 مارس 1887م مع جوزيف غاليني القائد الأعلى للسودان الفرنسي، تتضمن إبرام صداقة وتجارة مع الفرنسيين وإخضاع بلاده للحماية ومن جهتها تتعهد فرنسا بعدم التدخل بأي شكل

1 عمر عبد الماجد: المرجع السابق، ص 172.

2 أحمد بوسعيد: المرجع السابق، ص 729.

3 بول مارتني: كنته الشرفيون، المصدر السابق، ص 101.

4 شيخ لعرج: المرجع السابق ص 242.

من الأشكال في شؤون دينجوارى والسماح لزعيمها بإدارة رعاياه كما يناسبه بشرط أن يسمح بحرية التجارة وفي نفس الوقت تعهدت فرنسا بالتزام الشدة لمنع القادة المشاركين في السلب والنهب ضد القوافل القادمة من الأراضي الخاضعة لأجيبو<sup>1</sup>.

### 3-1 موقف الطريقة المرينية من المهادنة:

بعد سنة 1912 أدرك الفرنسيون بأن الطريقة المرينية لن تشكل خطراً على وجودهم لذلك سعوا إلى استغلال هذه المهادنة وذلك من خلال إنتاج الفول السوداني الذي كانت تسيطر عليه الطريقة، وزيادة إنتاجه ومضاعفته حققت فرنسا أرباحاً كبيرة وأموالاً طائلة. فقد ارتفع إنتاج الفول السوداني من 200 ألف طن قبل سنة 1914م إلى حوالي 600 ألف طن ما بين 1936-1937م ليسجل معدل نمو قدره 8.8 بالمئة سنوياً<sup>2</sup>. وقد تحقق هذا من خلال إعادة تشكيل الخدمة حيث أصبحت العلاقة بين العامل ومرشده الروحي بدل الإقطاعي هي السائدة في النظام الاجتماعي<sup>3</sup>. ومع بداية الحرب العالمية الأولى سارعت معظم العائلات الدينية والارستقراطية الكبرى في السنغال في الدفع بأبنائها أو بعض أتباعها للمشاركة في صفوف الجيش الفرنسي، وقد وافق الشيخ أحمدو بمب على مشاركة مائتين من أتباعه للتجنيد، كما سمح بإقامة مدرسة فرنسية في أمباكي على نفقته وقد تم افتتاحها سنة 1912م، أما الشيخ ابرا فال فقد شجع أتباعه على العمل في الزراعة لتطوير إنتاج الفول الذي كان يبيعه للفرنسيين تبادلاً للمنفعة لأنه كانت له أطماع سياسية وقد تحقق له ذلك حيث قلده فرنسا سنة 1890م ممثلاً للمريديّة في سان لويس<sup>4</sup>.

### 3-2 تحالف الطريقة المرينية مع الإدارة الفرنسية:

لقد بلغ من تحالف الطريقة المرينية مع الإدارة الفرنسية أن الشيخ أحمدو بمب دفع خمسمئة ألف فرنك قديمة لفرنسا سنة 1926م لرفع قيمة عملتها، كما أسهم في إمدادها بالمجندين في الحرب العالمية الأولى، وعلى رأسهم ابنه، ولم يعترض على تطوع أتباعه في الجيش الفرنسي، مما جعل الإدارة تكرم

1 Yves Saint-Martin: op.cit., p 162.

2 Samir Amin: Neo-colonialism in West Africa, translated by Francis McDonagh, Monthly review press, U S A, p03.

3 Jean Schmitz : Op.cit, p 49.

4 عائشة بومدين: موقف الطرق الصوفية من الاستعمار، المرجع السابق، ص 117-118.

الشيخ أحمدو بمب سنة 1919م بوسام نابليون بونابرت الذي صنع 1802م، لكنه رفضه وقبل الشهادة فقط<sup>1</sup>. وقد حاول الباحث السنغالي محمد علي أنجاي تبرير هذا الموقف من الطريقة القادرية بأنه أمر فرضه الواقع السنغالي، وأنه ليس استكانة من الشيخ أحمدو بمب ولا تحلياً عن مبادئه، ولكنه من باب دفع الضرر وتحقيق مقاصد عليا للشعب السنغالي من خلال تحسين أوضاعهم المعيشية والتخفيف من وطأة القوانين الفرنسية وتخفيف الضرائب، وشي آخر وهو دعوة للسلم الذي طالب به العدو<sup>2</sup>، كما قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِنْ جَحُوا لِلْسَّلْمِ فَأَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>3</sup>.

## المبحث السادس: خلاصة آراء ومواقف المهادنة:

### 1-أسباب مهادنة القبائل:

إن المتتبع للحركة الاستعمارية والمقاومة خلال التاريخ المعاصر في جميع مناطق العالم، يلاحظ تقريباً تشابهاً في المراحل والتطورات بداية بالمقاومة المسلحة ثم المقاومة السياسية ثم العودة مجدداً إلى الحركات التحررية. فمع مطلع القرن العشرين خفتت معظم المقاومات المسلحة، نظراً للتفوق الأوروبي مما جعل القبائل تمادى الاستعمار. كما أن هناك ظروف خاصة بكل بلاد ففي موريتانيا مثلاً تسببت موجات الجفاف الحادة ونقص المراعي والمجاعات الكبيرة في الفقر، مما جعل القبائل تتجه نحو الجنوب وترتمي طواعية أو كرهاً في أحضان المستعمر من أجل تأمين الغذاء<sup>4</sup>. وقد بلغت فترة الجفاف ذروتها سنة 1933م، وفي نفس الوقت استغلت الإدارة الفرنسية الظرف لفرض شروطها على القبائل، كما أن نجاح فرنسا في ربط منطقة أدرار الموريتانية بمنطقة توات الجزائرية بداية من سنة 1922م شكل عقبة كبيرة في وجه المقاومة، بالإضافة إلى طغيان الخلافات والنزاعات بين القبائل مما جعلها لا تستطيع الوقوف في وجه المستعمر<sup>5</sup>.

استخدمت فرنسا سلاحين عظيمين للقضاء على المقاومة ومنع الهجرة وهما الدعاية الحضارية وبعث الخوف، وبهذا نجحت تدريجياً في تحقيق مآربها ومشاريعها فقد كانت تنشر أخبار المناطق التي

1 محمد غلاي أنجاي: الشيخ أحمد بامبا سبيل الإسلام، نادي الوعي المريدي، بلجيكا، 2011، ص 168-169.

2 عائشة بومدين: موقف الطرق الصوفية من الاستعمار، المرجع السابق، ص 119.

3 سورة الانفال، الآية 62.

4 محمد الراضي ولد صدفن: المرجع السابق، ص 47.

5 محمد المحجوب ولد بيه: المرجع السابق، ص 246.

أصبحت تسيطر عليها وما آلت إليه هذه المناطق في ظل تحاذل وتراجع الدولة العثمانية أما السلاح الثاني فقد تمثل في التخويف من خلال إطلاع الفقهاء والمسلمين على معادتهم الحربية الحديثة وقوتها وتنظيم جيوشهم مما جعل الكثير من المسلمين يعتقدون اعتقاداً جازماً أن فرنسا لا تقهر أبداً<sup>1</sup>. كما أن السلطات الفرنسية في السنغال استغلت حاجة السكان إلى منتوجاتها وقامت ببناء المدارس في سان لويس للسيطرة على العقول ولجعل الأعداء يتسمون في وجهها، واستخدمت الهدايا والولائم لجذب القادة كما عملت على محاربة الصوفية بحروب غير معلنة<sup>2</sup>.

أورد بول مارتي رسالة بتاريخ 12 ديسمبر 1907م تنص على اتفاقية مهادنة وخضوع لقبيلة إيداوولي والأقلاق للنفوذ الفرنسي، وقد تضمنت الاتفاقية مجموعة من البنود منها أن تقدم فرنسا الأمان للقبيلتين مقابل عدم تعرضهما لفرنسا، وأن يحظى أفراد القبيلتين بالاحترام في معتقداتهم وتحفظ أملاكهم، وأن تقوم فرنسا بتعيين زعيم للقبيلتين، كما تسمح فرنسا بجواز المرور لأراضيها فهي مفتوحة لقوافل القبيلتين<sup>3</sup>.

## 2- عواقب ونتائج المهادنة:

واستناداً إلى ما سبق ذكره يمكن القول إن للمهادنة آثاراً إيجابية وأخرى سلبية، وقد تباينت آراء العلماء حول هذه الآثار قديماً وحديثاً، ومن ذلك ما يراه الإمام التسولي بأن المهادنة تعود بعواقب وخيمة على الأمة من ذل وخضوع، فالكفار أصبحوا يقطعون البحار ويدخلون على المسلمين ديارهم ويسوقونهم أمامهم كالجراد، وهذا الأمر راجع إلى عدم اشتغالهم بالجهاد وسكونهم إلى الراحة والتكسب من الزراعة والتجارة، وصار العدو يحتال عليهم بالصلح فتطمئن نفوسهم فإن تطبعوا على حب الدنيا وتفرق أمرهم سهلت السيطرة عليهم. وقد كثره بعض الفقهاء المهادنة حتى ولو يعطينا أهل الحرب مالا كل عام، كما ذكر ابن عرفة لأن هذا سيجعل أهل الثغور والجيش في راحة وبالتالي من الصعب أن يعودوا مجدداً للقتال، وهذه من أكبر مضار المهادنة. أما في حالة نزول النصارى بأرض المسلمين وقهرهم فمحال أن يكون لهم عهد فلا تطمعوا فيه ولا تحدثوا به أنفسهم. فمحال أن نرقب عهدهم ونطمئن

1 علي بدوي: المرجع السابق، ص 103.

2 Julien Turgan: Le Sénégal: sa colonisation par l'enseignement populaire, librairie Sandoz et Fischbacher, Paris, 1880, p 06.

3 بول مارتي: دراسات حول الإسلام، المرجع السابق، ص 259.

إليهم، هذا إن كانوا مغلوبين فكيف بهم غالبين؟ ويجوز الصلح والمهادنة إن كانوا مطلوبين في أراضيهم لان في هذه الحالة الغلبة والظفر للمسلمين<sup>1</sup>.

ومن زاوية أخرى هناك من يرى إن لمهادنة الاستعمار آثاراً إيجابية على رأسها شيوع الأمن في كثير من المناطق، وهذا ما دفع بالشناقطة إلى استغلال هذا الوضع من أجل نشر الإسلام في كثير من المناطق الوثنية في السنغال، غامبيا، غينيا وساحل العاج ومالي. هذا النشاط المتزايد أقلق الإدارة الاستعمارية وكنتيجة لهذا هاجرت مجموعة من الشناقطة إلى غرب افريقيا وانصهرت وامتزجت معهم وفي نفس الوقت هاجرت وفود من إفريقيا نحو بلاد شنقيط من أجل العلم والتفقه في الدين<sup>2</sup>.

### 3-تقييم مواقف المهادنة:

يُلاحظ من خلال القراءة الأولية لفتاوي أراء ومواقف الهدنة الوضع الحرج وصعوبة الموقف الذي وضعوا فيه، حيث يحس القارئ أنهم أفتوا مضطرين، فمثلاً يظهر جلياً أسلوب الاعتذار عند كل من قاضي صكتو ووزيرها في فتاويهما، فالقاضي يذكر في مقدمته: (...صونا للعوام من إساءة الظن بالمؤمنين، ولاسيما الجهال الذين لا يعلمون شيئاً والطلبة المقصرين عن تحصيل الدلائل من الكتب والمدونات لنا من النوازل الشرعية...) ونفس الامر في رسالة الوزير (... كتبتها إليهم ليعلموا أنني ما فعلت هذا الأمر الذي فعلته مع النصارى اتباعاً لهوى النفس، ولكن فعلته بإشارة من علمائنا إليه...)<sup>3</sup>.

وبالنسبة لموقف الكثير من الشيوخ من مهادنة الاستعمار أنها كانت بعد تروي وإمعان للنظر، فموقفهم كان موقف المضطر، فمثلاً في موريتانيا نجد أعلام المهادنة الشيخ سعد بوه والشيخ سيديا كانا متأكدين من وقوع الاحتلال ومن عزم فرنسا، ورأيهما لن يغير من الموقف، لذلك سارعا إلى حفظ بيضة الدين ومصالح الناس، فالأول مثلاً كان يرى أن تكون البلاد تحت الحماية خير من أن تكون تحت الاستعمار والثاني تأكد من نيات المستعمر من البداية ولهذا قرر أن يستفيد من العلاقة مع الحكام الجدد نظراً لاستمرار حالة النهب والسلب بين القبائل التي طالما بحث لها عن حلول ولم يجد<sup>4</sup>.

1 التسولي: المصدر السابق، ص ص 270-274.

2 مسعد حسين محمد، المرجع السابق، ص 93.

3 الأمين أبو منقة: موقف الخلافة السكتية، المرجع السابق، ص 125.

4 محمد عبد الله البوصادي: المصدر السابق، ص 35.

وعلى إثر موقفهما لقي الشيخان معارضة كبيرة تدرجت من الكلمة إلى الفعل، فقد عارضهم الكثير من الفقهاء في موريتانيا، وعلى حد رأي الخليل النحوي أن ما دفع الشيخ سيديا إلى هذا الموقف هو أن قبيلته خاضت حروبا كثيرة ضد قبائل الزوايا المجاورة وكانت الحروب تحوم بجواره من غير انقطاع، وقد وجد شدة من هذا مثلما وجدها والده وجدته سيديا الكبير من أجل الإصلاح وجمع شتات المسلمين ولم يفلحوا. أما اتهام الشيخين بعقد الاتفاقية مع الفرنسيين فلم يكن للشيخ سعد بوه ولا الشيخ سيديا علاقة بامضائها، بل كانا مجرد شاهدين لأن فرنسا كانت تعقد الاتفاقيات مع القبائل المحاربة لا مع قبائل الزوايا<sup>1</sup>. فقد كان الشيخ سيديا طوال مدة الاحتلال ساعياً فيما يراه مصلحة للمسلمين، ونزولا عند ضرورات الوضع الراهن، ولهذا رفض تقاضي أي راتب من الفرنسيين أو حمل وسام عرضه عليه حتى وفاته، وموقف الشيخ سيديا كان واضحا في رسائله وفتاويه المحفوظة، وقد ساندته العديد من علماء البلاد<sup>2</sup>.

يرى بعض المؤرخين أن أصحاب هذا الاتجاه الذين قبلوا مهادنة الاستعمار استندوا إلى أن هذا الرأي له دليل قوي، وهو إنه يكرس واقعا أفضل من السببية والفوضى التي كانت سائدة قبل التواجد الأوروبي في المنطقة<sup>3</sup>. بينما يرى البعض بأن فقهاء هذا الاتجاه حرصوا على مصالحهم الدنيوية بالدرجة الأولى، فقد آثروا السلام حتى لا تتضرر محاصيلهم الزراعية من جهة وحرصا على بعض المناصب والإعانات المالية التي كانوا يتحصلون عليها من فرنسا من جهة أخرى، وقد حرص أصحاب هذا الرأي في البحث عن الأدلة الشرعية التي تبيح لهم هذه المواقف وتريح ضمائرهم، ولقد تمادى أصحاب هذا الموقف خصوصا بعد الدعوة إلى طاعة السلطات الفرنسية مما أوهن قوة وعضد المقاومة وتسبب في النهاية إلى الصراع بين المجاهدين والموالين لفرنسا، وبالتالي فقد خدم أصحاب هذا الرأي السياسة الاستعمارية بطريقة مباشرة، من خلال ضرب السكان ببعضهم البعض<sup>4</sup>.

وخلاصة القول، وبناء على ما سبق يمكن القول:

- الهدنة شقيقة الجهاد فلا يمكن الحديث عن الجهاد دون ذكر للهدنة فهي إحدى فروع وفصوله.

1 الطالب أخيار بن مامين: المرجع السابق، ص 79-80.

2 سيديا بابا: المصدر السابق، ص 22.

3 محمدو محمدن أمين: المرجع السابق، ص 105.

4 علي بدوي: المرجع السابق، ص 104.

- اعتنى الفقهاء المالكية بمسألة الهدنة فصنفوا العديد من المؤلفات والرسائل حولها قديماً وحديثاً مما نتج عنه تراث حضاري متنوع.
- تباينت آراء الفقهاء حول التعامل مع الأوروبيين المتواجدين في غرب إفريقيا بصفة مؤقتة سواء كانوا تجاراً أو زواراً أو مستكشفين ما بين رافض لهم ومرحب بهم.
- ظلت منطقة غرب إفريقيا بعيدة ومغلقة لعدة قرون بل ومحرومة عن سكن الأوروبيين فكيف سيستسيغ أهلها تحكّم النصارى في أمورهم وسيطرتهم عليها.
- ذهب كثير من العلماء إلى قبول المهادنة انطلاقاً من عدة أدلة شرعية من الكتاب والسنة والاجماع، واستناداً إلى فتاوى سابقة في إطار المذهب المالكي، لكنهم ركزوا على الأدلة العقلية والتاريخية للاستشهاد حول مواقفهم.
- وضع الفقهاء المالكية أربعة شروط للمهادنة، لكنها لم تتوفر مع دخول الاستعمار للمنطقة، وهذا ما أدى إلى الخلاف الفقهي بين فقهاء المنطقة.
- اختلف الفقهاء المالكية في الأقطار الأخرى حول قضية مهادنة النصارى ما بين مجيز مؤيد وبين مانع معارض.
- تباينت مواقف الطرق الصوفية من المهادنة، ما بين الرفض والقبول، بل غلب على مواقف البعض الموالاة وليس مجرد المهادنة. وهذا نتيجة لسياسة المستعمر تجاه هذه الطرق.
- أحكام الدين لا تبني على المصلحة لأن المصلحة نسبية، وهذا ما أدى إلى تغيير في مواقف بعض الفقهاء.

# الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي وسمناها ب: (الفقهاء والاستعمار في غرب إفريقيا آراء الجهاد والمهادنة ما بين 1850-1960م) اتضحت لنا مجموعة من النتائج نجملها في النقاط التالية:

- شهدت أوضاع إفريقيا الغربية قبيل الاستعمار تبايناً قوياً وضعفاً تنظيمياً وفوضى، عرفت تطوراً في بعض المجالات وتأخراً في أخرى، ولم تكن كما صورها الأوروبيون حالة من الفوضى والضعف.

- ساد المذهب المالكي في غرب إفريقيا، وأسهم فقهاء المنطقة في إثرائه من خلال مؤلفاتهم التي شملت عدة مجالات، إلا أن تنوع الأزمنة والأمكنة ستجعلهم يختلفون حول العديد من الفتاوى والنوازل. وقد حظي الفقهاء بمكانة سامية في المجتمع حيث أسهموا في كل مجالات الحياة، فكانوا صفوة المجتمع والمؤثرين الذين يُرجع لهم في كل صغيرة وكبيرة، حتى في النواحي التي لم تعرف مدنية ولا تنظيمياً محكماً.

- الخلاف الفقهي حول قضية الاستعمار يمكن إجماله في عدة نقاط منها عدم تحديد مفهوم الاستعمار بدقة، وما يتعلق بدوافعه الظاهرة والخفية وطرق تغلغله في المنطقة، وأيضاً تعدد أشكاله وأساليبه، كل هذا مما وسع الهوة بين الفقهاء حول الاستعمار وجعل الآراء والمواقف منه متباينة.

- بعد تمكن الاستعمار من إحكام قبضته في غرب إفريقيا ستختلف سياسته من منطقة إلى أخرى، بهدف تحقيق مختلف الأغراض، مما سيؤثر حتماً على تباين الآراء حوله والمواقف منه.

- اهتم فقهاء السودان الغربي بقضية الجهاد والمهادنة والهجرة حيث صنفوا العديد من التأليف في هذه الخيارات الثلاث قبل وبعد بروز ظاهرة الاستعمار، مما شكل تراثاً ضخماً متنوعاً، الكثير منه لا يزال قيد الحزائن والمخطوطات يحتاج إلى إعادة الاعتبار وإلى دراسات أكاديمية.

- من خلال تتبع تاريخ إفريقيا الغربية نجد أنها عرفت سلسلة من الحركات الجهادية حتى قبل الاستعمار، حيث كانت الحروب مشتعلة على عدة جبهات ضد الوثنيين وضد التواجد الأوروبي، وحتى بين المسلمين. وهذا ما جعل الجهاد ضد الاستعمار حلقة مكملة لتلك السلسلة التي لم تتوقف ربما لحد الآن.

- مع دخول الاستعمار شكلت قضية ولاية الكافر على المؤمن أكبر هموم الفقهاء في غرب إفريقيا قبل التفكير في نهب الأرض وضياع الأموال والأولاد، فقد ظلت منطقة غرب إفريقيا بعيدة ومغلقة لعدة قرون بل ومحرومة عن سكن الأوروبيين، فكيف سيستسيغ أهلها تحكم النصارى في أمورهم وسيطرتهم

عليها، وقد كان فخرهم كما يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي أن أرض تمبكتو لم تدنس ولم يُسجد على أديمها قط لغير الله.

- تعرضت القوات الاستعمارية لمقاومة شديدة في غرب إفريقيا خصوصاً في المناطق الإسلامية، فكان تواجد المسلمين ورفعهم راية الجهاد أكبر عقبة واجهت المحتل.

- مما لا شك فيه أن الجهاد فرض كفاية وقد يتحول إلى فرض عين. وهذا الواجب اعترف به الشرع والقانون الدولي. وأدلة أصحاب هذا الرأي واضحة وهي قوية معظمها من القرآن والسنة النبوية الشريفة. فكيف يعقل في ظل عزة الإسلام أن نفتح للمستعمر الأبواب، ونفرش طريقه بالورود. أما المعارضون فرغم الأدلة التي اعتمدها لكن الأساس الذي قامت عليه مواقفهم هو درء المفسدة أولى من جلب المصلحة.

- ضعفت الكثير من الحركات الجهادية ولم تستطع الوقوف في وجه الاستعمار نظراً لطول مدة الحروب واستمرارها، وفتح عدة جبهات، فمن حروب الوثنيين دخلوا مباشرة في صراع مع المستعمرين بل في كثير من الأحيان كان القتال متزواجاً، وشمل الضعف العدة والعتاد. ولهذا توجه كثير من الفقهاء بالمقاومة السياسية والفكرية ونصرة الدين ضد الحملات التنصيرية التي كانت إحدى حلقات الحروب الصليبية، لا اعتقادهم أن الحرب مع المستعمر في أساسها حرب هوية.

- مع بداية القرن العشرين الميلادي سكنت معظم الحركات الجهادية في غرب إفريقيا كغيرها من مناطق العالم الإسلامي، لتبدأ مرحلة جديدة وهي مرحلة الحركات الوطنية والمقاومات السياسية والفكرية.

- يمكن القول في النهاية إن المواقف المختلفة من الخيارات الثلاثة كانت آراء فردية فلا يمكن تحديد جهة أو طريقة أو قبيلة اجتمعت على رأي الجهاد أو رأي آخر بكل أفرادها، فقد انقسمت القبائل وانقسمت الطرق الصوفية، كما انقسم الإخوة حول هذا الموضوع. لكن ما يمكن ذكره في هذا المقام هو ظهور المرجعيات والمدارس والتي غالباً ما كانت تتفق إلى حد بعيد.

- وصل الفقه في منطقة غرب إفريقيا إلى مرحلة عالية من النضج. ولهذا لم يحفل الفقهاء كثيراً بفتاوى المناطق المجاورة والمعاصرة لهم، وإنما استقوا أدلتهم من المصادر الأصلية النقلية مباشرة أو استناداً إلى أدلة عقلية.

- دعا الكثير من الفقهاء في غرب إفريقيا إلى الهجرة وقادوا جماعات من البشر نحو مناطق أخرى لم تستعمر، ونحو المشرق. وأفتوا بوجوب هجرة المسلمين من دار الكفر إلى دار الإسلام حفاظاً على دينه، لأنه أغلى ما يملكه. وقد شكلت فتوى الشيخ الونشريسي أهم مصدر للداعين إلى الهجرة، وهي التي تعرضت للكثير من الانتقادات قديماً وحديثاً.

- لم تكن ظروف الهجرة مواتية مع إحكام الأوروبيين قبضتهم على كل البلدان، وظروف السكان التي كانت صعبة للغاية، فالهجرة تتطلب شروطاً عدة، وتنجر عنها مخاطر عديدة مما جعل الكثير من الفقهاء يتراجعون عن رأيهم ومواقفهم ويعودون لبلدانهم وأراضيهم.

- احتلت قبائل الفلان المرتبة الأولى من حيث عدد المهاجرين تنفيذاً لدعوة الشيخ عثمان والفقهاء من بعده، مما جعلهم يؤثرون في النسيج الاجتماعي للسودان المصري نظراً لتلك الأعداد الهائلة التي استقرت هناك.

- الهدنة شقيقة الجهاد فلا يمكن الحديث عن الجهاد دون ذكر للهدنة فهي إحدى فروع وفصوله. وقد تبنى هذا الرأي كثير من العلماء انطلاقاً من عدة أدلة شرعية من الكتاب والسنة والاجماع، واستناداً إلى فتاوى سابقة في إطار المذهب المالكي حيث وضع الفقهاء المالكية أربعة شروط للمهادنة، لكنها لم تتوفر وهذا ما أدى إلى الخلاف الفقهي بين فقهاء المنطقة.

- وضع الفقهاء المالكية أربعة شروط للمهادنة، لكنها لم تتوفر مع دخول الاستعمار للمنطقة، وهذا ما أدى إلى الخلاف الفقهي بين فقهاء المنطقة. واختلف الفقهاء المالكية في الأقطار الأخرى حول قضية مهادنة النصارى ما بين مجيز مؤيد وبين مانع معارض.

- تحولت المهادنة في كثير من الأحيان إلى مولاة للاستعمار، وتجسدت في الحرب في صفوف الأوروبيين وتطوير اقتصادهم ورفع عملتهم بالإسهام في مؤسساتهم المالية.

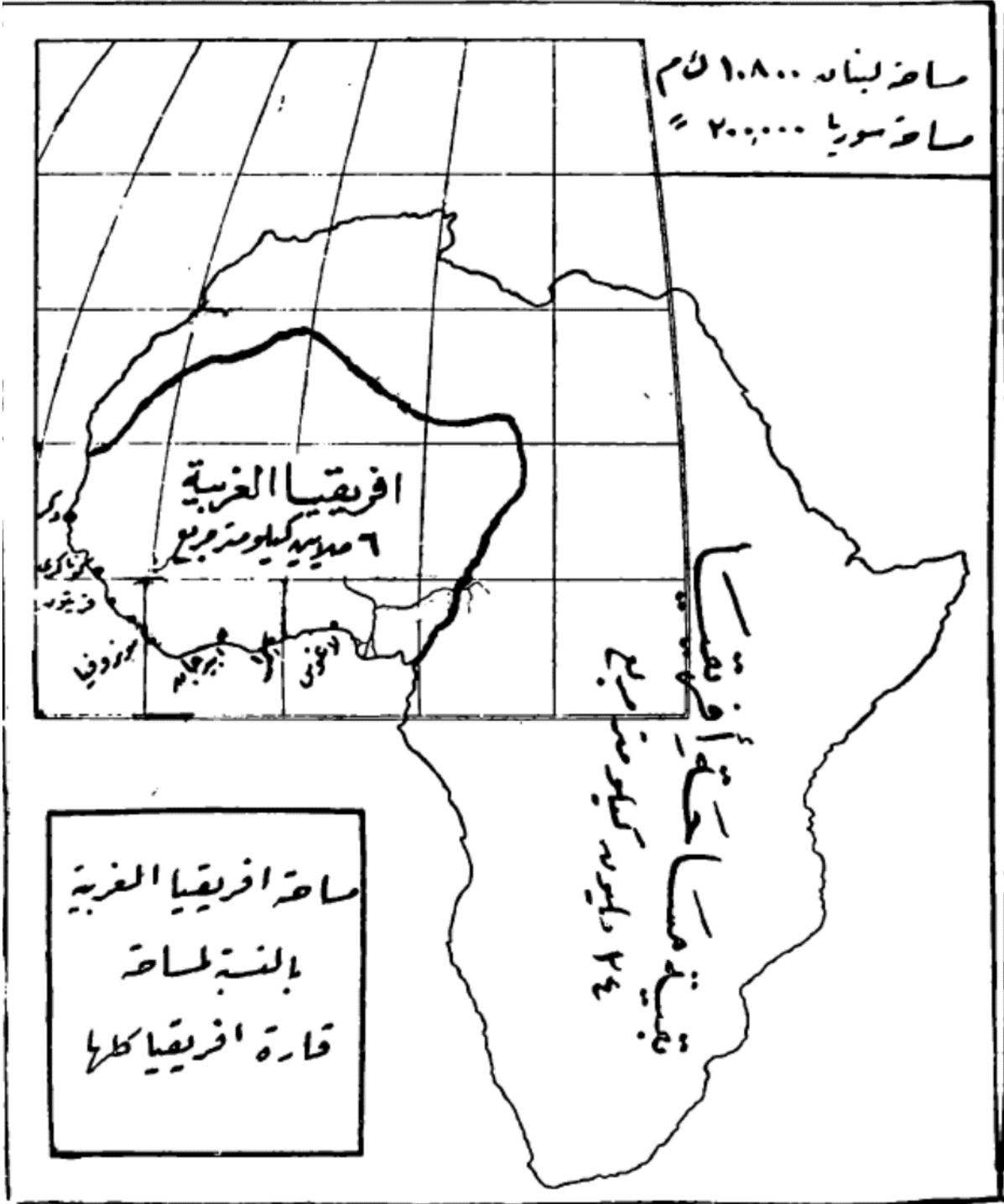
- عملت الإدارة الاستعمارية دراسة الطرق الصوفية من كل الجوانب مما سمح لها بضم بعض الطرق إلى صفها والاستفادة من خدماتها على كل المستويات.

- إن المواقف من الاستعمار تتشابه في مختلف الأقطار الإسلامية عموماً، فقد اختلف الفقهاء المالكية في الأقطار الأخرى حول القضايا الثلاث (الجهاد، الهجرة، المهادنة) ما بين مجيز مؤيد وبين مانع معارض. ولكل فريق أدلة شرعية وأخرى عقلية أو تاريخية للاستشهاد حول مواقفهم.

- أحكام الدين لا تبنى على المصلحة لأن المصلحة نسبية، وهذا ما أدى إلى تغيير في مواقف بعض الفقهاء. فينبغي للفقهاء عند طرح رأيه في قضية فيها خلاف، عليه أن يقول: أنا أرجح ولا يجزم ولا يتصلب، فكما رأينا كثيراً من الفقهاء عادوا عن مواقفهم كما يقال 180 درجة.

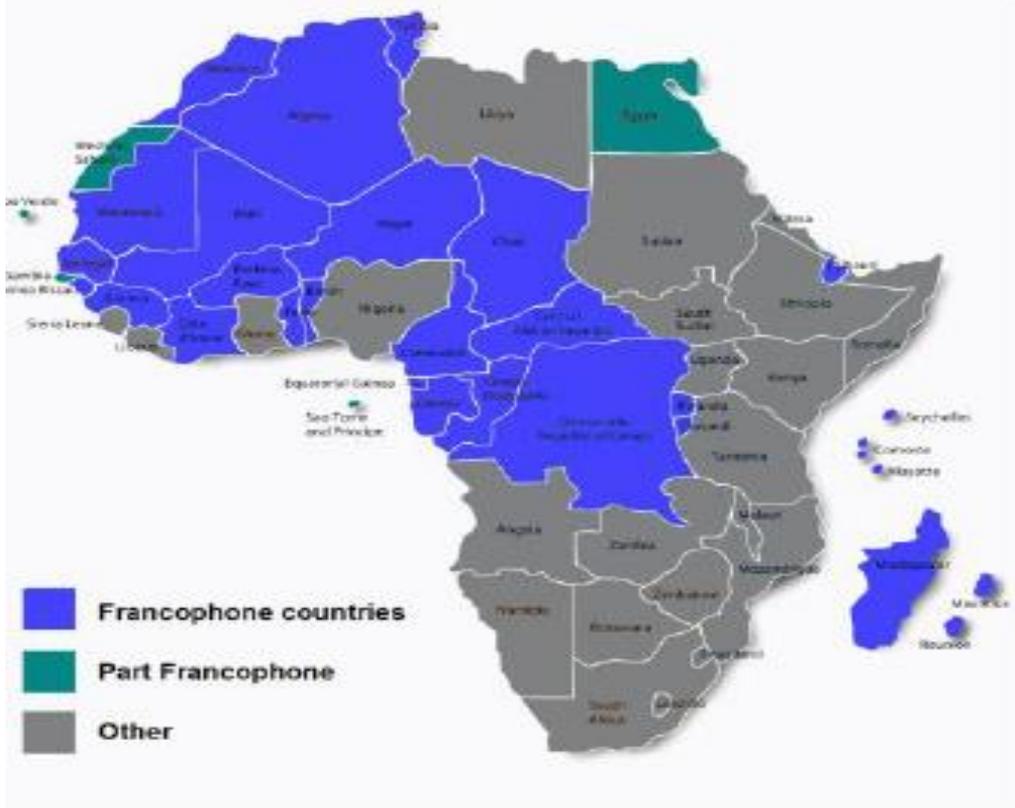
# الملاحق

الملحق 01: خريطة غرب إفريقيا



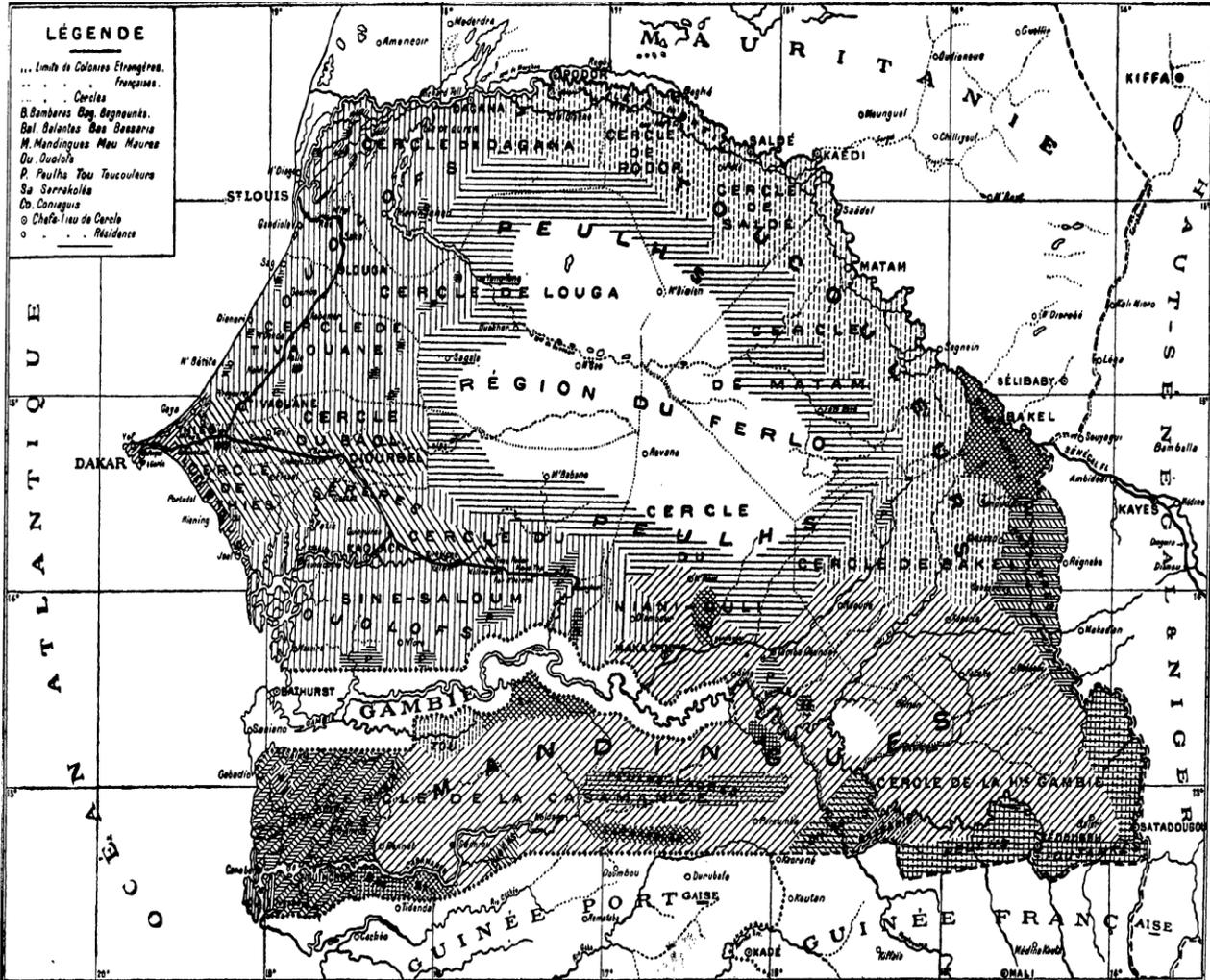
01: كمال مروة: المرجع السابق، ص 20

## الملحق 02: مستعمرات فرنسا في إفريقيا



02: يوسف محمد صبحي السنيطي: أزواد جذور الصراع، الفرقة الثانية دبلومة الدراسات السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، جامعة الإسكندرية، مصر، ص 01.

الملحق 03: خريطة إثنوغرافية للسنغال



03 : Paul Marty: L'Islam en Mauritanie et au Sénégal, Op.cit, p 404



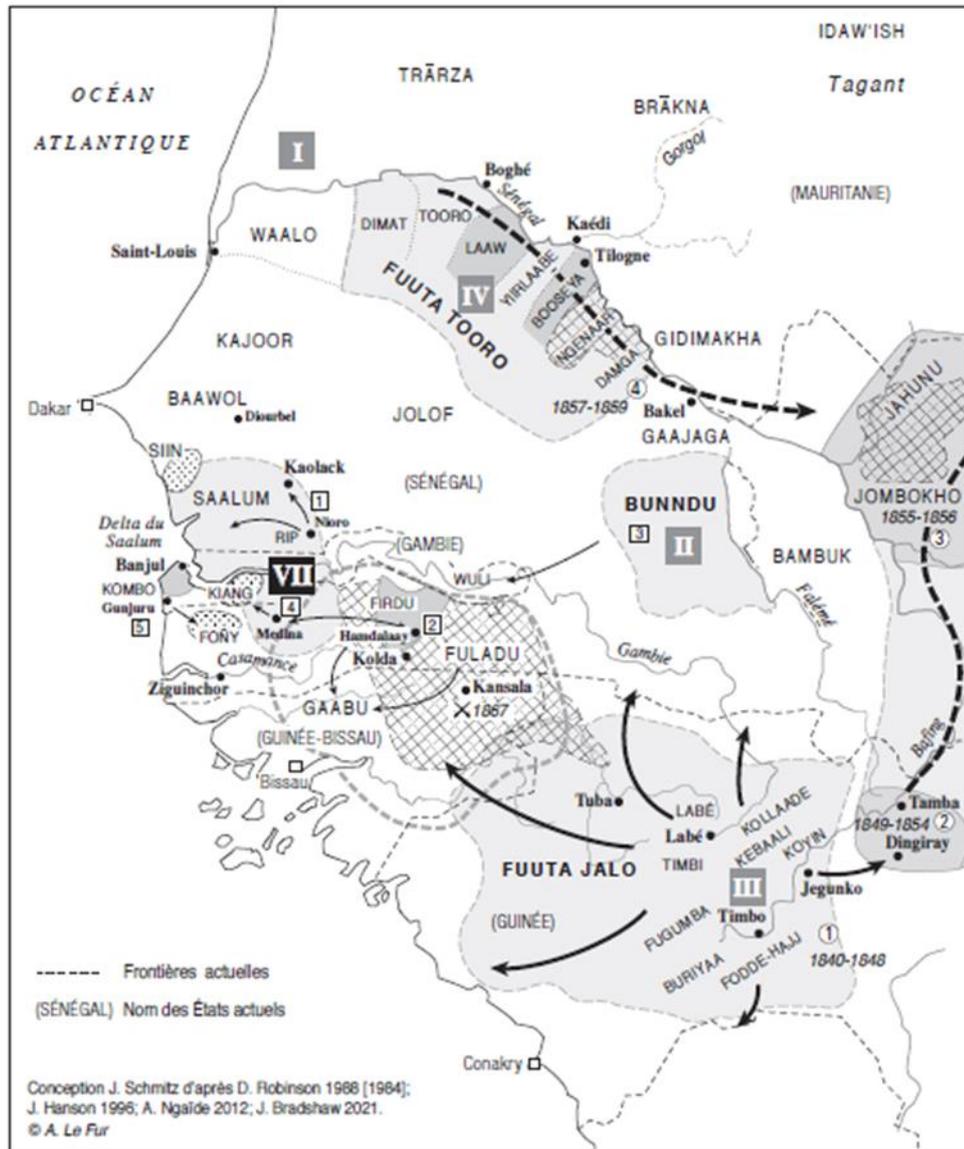
الملحق 05: الإمارات الشنقيطية.



05: Paul Marty : Les Tribus de la haute Mauritanie, comité de l'Afrique Français, Paris, 1915, p 09.



## الملحق 07: الحركات الجهادية في غرب إفريقيا خلال القرنين 18 و19م



07: Jean Schmitz : op.cit, p64.

الملحق 08: جدول عام للمقارنة بين المستعمرات في غرب إفريقيا سنة 1937م

## جدول عام للمقارنة بين 'مستعمرات

مساحتها وعدد سكانها وصادراتها وسككها الحديدية

طول سكك الحديد	قيمة الصادرات في سنة 1937	عدد السكان	المساحة ك.م.مربع	
1689	707 450 000 فرنك	1 800 000	201 375	السنغال
كิโลمتر	= 14 597 000	2 635 000	1 464 000	السودان
= 662	= 173 880 000	2 095 988	251 000	الغينه
= 807	= 325 070 000	3 859 451	469 038	شاطيء العاج
= 692	= 122 383 000	1 115 000	122 000	الداهومي
-	= 33 457 000	1 750 000	1 300 000	النيجر
-	= 1 666 000	320 000	835 000	الموريتانيا
-	501 238 ليرة انكليزي	200 000	10 700	غامبيا
310 ميل	= 2 376 965	1 768 479	80 400	سيراليون
500 ميل	= 12 636 899	2 108 289	203 600	شاطيء الذهب
= 1900	= 15 076 946	20 000 000	869 400	نيجيريا
-	389 20 000 اسكودس	420 000	36 630	الغينه البرتغالية
-	1 312 000 دولار	1 012 000	100 000	ليبيريا
				التوغو
	47 100 000 فرنكا	753 000	51 000	الفرنسي
				التوغو
69 ميلا	49 491 ليرة	349 000	34 000	الانكليزي

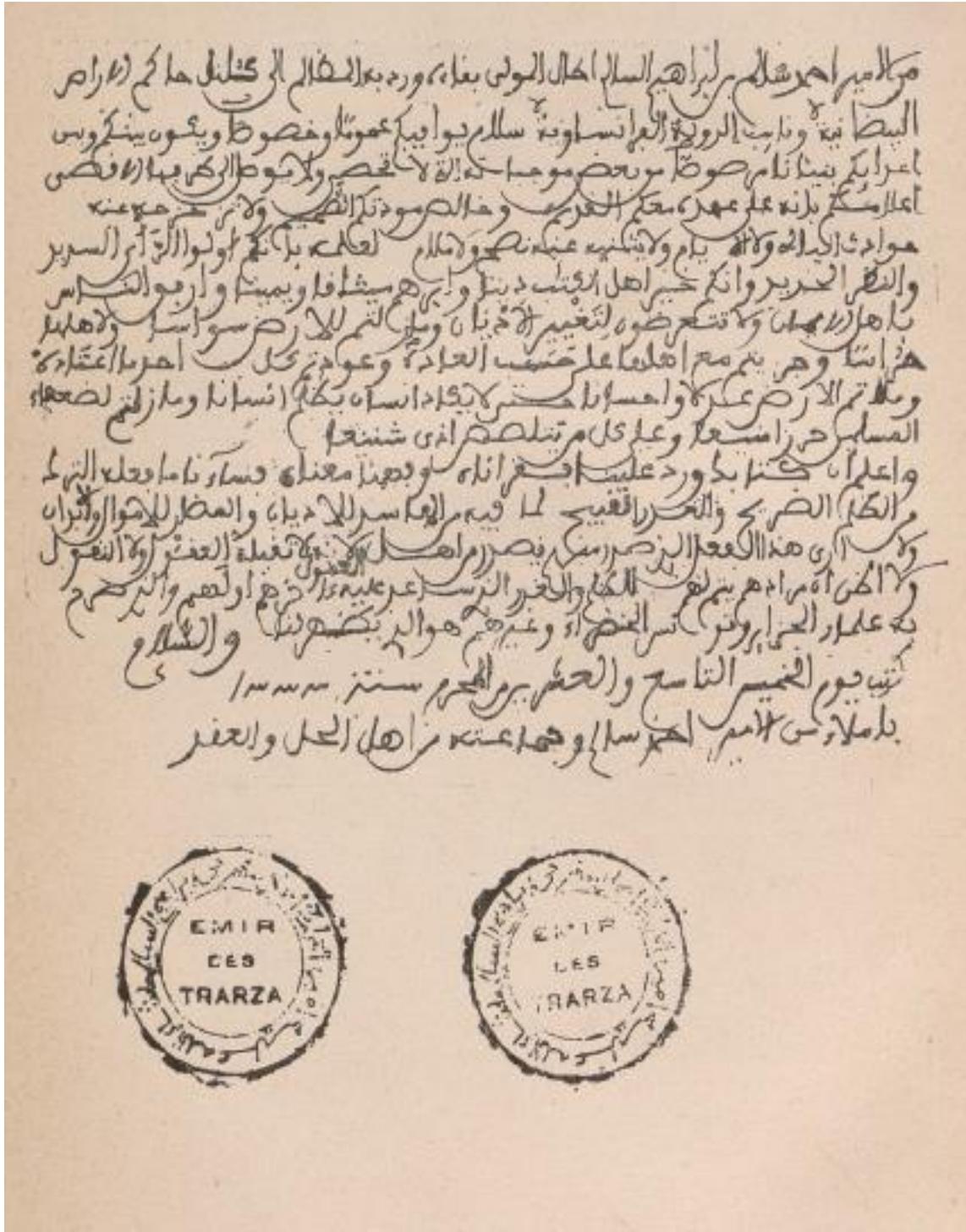
08: كمال مروة، المرجع السابق، ص 61.

## الملحق 09: رسالة من الشيخ سعد بوه إلى حاكم الترارة.

بمثلهم بمرت بنا اولئك السودان واعطيناهم من يدلمهم على الطريق  
وما يحتاجون اليه من القرب وغيرها بلما بلغوا الطويلة التفوا بغير  
عظيمة من اهل أدرار من الزوايا وقتلوا منهم ثمانية وابسدوا ما بي  
ايدبهم من المال بلما بلغ الخبر اهل أدر ارسلوا الي كتابا وارسلوا  
واحدا الى الشيخ سيدي بي ان نبذل الجهد بي استخلاص ابلا نشي  
ومن معه بركبت اليهم بي زمان شديد الحر بلما اتيتهم وجدت اهل  
أدرار اجمعوا انهم إما ان يقتلهم وآما ان يذهبوا بهم الى سلطان  
الغرب فقلت للمختار لا بدان يظلمهم بي يدي فان ذلك فيه الخير  
للمسلمين كلمهم وان دولة ابرنسة احاطت بافطار البلاد ولا سبيل الى  
ما يفيظها وليس الصواب الآ بي مصادقتهم وجبر خواطرمم باني  
جرتهم منذ ثلاثين سنة بما جربت بي عهدهم وصحبهم الا الصلاح  
بلما سمع الطلبة والعلماء بما قلت له قالوا له لا يجوز بي الشرع ان  
تظلمهم ومنهم من يقول هذا الرجل الذي جاء يتصر لهم لا ينبغي  
الا قتله وشنعوا له جدا بلما علمت ذلك قلت له ان يجمني مع هؤلاء  
العلماء حتى ايّن لهم غلطهم وخطاهم بعمل بمكنت بي مناقضتهم  
فريبا من شهر حتى بينت لهم بي كتبهم وشريعتهم انه لا يجوز قتلهم  
لا نهم دخلوا بامان وعهد بلايجوز القدر بي شرعنا هذا ان برضا

09: Ismael Hamet : Chroniques de la Mauritanie et Sénégalaise, Ernest Leroux,  
Paris, 1911, p 299.

الملحق 10: رسالة من الأمير أحمد سالم إلى نائب الدولة الفرنسية في موريتانيا.



10 : Paul Marty: L'Islam en Mauritanie et au Sénégal, Op.cit, p 08.

الملحق 11: رسالة تبرع للمجهود الحربي الفرنسي بتاريخ 1940/11/27.

أمر من روسيا وصلى على الأمير الكنتزاري كورزيين حاكم نزارا واطعم بياترا الملائم  
 بالتحية الجماعية للاجتماع الذي عقد في عيدنا حاكم البرابرة خطابه كورزيين جندنا الاربع بغير  
 من توشين سنة 1910 وانشاء مع دولنا للبرابرة سنة 1910 كغيرنا بالارباب من ضيق المعيشة  
 والجماعية التي احزننا روفة حكمة لنا اطباء اخواننا البرابرة وجمعنا  
 بفرح وحوارنا وجمعنا حوايزنا من صناديقنا وجمعنا حوايزنا من اوبير  
 وجمعنا من التوسيع من حالنا كما كنا ننتظر ان نعلم انهم في العلم  
 من نانا اننا في دولة لنا اعلنا في اوقاتنا فلنرنا من انهم في حياضنا  
 نطلب من حكام الدولتين ونطلب اليهم في وقتنا من انهم في حياضنا  
 في حياضنا في سنة 1910 مع كتيب نفوسنا اجابنا من انهم في حياضنا  
 الارولنة عوض

Ally k. 27 novembre 1940  
 [Signature]

11: غاستون دوفور، المرجع السابق، ص 211.

الملحق 12: رسالة الشيخ باب سيديا

55

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسبلح على عباده  
 الذين اصحى السرى يظهم ان تعلم العرنا وبيتنا (سراج)  
 من بيا تلتهم من الامور المهمة التي لا يتحضر ان تكون  
 من جروض البعلاية ولا سيما ان امرت الرواية به فغرام البس على  
 الله تعالى عليه وسلم زين ثابته رضي الله عنه ان تعلم خط  
 اليهود ونسائهم للمحاجرة الى دلهينز ورتما تكون  
 دعوا المحاجرة (سراج) الى تعلم العرنا وبيتنا لم يمتنع  
 فليشروا اولاد المتعلمون الغيب كمن البعض ان لا افلام ان يكون  
 كعبا يثروا الله تعالى يبارك فيهم ويجمعهم ويحسنهم ويعينهم  
 دامير وافر (سراج) صلى الله عليه وسلم زين ثابته  
 رضي الله تعالى عنه بنو كوزبة صحبة البخاري وبيتنا  
 وبه سن ابدى اوود والتمزي وغيرها وقال فيه الترمذي حسي  
 صحبة اسكرفنح الباروسا شروح البخاري عند قوله  
 باب تزجمت المحكمه وهلم يتجوز ترجمان واحدهم كتنا ب للاهتلام  
 والله تعالى اعلم كتبه بسري في صحبة بسري عن الله  
 فعلى لهم والله منير امير

كتبه لنفسه لهره بر السرخ بسري يوم الثلاثاء 16 ربيع الثاني  
 عام 1376هـ

12: باب سيدي: المصدر السابق، ص 55

الملحق 13: جواب الشيخ باب سيديا على سؤال كابولاني

سؤال هل ينبغي للمسلمين ان يحاربوا النصارى في ارضهم بعد ان غلبت عليهم في سنة 1800م  
 بل يساعروهم على اتباع الدين بذهب القضاة وما اشبهه له ومزامع علم المسلمين  
 انما افترت لهم على الجماعة كما فعل الحجة القبطية من اهل المغرب في ارض  
 الجزائر العلم والصلوة والسلاح على سائر اهل النصارى لظهورهم وحق الله وسائر ساداتنا  
 النبيين وجميع اصحاب الجوار ان الله يتعزى على المسلمين في هذه الحالة ان يهادنوا  
 النصارى ولا يقاتلوا فيها بل يجب لهم العافية منهم ولا يتخبروا انفسهم بالمجاذبة لهم  
 كما يشهدونه فواعز الشريعة ونصوصها قال الشيخ خليل في مختصره والامام المصنف  
 له لحة ان خلاع كمشك تقاد مسل وان يمال النصارى ولا يحرقونهم وان ياتوا بغير علم اربعة  
 شهر وان استنشق حيا فتمت قتلهم وان يزرع ورجبا الدواب وان يرحم وملازم ولوا اسلموا في  
 اسل وان اسلوا ان كان ذكر اقول له صلحة ان مستوية فيها وفي عدمها وان كانت  
 للهلجة فيها وقع تخمين وفي عدمها امتنعت كما في غير الاربعة والخمس فزله وان  
 حال الضوابط رجوع النسخة للمعصوم ومعناه وان لم يخلع شريكه واسر له في وقت  
 كان العساق بسبب اعكاز مال والمسلمين لم يجمعوا الا لحوقهم في حوزة ارضهم  
 المازري واليهاد في الامام العروبي اعكاز انما الامانة على مصلحة شرع اخذ الحية  
 ومنه انما اخرجت الفيل في المردنية شعور معاذ وسعد بن عباد في ان يبدل الله  
 للمسيح كسر قلب النصارى اذا كان ان تكون ارضهم اقل من الفيل فاما ان كان من  
 من المدينته وتعلو سمعنا المعنا وان كان رأيا فاما اقلوا من قبله العلية ثم لا يشهد  
 او من قبله وفرا عز فلا الله بالاسلح والاراي يسمون الله على الله عليه واخرهم على  
 الفيل ثم لا يبدل فلو لم يكن ارضهم اعطاء عند الضرورة جازي اما نشاور رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وقد نقلت عن كمال المازري من اصله في نظرنا ومناجيس ما يقدر  
 به كلام المصنف ابع من قوله ولا حرقوا وليس له احقر واجبا فلا يتابع قوله وقد بان  
 ما ترى يد على اربعة اشهر افعال حصول زيادة قوة للمسلمين او نحوها ومنه احييت  
 استنوت المصلحة في ذلك الموت وغيره ولا تجر ما فيه المصلحة ذاله غير الاربعة  
 ونحوه في الحرق وفي السوء انى قوله لا يجوز ان يهادنوا النصارى في ارضهم  
 ان يرجع المال اليهم ان المسلم صاروا كالا ساري في ارضهم كما يجوز في ارضهم  
 في ارضهم حال وقال الشيخ خليل ايضا في مختصره وللشافعي احداث كنيسته ان  
 يتبرك ولا يواد الكرم المنذوع والصلح في احداث ويبع على كنيسته او حاربوا اسلح  
 اما لم يمسوا على قوله لا يجوز اعكاز من احداث الكنيسته يجوز ان يهادنوا احقر


<http://dl.ub.uni-freiburg.de/omar/mfmau0656/0013>  
 © Orientalisches Seminar der Universität Freiburg
 

13: سعد بوه والشيخ سيديا: المصدر السابق، ص 13.

الملحق 14: جواب أحمد البكاي في شأن النصراني

فليس كلامي بوجه ذلك الكنايا معني السخري من راجع من الجواب  
 مع ان الكل عجم فابله نصيح. واعلم انه ما كنت اخرج ان  
 من ذلك لا يعكس اصحاب الجهاد والجهاد. وانه كما ينبغي  
 على مسلم ابدل وما على كافر انه لا يجوز خلق كافر من محاربا او غير  
 محاربا. دخل ارض المسلمين باعناهم وان خفي عليك اولم تعلمه  
 ولا ينبغي وما يجهله وفضلاء ارض من اراخي المحكمين من اسلام  
 حولها نحو مسيرته زمايام. عشره زمايام. وانا انا اليه  
 راجعون اما ان هذا النصراني لا يجهل هذا المصالح ولعله به  
 سار في ارض من اسلام غير بيا وعيد افتكلا على ان المسلمين  
 لا يعرفون فيه حرم ربه وكتابه ونبيه وله نحو عشرة  
 اعوام في بلاد المسلمين وكما اني ما انه لا يتجاوزها من كلمة  
 التواركا الجهال. التاركي لا يحكم من اسلام. او من كفرة  
 السودان. البخاري من من اسلام. ما كان بخاري من منكم  
 ولا يخنه باء مثلهم وقد عيبه العلم بالاحكام. وضع من  
 اهل اسلام لا يجهل فيهم نحر انهم معاهر مصالح او ذم  
 بل ياتوا على نفسه وما له ما عزا كان يخر ونظرو في  
 علمنا وعلم **واما فولد** بلغت انه جاء الذي يتناقبتك  
 وهو نحر انهم كافر يعني استنيزاين **مقا** واذا رجل يغير علم من اظلا  
 وكتبت **او** ما الى عالمه اربوخته هو وما له واربعين  
 التي بعد سجنه **ف** بلغته ايضا انه تزعم انه ذم الازولت  
 جازية. مرة ذلك لا يتنم على الخ **و** **ف** قول في جوابه ايها رما ميتر

14: جواب أحمد البكاي: المصدر السابق، و01.

الملحق 15: صفحة من كتاب صولة الكار وملجأ الفار

ترجم لي انه يجب تمثيل هذه المخاض الى نيوية ليقوم اليها  
 سليمان وهي امور اربعة اولها مخالفة الافار  
 وخذ في منظر اربعة اصناف على التبصير وهم الاباء  
 واولاد بناء واولاد حوان واولاد زواج تخذ في البقية بلطف  
 واحدة يتناول الكل وهو لوجع المشقة وثانيها  
 الصيل التي امسك الامور المكتسبة وثالثها الرتبة  
 في تحصيل الاموال بالتجارة ورابعها الرتبة في  
 المساكين ولا شك ان هذه الترتيبات يجب حسنها  
 لان الحكم لا يسبب الى العينة التي المخالفة التي اشتهرت  
 ثم انه يتوصل بتلك المخالفة التي ابقاء الاموال  
 المحاللة ثم انه يتوصل بالمخالفة التي انفسا بانه  
 الاموال التي هي غير حلاله وفي اخر الامر اتجد الرتبة  
 في البناء في الاموال والذوات والذوات التي نقيت اجزالي  
 فخذ في اهلها هذه الاشياء على هذه الترتيبات  
 ويبين بالآخرة ان رعاية الدير جمع من رعاية جملة  
 هذه الامور فيجب الاعراض عن مخالفة الاباء واولاد بناء  
 والاعتناء بوجوه الاموال والتجاراة والمسالك رعاية  
 لمصالح العبيد وخذ في انه ان كانت رعاية بغيره  
 المصالح النيوية عنكم اولى مما كانت له  
 وكامنة رسوله ومراعاة في سبيل الله

15: أمر بيه: صولة الكار وملجأ الفار، المصدر السابق، ظ 02.

الملحق 16: صورة للشيخ ساموري بعد أسره توري مع الكابتن غورو 1898م.



16: مباي غويي وأدو بواهن: المرجع السابق، ص 136.

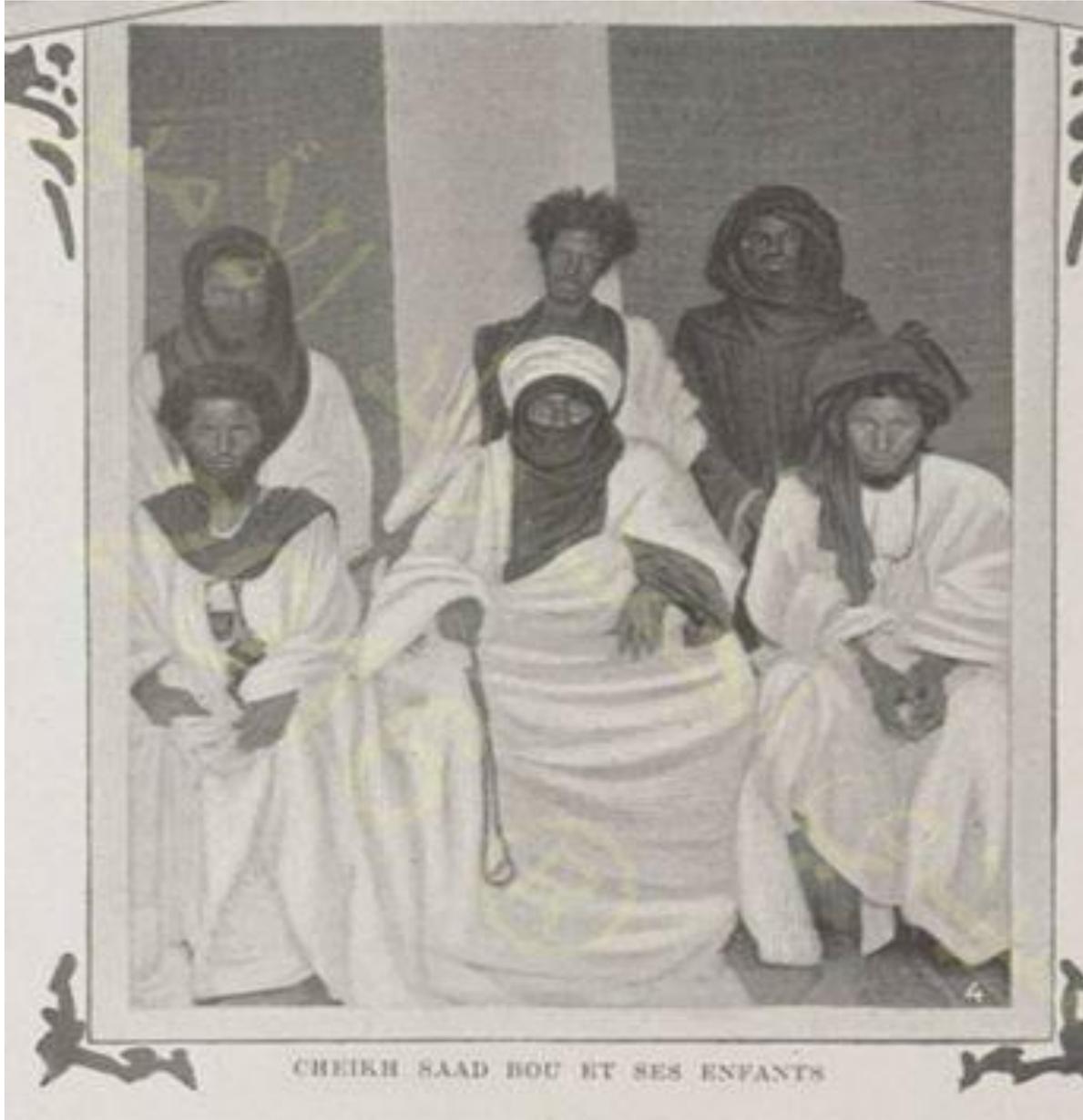
الملحق 17: صورة مولاي علي الزين قاتل كابولاني



Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

17 : gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

الملحق 18: صورة الشيخ سعد بوه مع ابنائه



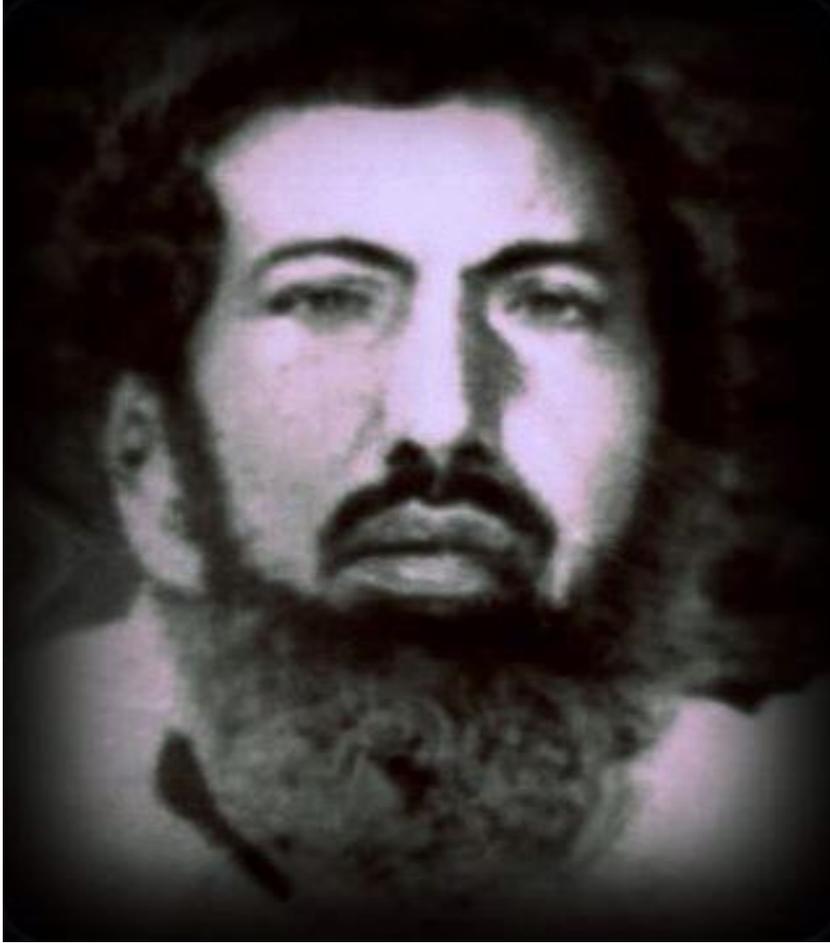
18: <https://nawafedh.com/?q=node/4313>

الملحق 19: صورة الشيخ ماء العينين القلتمي



19: <https://www.cheikh-maelainin.com/?personnalitie>

الملحق 20: صورة الشيخ باب بن سيديا



20 : <http://www.zahraa.mr/node/13591>

# المصادر والمراجع

## القرآن الكريم

- الآيات والسور القرآنية برواية ورش عن نافع

## المخطوطات:

1. البكاي أحمد: جواب أحمد البكاي بن محمد بن المختار إلى أحمد الأمير أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد الفلاني في شأن النصراني، مكتبة الكونغرس الأمريكي، Arab 6756.
2. سيدي باب بن الشيخ: فتاوي الشيخ سيدي باب ورسائله في شأن جهاد النصارى والهجرة عنهم، مكتبة أهل الشيخ سيديا، أبي تلميت موريتانيا، رقم 109.
3. سيدي باب وسعد بوه: وثائق ورسائل وفتاوي، حمد سالم بن باقاه، انبيكت، رقم 656، <http://dl.ub.uni-freiburg.de/omar/mfmau0656/0019>
4. الكنتي محمد بن المختار: الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد، Gallica.bnf.fr/ département des manuscrits. Arab6755.
5. ماء العينين أمر بيه: صولة الكار وملجأ الفار في تحريم الاقامة مع الكفار، مكتبة بن حمى الله التشيتي، موريتانيا، <https://www.cheikh-maelainin.com/?bibliotheque>
6. ماء العينين أمر بيه: لبانة المجاهدين وبغية الطالبين تذكرة لي وترغيبا للمؤمنين، مكتبة أهل الشيخ ماء العينين، رقم 408، ميكرو فيلم 4313، <http://dl.ub.uni-freiburg.de/omar/mfmau0408>

## المصادر بالعربية:

- (1) الإدريسي الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج 01، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.ن.
- (2) الأرواني محمد محمود: تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان، تحقيق: مبروك الدالي، دار الكتب الوطنية بنغازي، 2009.
- (3) الأرواني مولاي أحمد بايير: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تح: الهادي المبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، 2001.
- (4) إقبال أحمد الشرقاوي: معجم المعاجم، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1993.
- (5) البخاري جنيد بن محمد: التحفة السننية في التعريف بصكتو البهية، تحقيق: آدم بللو، نيجيريا.

- (6) بلو محمد: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مختارات من مؤلفات أمير المؤمنين محمد بلو، م 01، دار اقرأ للطباعة والنشر، نيجيريا، 2013.
- (7) التجاني محمد الحافظ: الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية في غرب إفريقيا شيء من جهاده وتاريخ حياته، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1995.
- (8) التسولي: أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، تح: عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.
- (9) التنبكي أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج 02، تح، محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000.
- (10) التنبكي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتاب، طرابلس، ط 02، 2000.
- (11) ابن حجر احمد بن علي العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ج 10، المكتبة السلفية، المملكة العربية السعودية.
- (12) ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، ج 06، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001.
- (13) أبو داوود: سنن أبي داوود، تع: شعيب الارناؤوط ومحمد كامل قره، ج 04، دار الرسالة العالمية دمشق، 2010.
- (14) ديوا فليكس: تمبكت العجيبة، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2003.
- (15) السوسي محمد المختار: المعسول، ج 04، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء المغرب، 1961.
- (16) سيديا الكبير: رسائل الشيخ سيديه الكبير إلى الكيانات السياسية والمجموعات القبلية، تحقيق: محمد المختار ولد السعد، دار الاسراء للطباعة والنشر، 2020.
- (17) سيديا بابا: رسالة في اخبار البلاد البيضاوية الصحراوية والمغربية، تحقيق: عبد الله سليمان الشيخ سيديا، المؤلف، 2014.
- (18) السيوطي جلال الدين: جامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير، ج 02 دار الفكر، بيروت، د.ت.ن.

- (19) الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مج 01، دار عالم الفوائد، المملكة العربية السعودية، د.ت.ن.
- (20) الطرطوشي محمد بن الوليد: سراج الملوك، المطبعة الوطنية، الإسكندرية، 2018.
- (21) ابن عرفة محمد: المختصر الفقهي لابن عرفة، تح: حافظ عبد الرحمن محمد خير، ج 03، خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، الامارات العربية المتحدة، 2014.
- (22) ابن الغزال أحمد: نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد (رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس)، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- (23) ابن فودي عثمان: بيان وجوب الهجرة على العباد ونصب الامام وإقامة الجهاد، تح: يوسف برنن تد، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، م 03، دار اقرأ للطباعة والنشر، نيجيريا، 2013.
- (24) الفيروز مجد الدين محمد بن يعقوب أبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005، ص 1250.
- (25) كاروبروخا خوليو: دراسات صحراوية، تر: أحمد صابر، مؤسسة الشيخ مرييه ربه، موريتانيا، 2019.
- (26) الكتاني محمد بن جعفر بن ادريس: سلوة الانفاس ومحاذة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح شريف محمد حمزة.
- (27) كمرا موسى: أكثر الراغبين في الجهاد بعد النبيين من يختار الظهور وملك البلاد ولايبالي بمن هلك في جهاده من العباد، تحقيق: أحمد الشكري وخديم أمباكي، معهد الدراسات الافريقية، المغرب، 2003.
- (28) كمرا موسى: تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، تح: حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.
- (29) مارتى بول: البرابيش (بنو حسان)، تر: محمد محمود ولد ودادي، د.م.ن، دمشق، 1985.
- (30) مارتى بول: القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تع: محمد محمود ودادي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2001.

- (31) ماري بول: دراسات حول الإسلام في موريتانيا، تر: البكاي ولد عبد المالك، طرابلس، 2009.
- (32) ماري بول: كنته الشرقيون، تر: محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق.
- (33) المامي محمد ابن البخاري: البادية، زاوية الشيخ محمد المامي، انواذيبو موريتانيا، 2006.
- (34) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب المحيط، ج2، دار المعارف، مصر، 2008.
- (35) الناصري أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى، ج 09، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.
- (36) النووي محيي الدين يحيى بن شرف: رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين، دار ابن الجوزي، المملكة السعودية، 2001.
- (37) الوزان الحسن: وصف إفريقيا، ج 01، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م
- (38) الولاقي محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: عبد الودود ولد عبد الله وأحمد جمال ولد الحسن، دار نجيبويه، مصر، 2010.
- (39) الونشريسي أبو العباس أحمد: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1996.

#### المراجع بالعربية:

- (1) أخيار الطالب بن الشيخ مامين: الشيخ ماء العينين علماء وامراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، ج 02، ط 02، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2011.
- (2) الأزمي أحمد: الاشعاع الصوفي المغربي في افريقيا جنوب الصحراء، مطبعة انفو برانت، فاس، 2013.
- (3) أسبر أمين: إفريقيا سياسيا اقتصاديا واجتماعياً، دار دمشق، سوريا، 1985.
- (4) الألوري آدم عبد الله: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2013.

- 5) امباكي خديم: الطرق الصوفية في السنغال: بنياتها الاجتماعية وادوارها السياسية، تقارير الجزيرة، 05 أوت 2018.
- 6) انجاي عثمان: السيرة الذاتية للشيخ الحاج مالك سي، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011.
- 7) انجاي محمد غالاي: المريدية ومؤسسها: نبذة تاريخية، دراسات حول المريدية، روض الرياحين، السنغال، 2010.
- 8) انجاي محمد غالاي: الشيخ أحمد بامبا سبيل الإسلام، نادي الوعي المريدي، بلجيكا، 2011.
- 9) أوليفر رولاند وجون فيج: تاريخ أفريقيا، تر: عقيلة رمضان، دار الكتب المصرية، مصر، 2021.
- 10) باري عثمان برايما: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة، مصر، 2000.
- 11) باري محمد فاضل علي، سعيد إبراهيم كبردية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007.
- 12) بازينة عبد الله سالم محمد: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2010.
- 13) بانينكار ك. مادهو: الوثنية والإسلام تاريخ الامبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا، ترجمة: أحمد فؤاد بليغ، المجلس الإعلامي للثقافة، مصر، ط2، 1998.
- 14) البركاتي أبو عاصم: الولاء والبراء في الإسلام، دار الدعوة الإسلامية، مصر، 2012.
- 15) البركاتي أبو عاصم: الولاء والبراء في الإسلام، دار الدعوة الإسلامية، مصر، 2012.
- 16) البرني محمد جوف بن تفسير باب: أعلام الهدى بغرب إفريقيا، السنغال، د.م.ن، 1999.
- 17) بن الحسين الشيخ الطيب بن عمر: السلفية وأعلامها في موريتانيا، دار ابن حزم، بيروت، 1995.
- 18) بن حامد المختار: حوادث السنين أربعة قرون من تاريخ موريتانيا وجوارها، تح: سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب للتراث، أبو ظبي، 2011.
- 19) بن درع عبود بن علي: الإذن في الجهاد صورته وأحكامه، د.م.ن، د.ت.ن.

- (20) بن روان ياسين: تاريخ التسامح في الصحراء دراسة لفتوى الشيخ سيدي أحمد البكاي الصغير في شأن النصراني، مركز بلعربي العلوي للدراسات التاريخية، المملكة المغربية، 2019.
- (21) بوزيد الأجدد: مدخل لدراسة المصادر التاريخية العربية الإفريقية حول إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين 16 و19م، المؤلف، تونس، 2020.
- (22) بومركو أحمد، ماء العينين النعمة علي: ملامح من جهاد المخزن والقبائل الصحراوية ضد الاحتلال الأجنبي نموذج الشيخ ماء العينين، الصحراء والسوس من خلال الوثائق والمخطوطات، تنسيق: عمر أفا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001.
- (23) البوصادي محمد عبد الله بن زيدان بن عالي: تحريم نهب أموال المعاهدين للنصارى، تح: حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013.
- (24) بوغروس أحمد: الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء ابان القرن 13 هـ -19م، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- (25) بوغرفة عبد القادر: جهاد شعبي أم مقاومة قراءة في المرجعيات الفكرية لحركة الجهاد في الخطاب الصوفي، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- (26) التجاني أحمد الهادي: تحرير الاقوال في تاريخ السنغال، ج 02، دار المقطم للنشر والتوزيع، مصر، 2009.
- (27) الجامي محمد أمان بن علي: الإسلام في إفريقيا عبر التاريخ، مطابع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.
- (28) جعفري مبارك: الأزواد خلال القرن 13هـ/19م دراسة تاريخية اجتماعية اقتصادية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2021.
- (29) الجمل شوقي عطا لله، عبد الرزاق عبد الله إبراهيم: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط 2، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، 2002.
- (30) جميل الملاح بشار أكرم: تاريخ الإسلام في إفريقيا، دار الفكر، المملكة الأردنية الهاشمية، 2014.
- (31) جودت ثريا: كشف الصحراء، كشف إفريقيا، تقديم: زاهر رياض، دار المعرفة، العراق، 1961.

- (32) الجيدي عمر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، الهلال المغربية للطباعة والنشر، المغرب، 1993.
- (33) حسين مسعد محمد: وقفات على بلاد شنقيط، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر، ط02، 2019.
- (34) الحلواني سعد بدير: التاريخ الافريقي الحديث، دار الكتب المصرية، مصر، 1999.
- (35) حمدان جمال: استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق لبنان، 1983.
- (36) الحمدي أحمد: الريادة العلمية والمشيخة الصوفية بأزواد، دار قوافل، موريتانيا، 2017.
- (37) حوته محمد الصالح: ال كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين 12 و13هـ، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008.
- (38) خليفة حامد محمد: يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الاندلس من الصليبيين، دار القلم والدار الشامية، دمشق بيروت، 2003.
- (39) دالميدا هيلين: افريقيا في القرن العشرين، ترجمة، صباح ممدوح كعدان، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، 2013.
- (40) الدالي مبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من القرن 15 إلى بداية القرن 18م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999.
- (41) دهينة نصيرة: مدخل إلى فقه النوازل، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، 28 وزارة الشؤون الدينية والوقف، عين الدفلى، الجزائر-29 أبريل 2010.
- (42) دوفور غاستون: تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق 17-1920، تر: محمد المختار ولد محمد، مكتبة القرنين 21/15، موريتانيا، 2012.
- (43) ديشان هوبير: الديانات في افريقيا السوداء، ترجمة: أحمد صادق حمدي، المركز القومي للترجمة، مصر، 2011.
- (44) ذهني إلهام محمد علي: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988.

- (45) رزق الله مهدي: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وأثاره الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، 1998.
- (46) رفيق عبد الكريم: "الطريقة القادرية الكنتية ودورها في تمتين العلاقات المغربية الإفريقية"، الصحراء في العلاقات المغربية الإفريقية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.
- (47) روكر يوسف: إفريقيا السوداء سياسة وحضارة، المؤسسة الجامعية للدراسات، مصر، 1986.
- (48) رياض زاهر: استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1965.
- (49) زبادية عبد القادر: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- (50) زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الاسقيين 1493-1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- (51) الزركلي خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين، ط 15 ج 01، دار العلم للملايين، لبنان، 2002.
- (52) زكي عبد الرحمن: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، ج 2، مطبعة يوسف.
- (53) ساقليف ي.، ج. فاسلييف: موجز تاريخ إفريقيا، تع: أمين الشريف، دار الطباعة الحديثة، مصر، د.ت.ن.
- (54) السحيمي عبد السلام بن سالم بن رجاء: الجهاد في الإسلام مفهومه ضوابطه وأنواعه، وأهدافه، دار النصيحة، المملكة العربية السعودية، 2008.
- (55) السنيطي يوسف محمد صبحي: أزواد جذور الصراع، الفرقة الثانية دبلومة الدراسات السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، جامعة الإسكندرية، مصر، ص 01.
- (56) سعودي محمد عبد الغني: إقليم غربي إفريقيا، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مج 12، الإدارة العامة للثقافة والنشر لجامعة الامام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1999.
- (57) سيلا عبد القادر محمد: المسلمون في السنغال معالم الحاضر وأفاق المستقبل، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، 1406هـ/1986.
- (58) شبيها حمداتي ماء العينين: "قبسات من حياة الشيخ ماء العينين"، الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، تقديم: اليزيد الراضي، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001

- (59) شبيها حمداتي ماء العينين: قبائل الصحراء المغربية أصولها جهادها ثقافتها، المطبعة الملكية، الرباط، 1998.
- (60) شرف عبد العزيز طريح: الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر، 1993، ص 188.
- (61) الشرقاوي حمدي حافظ، محمود: إفريقيا في طريق الحرية، دار القاهرة للطباعة، مصر، دون تاريخ.
- (62) شقرون محمد: الإسلام الأسود، دار الطليعة للطباعة والنشر ورابطة العقلايين العرب، بيروت، 2007.
- (63) شلي أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ط 5، دار العلوم، القاهرة، 1990.
- (64) الصومالي أبو سلمان: استيفاء الاقوال في المأخوذ من أهل الحرب تلصصا من الانفس والأموال، 2015.
- (65) ضيف بن أبي بكر بشير بن البشير: مصادر الفقه المالكي أصولا وفروعا في المشرق والمغرب قديما وحديثا، دار ابن حزم، لبنان، 2008.
- (66) عبد الرحمن عواطف: كشف النيجر، كشف إفريقيا، تقديم: زاهر رياض، دار المعرفة، العراق، 1961.
- (67) عبد الرزاق عبد الله إبراهيم وشوقي عطا الله الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الإسكندرية، مصر 1998.
- (68) عبد الرزاق عبد الله إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جويلية 1989.
- (69) عبد الرسول كوثر: إفريقيا دراسة لمقومات القارة، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، مصر، 2012 لصحراء.
- (70) عبد الماجد عبد الله إبراهيم: الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية، دار الحاوي، لبنان، 1998.
- (71) عبده بدوي: شخصيات إفريقية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، د.ت.ن.

- (72) العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982.
- (73) العقاد أنور عبد الغني: الوجيز في إقليمية القارة الأفريقية، دار المريخ، الرياض، 1982.
- (74) العلمي محمد: الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، د.ت.ن.
- (75) عنان محمد عبد الله: نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط 03، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1966.
- (76) عيسى عبد الله: الطريقة التجانية وادوارها السياسية في افريقيا الغربية خلال القرن 19م، مركز مقديشو للدراسات والبحوث.
- (77) عيسى عبد الله: مجمل تاريخ السنغال من القرن 11 إلى نهاية القرن 19م، مركز الكتاب للبحوث والدراسات، 2020.
- (78) غويي مباي وأدو بواهن: المبادرات والمقاومة الافريقية في غرب افريقيا، تاريخ افريقيا العام، ج 07، اليونسكو، لبنان 1990.
- (79) غي المرتضى بن موسى: المد الرافضي في السنغال، مكتبة الملك فهد، المملكة العربية السعودية 1441هـ/2019.
- (80) الفلاقي الطيب عبد الرحيم محمد: الفلانة في أفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية في السودان، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994.
- (81) الفلاني عمر محمد صالح: الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، السنغال، 2007.
- (82) فيج جي دي: تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد يوسف نصر، دار المعارف، مصر، 1982.
- (83) قدرماري بابكر حسن: دولة نيجيريا، فال للإعلان والطباعة، الخرطوم، 1986.
- (84) القشاط محمد سعيد: أعلام من الصحراء، دار الملتقى للطباعة والنشر، لبنان، 1997.
- (85) القشاط محمد سعيد: عرب الصحراء الكبرى التوارق، مركز دراسات وابحاث شؤون الصحراء ط02، 1989.
- (86) قشتيليو محمد: حياة الموريسكوس الاخيرة باسبانيا ودورهم خارجها، مطابع الشويخ، تطوان المغرب، 2001.

- (87) كاني أحمد محمد: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، 1887.
- (88) لي تال مريم: "ماسينا وامبراطورية التوردبه (تكرور) حتى عام 1878"، تاريخ إفريقيا العام، م 6، اليونسكو، 1996.
- (89) ماء العينين مريه ربه: فرع الطريقة الفاضلية في كازامانس، الصحراء في العلاقات المغربية الافريقية، دار ابي رفاق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.
- (90) ماء العينين النعمة علي، أحمد بومزكو: "قراءة في كتاب (هداية من حارا في أمر النصارى) للشيخ ماء العينين"، الشيخ ماء العينين فكر وجهاد، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000.
- (91) ماكيفيدي كولين: أطلس التاريخ الافريقي، تر: مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987.
- (92) محمد عوض محمد: الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، ط4، دار المعارف، مصر، 1957.
- (93) المحيشي عبد القادر مصطفى، عبد العباس فضيخ الغريري، سعدية الصالحي: جغرافية القارة الافريقية وجزرها، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، 2000.
- (94) مخلص محمد رماح عبد السلام، إبراهيم جابر السيد: تاريخ شعوب القارة الافريقية، دار العلم والايمان، مصر، دار الجديد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020.
- (95) مروة كامل: نحن في إفريقيا الهجرة اللبنانية السورية إلى إفريقيا الغربية ماضيها، حاضرها ومستقبلها، المكشوف، لبنان، 1938.
- (96) مفتاح عبد الباقي: أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوليد للنشر، الجزائر، 1988.
- (97) أبو منقة الأمين: "موقف الخلافة السكتية من الاستعمار البريطاني النصراني، الإسلام في إفريقيا، دار الفكر المعاصر، لبنان، 2001.
- (98) موسي فيصل محمد: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الجامعة المفتوحة، بنغازي ليبيا، 1997.
- (99) مولاي محمد بن سيدي محمد: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الامام مالك، موريتانيا، 2008.

- 100) ميغا عبد الرحمن محمد: الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2011.
- 101) ميغا عبد الرحمن محمد: الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13 هجري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2011.
- 102) النحوي الخليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.
- 103) شرقي محمد مبارك: الأوضاع العامة في بلاد البيضان خلال القرن 19م من خلال كتابة البادية للشيوخ المامي ولد البخاري، الصحراء في العلاقات المغربية، دار ابي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.
- 104) هانويك جان: العلاقات الفكرية بين المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء عبر العصور، تر: أحمد الشكري ويحي أبو الفراح، معهد الدراسات الإفريقية، المغرب 2015.
- 105) هلال عمر: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988.
- 106) الهنتاتي نجم الدين: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، تبر الزمان، تونس، 2004.
- 107) ولد الأمير سيدي احمد: المجال الموريتاني... مقالات في التاريخ والثقافة، د.د.ن، قطر، 2015.
- 108) ولد البراء يحيى: المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء، المجلد السابع، الشريف مولاي الحسن بن المختار بن الحسن، موريتانيا، 2009.
- 109) ولد السالم حماد الله: تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007.
- 110) ولد السالم حماد الله: جمهورية الرمال حول أزمة الدولة الوطنية في موريتانيا، دار الكتب العلمية، لبنان، 2014.
- 111) ولد السالم حماد الله: حجاج ومهاجرون علماء بلاد شنقيط (موريتانيا) في البلاد العربية والتركية من القرن التاسع إلى القرن 14هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.

- (112) ولد السعد أحمد: المساجلات الكلامية في بلاد شنقيط خلال القرن الثالث عشر الهجري، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المغرب، 2015.
- (113) ولد السعد محمد المختار: الامارات والنظام الاميري الموريتاني، المؤلف، موريتانيا، 2007.
- (114) ولد السعد محمد المختار: إمارة الترازة وعلاقتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703 إلى 1860م، معهد الدراسات الافريقية، المغرب، 2002.
- (115) ولد الشيخ عبد الودود: القبيلة والدولة في افريقيا، تر: محمد بابا ولد أشفع، مركز العربية للدراسات، قطر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2013.
- (116) ولد المصطفى محمد عبد الله: من أبرز علماء شنقيط، إدارة الثقافة والفنون، موريتانيا، 2013.
- (117) ولد بيه محمد المحجوب: موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، نواكشوط، 2016.
- (118) ولد سيد أحمد يحيى: ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكنتية، ج 01، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
- (119) ولد سيدي عبد الله الشيخ: نقد الشعر الفصيح عند الشناقطة 1700-1960، اتحاد الادباء والكتاب الموريتانيين، موريتانيا، 2013.
- (120) ولد صدفن محمد الراضي: الاستعمار واثاره في موريتانيا خلال الفترة الاستعمارية، مجلة دراسات، العدد الثاني، ديسمبر 2012.
- (121) يحيى جلال: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.
- (122) اليوي لحسن: الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1998.
- (123) يوسف محمد خير رمضان: المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي، دار ابن حزم، ط 02، لبنان، 2000.

المجلات والدوريات:

- 1) أبو سليمان: "نانا أسماء بنت عثمان بن فودي وإبداعاتها الفنية"، مجلة وميض الفكر، إتحاد الجامعات العربية، لبنان، ع 10، 2021.
- 2) أبو كروق الناصر عبد الله: "مقومات الثقافة السنغالية دراسة تطبيقية الإسلام والاستعمار"، دراسات إفريقية، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، ع 25، 2001.
- 3) أبو منقة الأمين: "الأسس الفقهية لهجرة أمير المؤمنين الطاهر الأول من سوكتو"، دراسات إفريقية، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، ع 05، أكتوبر 1989.
- 4) أبيكن موسى عبد السلام مصطفى: "الغزو الفكري الاستعماري على التراث العربي الإسلامي في غرب إفريقيا"، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، ع 21، 2014.
- 5) عباد أحمد: "موقف الاستعمار الفرنسي من المدارس القرآنية وشيوخ الصوفية في غرب إفريقيا"، الحوار المتوسطي، جامعة لجيلالي ليايس، الجزائر، مج 10، مارس 2019.
- 6) الأرو عبد الرزاق عبد المجيد: "التنصير في إفريقيا"، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ع 227، 2008.
- 7) الأزمي أحمد: "موقف الشيخ موسى كمر من جهاد الشيخ عمر الفوتي التجاني بالسودان الغربي"، مجلة قوت القلوب، الرابطة المحمدية للعلماء، دار الأمان للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، ع 07-08، 2013.
- 8) الأشو صالح محمد جمعة: "التعليم العربي في نيجيريا بين مؤامرات التدمير ومجهودات التعمير"، المعرفة، جامعة الإسلام سلطان شريف علي، بروناي، مج 16، نوفمبر 2019.
- 9) ان باريك محمد الأمين: "العالم المتصوف الموريتاني الشيخ سعد أبيه: حياته ودوره في ضفتي نهر السنغال"، مجلة البحوث التاريخية، جامعة محمد بوضياف، مج 02، ع 02، 2018.
- 10) الأنباري نجم عبد الأمير: "الشيخ الحاج محمد الأمين وجهاده القومي الإسلامي في السودان الغربي م 1885-1887م"، التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ع 04، 2010.
- 11) أولاد حمادي عبد الجليل: "النوازل الفقهية في مراسلات الأمير عبد القادر للفقهاء"، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، الجزائر، مج 10، ع 02، 2019.
- 12) بن داره محمد: "الجديد في موضوع فصل الصحراء عن الشمال: المساعي الاستعمارية للشيخ محمد محمود بن الشيخ الارواني"، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزائر، مج 2، ع 04، 2013.

- 13) بن سنوسي هشام: "محنة الموريسكيين في نوازل الفقهاء والمفتين الونشريسي التلمساني والمغراوي الوهراني أنموذجا"، مجلة القرطاس، جامعة تلمسان، الجزائر، ع 06، جوان 2017.
- 14) بن منصور عبد الوهاب: "من الهجرة إلى التهجير"، الاكاديمية، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ع 15، 1998.
- 15) بوسعيد أحمد: "الشيخ عابدين الكنتي ودوره في مقاومة التوسع الفرنسي بالصحراء الكبرى (1894-1927)"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، مج 07، ع 04، 2022.
- 16) بومدين عائشة: "الصوفية والسياسة في السنغال، مجلة الدراسات الافريقية وحوض النيل"، المركز الديمقراطي العربي، برلين، مج 01، ع 03، سبتمبر 2018.
- 17) بومدين عائشة: "موقف الطرق الصوفية من الاستعمار في السنغال الطريقة المرينية انموذجا(1895-1927م)"، مجلة افاق علمية، جامعة تلمسان، الجزائر، مج 12، ع 02، 2020.
- 18) تمام همام تمام: "المقاومة الوطنية ضد التوسع الفرنسي في أعالي النيجر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر"، مجلة الدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، مصر، ع 08، 1979.
- 19) جبير علي سعدي عبد الزهرة: "الاستعمار الفرنسي في موريتانيا"، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، مج 04، ع 02، 2020.
- 20) جعفري أحمد: "المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب قراءة في المصادر العربية والافريقية ما بين القرنين (8هـ-11هـ/14م-17م)"، مجلة أفاق علمية، جامعة تلمسان، الجزائر، مج 12، ع 01، 2020.
- 21) جعفري مبارك: "منطقة تيندوف في الجنوب الغربي الجزائري ودورها في الثورة التحريرية (1956-1962)"، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزائر، مج 17، ع 04، 2018.
- 22) حاج الصافي محاسن عبد القادر: "جهاد الشيخ عثمان بن فوديو في غرب إفريقيا وجهاد السيد محمد عبد الله حسن في الصومال دراسة مقارنة"، الشيخ عثمان بن فودي، الندوة العالمية، جامعة إفريقيا العالمية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 19-21 نوفمبر 1995.

- (23) رزق الله مهدي: "حركة الشيخ مابا جاخو الإسلامية الإصلاحية ودورها في الحياة الإسلامية في غربي إفريقيا (1850-1890م)", مجلة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، مج 12، 2000.
- (24) زاوي خديجة: "الكتابات الكولونيالية حول التصوف الطريقي"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة أم البواقي، الجزائر، مج 04، ع 02، 2015.
- (25) شعباني نور الدين: "الطريقة المرينية ودورها في السنغال"، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة الجزائر 02، مج 03، ع 05، 2016.
- (26) الشكري أحمد: "الصحراء والتجارة الصحراوية بعيون المؤرخ الفرنسي ريموند موني"، أعمال اليوم الدراسي: الذاكرة والهوية، المغرب، 2013.
- (27) شهبي عبد العزيز: "سياسة الاستعمار تجاه الطرق الصوفية بالجزائر في أواخر القرن 19"، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر مجلد 02 العدد 03، 2012.
- (28) الصافي محمد: "التصوف ودوره في ترسيخ العلاقات الروحية بين المغرب وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء"، قضايا تاريخية، المغرب، ع 05، 2017.
- (29) عابد سفيان: "دور الشيخ ماء العينين في مقاومة الاستعمار الفرنسي في موريتانيا"، مجلة المفكر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، مج 04، ع 02، 2020.
- (30) عبد الماجد عمر: "التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر"، مجلة دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، ع 48، 2012.
- (31) عطية عبد الكامل: "نماذج من حركات المقاومة الوطنية في السودان الغربي"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تبسة، الجزائر، ع 01، 2011.
- (32) غانم العربي: "الكنيسة والاستعمار الأوروبي لإفريقيا جنوب الصحراء"، مجلة أفاق علمية، جامعة تلمسان، مج 13، ع 04، 2021.
- (33) كرشوش عبد المالك: الإمام العلامة سيدي محمد الصغير الملقب بباي بن سيدي عمر الكنتي الوافي مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، مج 08، ع 02، 2012.
- (34) محمدمو محمدن أمين: "المقاومة الثقافية في موريتانيا من خلال مؤسسة المحضرة"، مجلة روافد، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، العدد 17، 2012.

- (35) موسى محمد الثاني عمر: "آراء الشيخ إبراهيم أنياس السنغالي في الميزان"، قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، لندن، ع 05، يونيو 2010.
- (36) هارون المهدي ميغا: "المراسلات العلمية وأثرها التعليمي والدعوي بغرب إفريقيا"، قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، لندن، ع 03، ديسمبر 2008.
- (37) ولد البشير محمد المصطفى: "التصوف الشنقيطي: المراحل التاريخية وأهم الطرق الصوفية"، دراسات موريتانية، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ع 03، 2014.
- (38) ولد الشيخ سيديا باب ولد أحمد: "مقاربات ونصوص جديدة حول الاستعمار في موريتانيا"، مجلة أريام، الأردن، المجلد 02، العدد 01، 2020.
- (39) يرولي الحسن: "جهاد الحاج عمر الفوتي تال نظريا وتطبيقيا"، مجلة الدراسات الإفريقية، ع 20، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1998.
- (40) يعقوب علي: "دور العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في غرب إفريقيا نموذجاً"، قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، لندن، العدد 03، ديسمبر 2008.
- (41) يعقوب علي: "الفلاينيون الشعب واللغة"، قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، لندن، ع 24، أبريل-جوان 2015.

### الأطروحات والرسائل:

- (1) أولاد حمادي عبد الجليل: النوازل المتعلقة بجهاد الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي جمعا ودراسة، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2020-2021.
- (2) حسن عيسى صغير: الشيخ إبراهيم أنياس ومنهجه في التصوف والدعوة إلى الله، رسالة ماجستير، شعبة القرآن الكريم وعلومه، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، 2003-2004.
- (3) حمادو نور الدين: الشيخ ماء العينين القلمي ودوره العلمي والجهادي في الصحراء الغربية (1831-1910م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2020-2021.

- (4) حناني فردوس: محمد الخليفة الكنتي حياته وأثاره التاريخية، رسالة ماجستير، التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2008-2009.
- (5) زماعرة ولاء سعيدة: الحركات الجهادية في إفريقيا بين التوسع والردود الدولية (دراسة حالة بوكوحرام 2000-2015م)، كلية الدراسات العليا، معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2018.
- (6) سلمان علي بدوي علي: الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960م)، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2003.
- (7) شريك محمد الأمين: الطرق الصوفية في الجزائر بين ثنائية المقاومة والمواولة للاستعمار 1803-1954م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2019-2020م.
- (8) الشنقيطي الحسن بن محمد الأمين: الجهود الدعوية في منطقة شنقيط وتأثيرها في غرب إفريقيا من القرن 11 إلى القرن 13هـ، رسالة ماجستير، كلية الدعوة، جامعة طيبة، السعودية، 2004.
- (9) القطعاني سعد حمد جمعة: حركة التحرر في نيجيريا ضد الاستعمار البريطاني (1914-1960م)، رسالة ماجستير، التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة بنغازي، 2012-2013.
- (10) لعرج شيخ: "موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19 وبداية القرن 20"، أطروحة دكتوراه، فغور دحو، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2016-2017.
- (11) مرزقلال لعماري: الحياة الثقافية الإسلامية في مملكة سنغاي على عهد الاسقيين، رسالة ماجستير، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، 2009-2010، ص 113.

- 12) مسعودي زهرة: الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م، رسالة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2009-2010.
- 13) مولاي محمد: القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع الهجري حتى الثاني عشر هجري، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2018-2019.
- 14) ولد محمد المختار، الطرق الصوفية في موريتانيا ومواقفها من الاستعمار الفرنسي، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.
- 15) ولد محمد سيد محمد: فتاوى الشيخ سيدي بابو من الاستعمار، رسالة ماجستير، التاريخ في المجالين الساحلي والصحراوي، جامعة نواكشوط، موريتانيا، 2015-2016.

#### المراجع الأجنبية:

- 1) A. Bordier: la colonisation scientifique et les colonies françaises, C. Reinwald, Libraire Editeur, Paris, 1884
- 2) A. Lacord: L'esclavage Africain, imprimerie Paul Michel, Dunkerque, 1989.
- 3) Abbou Tahar : The Abolition Act of 1807: between Humanitarian and Economic Interpretations, مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، م 07، ع 04، جامعة الشهيد لخضر حمة، ماي 2022، ص 759.
- 4) Abbou Tahar, Usman Dan Fodio's Conception of Good Governance, Muslim Written Intellectual Tradition in Africa, Organised by the African Studies Association (ASAUK, University of Birmingham, United Kingdom, 11 – 13 September, 2018.
- 5) Abbou Tahar: "Mansa Musa's Journey to Mecca and Its Impact on West Africa", Conference Proceedings, "The Routes of Hajj in Africa", The International University of Africa, Khartoum, Sudan, 2016.
- 6) Abbou Tahar: British Colonial Policy and its impact on food self-sufficiency in the Gold Coast(1896-1957), Doctoral thesis in African civilization, English department, faculty of foreign languages, University of Oran 2, 2017-2018.
- 7) Abbou Tahar: The pligrimage of the grand magal in Tuba, Sénégal, international journal of relegious tourism and pligrimage, vol.10, iss. 4, article 3.

- 8) Ahmed baba miske: la decolonization de l'Afrique revisitee la responsabilite de l'Europe, karthala, 2014.
- 9) Alioun Traore: Cheikh Ma el Ainin ou la dernière résistance Saharienne(1831-1910), société français d'histoire d'outre-mer, Paris, 1981.
- 10) Christopher Harrison: France and Islam in West Africa 1860-1960, press syndicate of the University of Cambridge, United Kingdom, 1988.
- 11) D. Lasnet et A. Cligny: Une mission au Sénégal, Augustin Challamel, Paris, 1900.
- 12) David Robinson: Beyond resistance and collaboration: Amadu Bamba and the Murids of Senegal, journal of religion in Africa, 19, 1991
- 13) Edouard Guillaumet: La vérité sur Tombouctou l'esclavage au Soudan, Albert Savine, Paris, 1895.
- 14) Gaston Donnet: Une Mission au Sahara Occidental du Sénégal au Tiris, Augustin Challamel, Paris, 1890.
- 15) G-M. Désiré Vuillemin: Cappelani en Mauritanie, revue d'histoire des colonies, tome 42, n 148-149, 1955.
- 16) Gouvernement général de l'Afrique occidentale français: Territoires du haut- Sénégal Moyen- Niger 1900-1903, imprimerie Firmin Didot et Cie, Paris, 1903.
- 17) Gouvernement général de l'Afrique Occidentale Français : Fête cinquantenaire du Soudan Français 1883-1933 Discoures et Allocutions, Imprimerie du gouvernement général, 1984.
- 18) - Hamet Ismael : Chroniques de la Mauritanie et Sénégalaise, Ernest Leroux, Paris, 1911.
- 19) Henri Barth, voyages et découvertes dans l'Afrique, traduction: Paul Ithier, deuxième édition, firmin didot frères, Paris, 1863.
- 20) J. D. Fage, A History of West Africa, Cambridge University Press, 1969
- 21) Jean Schmitz: Jihad, Soufis et Salafistes ou les flux et reflux de l'émancipation Islamic(17-19 siècle), le Sahel Musulman entre Soufisme et salafisme, Karthala Tunisie, 2023.
- 22) Joseph Roger: Tendances actuelles de l'Islam en Afrique de l'ouest, étvdes, péres de la compagnie de Jésus, France, décembre 1983.
- 23) Jules Salenc-Paul Marty: Les écoles Maraboutiques du Sénégal la Médersa de Saint -Louis , Ernest Leroux, Paris, 1914.
- 24) Louis Rinn: Marabouts et Khouans, Adolphe Jourdan libraire, Alger, 1884.
- 25) Martthew Michael Heaton: Stark roving mad: The Reperation of Nigerian mental patients and the Global construction of mental

- illness, 1906-1960, Doctor of philosophy, faculty of the graduate school, University of Texas, USA, 2008.
- 26) Mgr. A. Hacquard: Monographie de Tombouctou, société des études coloniales et maritimes, Paris, 1900.
  - 27) Michael Crowder, West Africa under Colonial Rule (London: Hutchinson, 1968).
  - 28) Odette du Puigauveau: une nouvelle généalogie de Cheikh Ma-el ainin u mamin, Hespéris Tamuda, volume 12, Techniques nord Africaines, Rabat, 1971.
  - 29) Paul Marty: études l'Islam maure, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1916.
  - 30) Paul Marty: Les Tribus de la haute Mauritanie, comité de l'Afrique Française, Paris, 1915.
  - 31) Paul Marty: L'Islam en Mauritanie et au Sénégal, Revue du monde Musulman, volume 31, Ernest Leroux, Paris, 1915, p 33-34.
  - 32) Paul Painleve: La Mauritanie, Emile la rosse libraire, Paris, 1920.
  - 33) Paul Soleillet: L'avenir de la France en Afrique, challmel ainé, Paris, 1876.
  - 34) Paul Soleillet: Voyage à Ségo 1878-1879, challamel ainé, Paris, 1887.
  - 35) Paul Trouillet: l'ouvre de la France en Mauritanie, La Dépêche coloniale illustrée, n 03, Paris, 15 février 1906.
  - 36) Pierre Bonte: La politique colonial Française et les Ahl Shaykh Ma Al-Aynin. Jihad et resistances tribales, archivios, numero 11, 2011.
  - 37) -S.N. L afrique explorée et civilisée, la conférence anti esclavagiste de Bruxelles, <http://doi.org/10.5169/seals-133897>.
  - 38) Samir Amin: Neo-colonialism in West Africa, translated by Francis McDonagh, Monthly review press, U S A.
  - 39) Victor Azarya: Traders and the Centre in Massinam, Kong, and Samori's state, The international journal of African historical studies, vol 13, N 03, 1980, p 427.
  - 40) X. Coppolani: Rapport d'ensemble sur ma Mission ou Soudan Français, Imprimerie F. Levé, Paris, 1899.

# الفهارس

فهرس الأعلام والشخصيات:

أ

- أبدون أوجين ماج 128.
- ابرا فال 214.
- إبراهيم بن عبد القادر الرياحي 177
- أبو داوود 146
- ابن الأثير 42
- أجدود بن اكتوشن 100
- أجيبو 204، 213
- أحمد الشرقاوي إقبال 135
- أحمد الشريف الحسيني 197
- أحمد الهيبا 104
- أحمد بابا التمبكتي 40، 44
- أحمد بن أحمدو لبو 50، 53، 178، 179
- أحمد بن الصغير بن حمى الله 141
- أحمد بن العاقل 140
- أحمد بن الغزال 120، 210
- أحمد بن المأمون البلغيتي 136
- أحمد بن خالد الناصري 117، 119، 120، 210،
- أحمد بن موسى 207
- أحمد بن هشام بن صالح الادريسي 86
- أحمد سالم بن علي 86
- أحمد سعد 177، 188
- أحمد لوبو بن محمد بوبو الماسيني 141، 150.

- أحمد ميساو 167
- أحمدو بمب 108، 109، 114، 121، 123، 191، 198، 199، 214، 215
- أحمدو شيخو 65، 89، 183
- أخيار بن الشيخ مامينا 2، 86، 218
- ارتشينارد 65
- أسامة بن زيد 113، 116، 118
- أسماء بنت أبي بكر 203
- آسيا بنت مزاحم 151
- أشيهنا بن الشيخ ماء العينين 170
- إصطخري 16، 17
- أمادو 192
- أمر بيه 145، 146
- الأمير عبد القادر 86، 121، 157، 159
- أمين بن الماحي بن الحسن 177
- أوجين ماج 128، 183
- الأوزاعي 193، 202
- أوكتاف دييون 211

## ب

- بالوبو 89
- باي الكنتي 52
- بايزيد العثماني 163
- بكر الباقلائي 85
- بكر بن القاضي أحمد سعد 177، 188
- بكر بن محمد الفخار الجزائري 177
- بلال ولد سيدي إعيش 122

- ابن أبي زيد 40، 42
  - ابن القاسم 42، 164، 193، 202
  - ابن باركله 178
  - ابن حداد التهامي 85
  - ابن خلدون 22، 23، 150
  - بن منظور 38، 83، 135
  - بن مولاي الزين 130، 169
  - بورنيه 74
  - بول بلانشي 181، 189
  - بول صوليبي 181
  - بول هول 182
  - بونيه 74
  - بيضاوي 193، 205
- ت**
- تراد بن العباس 77، 148، 155، 158، 171، 201، 202
  - تسولي 86، 120، 121، 146، 159، 160، 216
  - تهامي بن عبد القادر الحداد 86
  - توانزند 66
  - تيرنو موسى 183
- ث**
- الثوري 193، 202
- ج**
- جبريل بن عمر 45
  - جزي 84
  - جنيد 170

- جوزيف غاليني 213

- جوفر 74

- جول فيري 58، 63، 64، 184

- جون فيج 27، 59

- جيمس بينيكوك 66

## ح

- الحاج الأمين السرخلي الكنجوري 116

- الحاج عمر 30، 02، 34، 46، 50، 54، 65، 73، 74، 85، 86، 89، 92،

93، 94، 95، 112، 115، 117، 118، 126، 184، 190، 204، 213

- ابن الحاجب 42

- الحاجب بن عيلاط 151

- الحسن الأول 210

- حسن الوزان، 17

- حمادي بن المختار الصغير 97

- حماد الله التشيتي 124

- حمه بن خليفة 168

- أبو حنيفة 147

- حيدة المختار بن يحيى 178

## خ

- خليل الشيخ 40، 42، 44، 125، 178، 196

## د

- دافيد روبنسون 184

- الدسوقي 207

- دو ترانتينيان 59

- دو كرامون 184

- دود سك 187

- دوفو 18

- دولافوس 38

- دون ياموس 167

- ديو 130، 211

- ديورد 73

ر

- الرازي 193

- الرافي 161

- الرهوني 113

- ريتشارد مولار 26

- ريموند موني 37

ز

- ابن زكري 116

- زين بن محمدن اليدالي 144

س

- ساموري توري 11، 59، 65، 184، 185، 190، 240

- سانسيرك 77

- سحنون 42

- سعد بن أبي وقاص 118، 203

- سعد بوه 111، 112، 113، 117، 150، 151، 152، 155، 181، 182،

189، 190، 191، 217، 218

- سعيد نور تال 125، 204

- سل صمب جوم 116

- سيدي باب 10، 48، 113، 114، 153، 154، 172، 185، 191، 194،  
196

- سيدي بوي 112، 117

- سيدي محمد ولد ابيشر 122

- سيديا الكبير 46، 48، 185، 200، 218، 247

- سيسيل رودس 58

### ش

- شريف الادريسي 19، 21، 86

- شيخ زروق 116

### ص

- صالح بن محمد جنتا 88

- صباره بن بابيه 178

- صبيح بن عبد الله التكروري 43

### ط

- طالب أخيار 12، 77، 170

- طالب بوبكر 170

- طاهر بن علي 166

### ع

- عابدين الكنتي 97، 98، 130، 212، 213

- عامر بن الأضبط الأشجعي 116

- عائشة أم المؤمنين 116

- العباس بن عبد المطلب 152، 158

- عبد الرحمن بن عوف 118

- عبد العزيز العلوي 106

- عبد الله الفاسي 84

- عبد الله أنياس 122
- عبد الله بن أحمد 102، 142
- عبد الله بن فودي 45، 53، 55
- عبد الله بن قطيبة 160
- عبد الله بن ياسين 40
- عبد الله سك 87
- عبد المجيد الثاني 179
- عبداتي بن ماء العينين 170
- عثمان بن عفان 112
- عثمان بن فودي 33، 49، 50، 52، 54، 86، 87، 88، 90، 132، 138،  
158، 165، 205، 248
- العدوي 207
- ابن عرفة 158، 176، 216، 248
- علي بن محمد السنوسي السملالي 86
- علي بن محمد الفاضل 170
- عlish 148، 157، 159
- عمار بن ياسر 189
- عياش بن ربيعة 151

## غ

- غاستون دوبي 33
- غزواني بن محمد محمود 169
- غورو 191، 194

## ف

- فاتح بن عثمان التكروري 43
- فرعون 151

- الفونسو السادس 137
- فيديرب 65، 71، 72، 73، 76، 87، 93، 94، 153، 183، 200، 212، 213
- فيروز أبادي 38، 135، 248
- فيكتوريا 96،
- فيليب كيرتن 59
- ق
- القاضي عياض 42
- قدامة 85
- ك
- كابولاني 35، 68، 73، 106، 111، 112، 128، 130، 181، 182، 194، 195، 211، 237، 241
- كداد 43
- كرامو 182
- كروثر 66
- الكسندر ميلر 66
- كلابرتون 178
- كلارندون 180
- كليمان توماس 108
- كولبرت 74
- كونتان 183
- كياري 101
- ل
- لافيغري 67
- لفنجستون 26

- لوجارد 53، 75، 79، 80، 101، 102
- لوي رين 128، 130، 211
- ليبولد الثاني 61
- الليث بن سعد 196
- م
- ماء العينين 09، 12، 77، 86، 103، 104، 105، 106، 107، 112، 130،  
145، 170، 197، 207، 243
- مابا جوخ 98
- مالك سي 122، 121، 124، 125، 192، 193، 213
- المامي 36، 43، 44، 95
- محفوظ بن عبد الرحمن الادوزي 136
- محفوظ ول 116
- محكم بن جنامة 116، 118
- محمد الأرواني 32، 118، 156، 202، 203، 246
- محمد الأمين 101، 126، 187، 188
- محمد الأمين البوصادي 152، 193
- محمد الأمين الكانمي 51، 87
- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني 156
- محمد الأمين زيدان 151
- محمد الأمين ولد زيني القلقمي 168
- محمد الأول 119
- محمد الباقر 45
- محمد البخاري 166، 177، 188
- محمد التهامي بن عبد القادر المكناسي 86
- محمد الحبيب 76، 60، 100

- محمد الخليفة 39، 42، 45، 51
- محمد الصغير 44، 198
- محمد الطاهر الأول 102
- محمد العاقب بن مايبا 143
- محمد الفاضل 111، 112، 116، 170
- محمد الكبير 44، 158
- محمد المجتبي بن خطري البوصادي 148
- محمد المختار بن امبال 146، 208
- محمد المختار ولد حامد 144
- محمد بلو 45، 49، 51، 53، 54، 87، 140، 165، 177، 178
- محمد بن أحمد بن حبت الغلاوي 86، 105، 136، 154، 177، 208
- محمد بن جعفر الكتاني 210
- محمد بن حامني الغلاوي 147، 170
- محمد بن زين العابدين 212
- محمد بن سيديا 99
- محمد بن عبد الرحمن بن هاشم 121، 179
- محمد بن عبد الرحمن بن يجيش التازي 86
- محمد بن عبد الله المنصور 120
- محمد بن عيسى بن أصبغ 85
- محمد بن محمود بن عمر بن أقيت 40، 44
- محمد بيلو ميورونو 168
- محمد حامد بن الآه الحسني 127
- محمد حبيب بن مايبا الجكني 136
- محمد ديوف 129
- محمد عبد الله ولد أحمديه 168

- محمد مرافا 166
- محمود بن عمر بن أقيت 40، 44
- مختار السالم بن علي التندغي 86
- مختار الكنتي 42، 44، 52، 139
- مختار بن أحمد الهادي 44، 149
- مختار بن المختار بن عينين اللمتوني 148
- مختار بن بلول الحاجي 127
- مختار بن عيده 181
- مختار ولد سيدي ولد الشيخ القاضي 168
- مريه بين الشيخ ماء العينين 86، 145
- معاوية بن أبي سفيان 116
- المغراوي 160، 209، 260
- المغيلي 42، 44، 51، 158
- مقداد بن الأسود 118
- المقداد سك 186، 187
- منسا موسى 14، 43
- مودبو آدم 140
- موسى ابلانش 181
- موسى آق أمستان 98
- موسى سلي 181
- موسى كمر 11، 113، 115، 155، 200، 201، 210
- مولاي أحمد باير 203، 246
- مولاي الحسن 106، 258
- مولاي محمد 91، 106
- مونتانيه دي بويسك 107

ن

- نابليون بونابرت 214
- ناصر الدين 88
- نانا أسماء 54، 259
- النعمة بن الشيخ ماء العينين 148
- النووي 135، 161، 249

هـ

- هشام بن عبد الرحمن 96
- هنري بارث 02، 96، 97، 178، 179، 180
- هنري دوفيرييه 130
- هنري كادن 201

و

- والد بن خالنا 177
- ونشريسسي 07، 42، 44، 138، 142، 154، 155، 157، 160، 161، 162،
- 163، 164، 165، 173، 223، 249، 260

ي

- يوسفو غيسي 34
- فهرس الأماكن والقبائل:

أ

- أجيبة 48
- أداماوا 19
- أدامو 75
- أدرار 24، 77، 91، 105، 107، 181، 182، 197، 215
- إدوعيش 45

- أرجوين 30
- الأردن 168
- أروان 37، 39، 47، 246
- أزواد 12، 32، 35، 45، 52، 55، 73، 97، 212، 226
- إسبانيا 70، 103، 210، 256
- الأسقيين 43
- الأشانتي 29
- أضنة 169
- آطار 181
- إغجكل 48
- إفوغاس 32
- الأقلال 216
- أقيت 40، 43، 44
- آل حمى الله 112، 117
- الألزاس 62
- ألمانيا 58، 64، 69
- إلمدن 32
- إنجلترا 37، 59، 178
- أنجلو ساكسون 58
- أندار 193
- الأندلس 3، 25، 119، 120، 137، 155، 160، 162، 160، 163، 165،  
190، 207، 209
- انشيري 189
- أنيورو 77
- أولاد أحمد 185، 186

- أولاد الفاللي 48
- أولاد الناصر 45
- أولاد ابييري 48
- أولاد دليم 24، 181
- أولاد محمد 45
- الاوليمندن 32
- أيطالين 25
- ايلورين 75
- الايوى 26

ب

- باريس 78
- باكل 73، 94، 188
- باماكو 74، 124
- بامبوك 30، 92
- بأول 30
- بحر النيل 141
- البرايش 32، 156، 168، 249
- البراكنة 24، 76، 91، 107، 186، 197، 212
- برانسيب 19
- البربر 22، 24، 25، 247
- البرتغال 59، 70، 74
- برلين 69، 70، 71، 75، 260
- برنو 24، 45، 51، 171
- بريطانيا 59، 70، 71، 75
- بغداد 188، 260

- بغيغ 40، 44
- بلجيكا 61، 70، 250
- البمبرا 25، 29، 88، 89
- بن معقل 23
- بُندُ 155
- بنو حسان 23، 34، 112، 249
- بني بكر 197
- بني ملال 170
- بنين 18
- بوال 187
- بوتشي 101
- بوتليميت 35
- بورتدال 72
- بوركينافاسو 18
- بورمي 102
- بوروري 75
- بوريه 74، 93، 185
- البوساتية 169
- بوشي 19، 75
- بوطلحاية 48
- بولنوار 52
- بوندو 46
- بيجاغوس 19
- بيزنطة 40
- بيساندوجو 184

- البيضان 36، 72، 113، 181، 190، 200، 212، 244، 249
- بيغمي 24
- ت
- تاغنيت 77
- التتار 118، 188
- تديكلت 98
- التراززة 24، 60، 73، 76، 77، 91، 107، 182، 197، 233، 258
- تركيا 168، 169
- تشاد 17، 18، 19، 25، 26، 65، 129
- تكانت 91، 107، 197، 212
- تكرور 11، 19، 24، 37، 43، 44، 93، 247، 256
- تمبا 93
- تمبكتو 30، 35، 37، 39، 89، 93، 97، 178، 179، 180، 182، 212، 222، 262
- تنكسو 185
- تنوجة 91
- توات 45، 52، 96، 98، 215، 264
- تواوون 35، 116، 125
- توبا 35
- توغو 18
- التوكلور 74، 188
- التوي 26
- التيدو 108
- تيشيت 37، 47
- تيندوف 118، 203، 261

ج

- جارت 184
- جريل 109
- جزر الرأس الأخضر 18
- حص 49
- الجعافرة 168
- الجغبوب 97
- جني 35، 39
- جوال 72، 187
- جوريه 30
- الجولوف 88، 108

ح

- الحجاز 41، 144، 147، 148، 149، 169
- الحسانية 187
- حسي العافية 48
- حمد الله 85
- الحوض 104، 107، 168، 171، 197، 249

خ

- الخاسو 73
- خاي 191
- خزاعة 197

د

- الداخلة 105، 170
- دارفور 141
- الداھومية 26

- درعة 170
- دكار 191
- الدليمية 169
- دنجراي 92
- الدندي 25
- ديغانكو 92
- دينجيراي 73

ر

- الرقيبات 143، 194
- ريفيسك 72

ز

- زاريا 49، 75
- زنوج 22، 24، 25
- الزيرما 25

س

- ساحل الذهب 70
- ساحل العاج 18، 217
- الساقية الحمراء 104
- سان لويس 20، 30، 72، 92، 94، 109، 127، 128، 181، 187، 212،  
213، 214، 216
- ساوتوم 19
- السراكولا 24
- سراكوليت 188
- السرير 23، 24

- سريلانكا 25
- السمارة 9، 104، 107
- السنغاي 23، 25
- سنكران 74
- السونراي 24
- السونينك 23
- سيراليون 18، 19، 20، 185، 197
- سيغو 30، 65، 89، 183، 185
- سين سالم 72
- ش**
- الشام 169، 252
- شبه الجزيرة العربية 25، 61
- شمشاوي 88
- شنقيط 10، 11، 12، 21، 35، 36، ، 37، 40، 46، 47، 77، 89، 95،  
100، 104، 106، 107، 111، 127، 136، 152، 156، 168، 177،  
181، 190، 195، 217، 229
- ص**
- صرصار 109
- صكتو 33، 45، 46، 49، 53، 54، 75، 85، 90، 92، 101، 138، 139،  
140، 142، 165، 166، 167، 171، 188، 206، 217، 247
- صنهاجية 22
- الصونغاي 32، 87
- ط**
- طرابلس 37، 247، 249
- طليطلة 137

- طنجة 62
- طنطان 170
- الطوارق 24، 25، 32، 45، 74، 97، 130، 156، 178، 180، 185
- طوبي 108، 109

### غ

- غامبيا 18، 20، 25، 99، 122، 188، 217
- غانا 18، 55، 129
- غاو 39
- غُدو 173
- غرناطة 137، 163، 207
- غواندو 177
- غوري 72
- غينيا 17، 18، 19، 20، 21، 24، 62، 129، 217
- غينيا (بيساو) 18، 19
- غينيا (كوناكري) 18، 19

### ف

- فاس 52، 84، 248
- فرل 155
- فزان 169
- الفلبين 25
- فوتاتور 12، 18، 30، 141، 167
- فوتاجالون 19، 20
- الفودية 43، 86
- الفولان 10، 11، 24، 25، 29، 32، 40، 90، 171، 180
- الفولتا 19، 23، 26

- فيينا 59

### ق

- القبلة 45، 48، 60

- القرامطة 188

- القرن الافريقي 62

- القلقمي 9، 12، 111، 158، 168، 169، 171، 243

### ك

- كارطا 30، 73، 141

- الكامبيرون 17، 19، 23، 24، 25

- كانو 75، 165

- كاوكة 17

- كاولاك 125

- كايور 30، 88

- كجور 72، 187

- كلنتصر 32

- كنته 10، 40، 45، 46، 51، 52، 96، 97، 112، 144، 146، 212، 249

- كورد 40

- كوروسا 20

- كوفود 92

- كونتاغورا 75، 101

- الكونغو 69

- كيب تاون 62

- كيب جوبي 74

- كيفية 143

- الكيل أوي 32

ل

- لاغوس 74

- اللورين 62

- ليبيا 17، 97، 149، 168، 169، 246

- ليبيريا 17، 18، 19

م

- ماسينا 46، 50، 53، 54، 88، 89، 96، 167، 178، 179، 183

- الملائكة 23

- مالي 18، 20، 25، 46، 53، 93، 98، 104، 123، 124، 129، 203،

217

- الماندي 25

- الماندينغ 23

- المحاجيب 47

- المحيط الأطلسي 17، 20، 65، 93، 182

- المدينة المنورة 41، 143، 147

- المسومية 169

- مشظوف 77

- المغافرة 45

- المغرب الأقصى 117، 146، 249

- مكة 101، 115، 147، 148، 151، 152، 157، 158، 168، 172، 188،

197

- منروفيا 23

- مورجولا 73

- الموشي 23

ن

- ندر 181، 187، 190، 191
- نويه 75
- نياكو 184
- نيامي 185
- النيجر 17، 18، 19، 20، 25، 26، 30، 32، 50، 65، 67، 68، 69، 70، 71، 73، 74، 78، 123، 129، 180، 254
- نيجيريا 17، 18، 19، 20، 25، 26، 46، 49، 53، 66، 74، 75، 80، 92، 122، 129، 148

ه

- الهوصا 23، 26، 29، 32، 33، 35، 49، 50، 52، 74، 88، 90، 104، 138، 165، 170، 171

و

- وادي الذهب 104
- واسولو 74
- والو 30، 72، 73
- ودائي 141
- ورقلة 96
- ولاته 17، 37، 39، 47، 146
- الولايات المتحدة الامريكية 46
- الولوف 23، 24، 123، 187
- وهراني 160، 209، 260

ي

- يهود 25، 147، 159
- اليوروبا 26

- يولا 101

- يونانين 25

فهرس الموضوعات	
الموضوع	رقم الصفحة
بسم الله الرحمن الرحيم	
الإهداء	أ
التشكرات	ب
مقدمة	1-13
المُدخل	
التسمية والموقع	15
التحديد الفلكي	17
التضاريس	17
المجاري المائية في غرب إفريقيا	18
التربة	19
المناخ	20
الأعراق البشرية في غرب إفريقيا	21
اللغات في غرب إفريقيا	24
الأديان في غرب إفريقيا	25
<b>الفصل الأول: غرب إفريقيا قبل الغزو الاستعماري</b>	
المبحث الأول: أوضاع غرب إفريقيا قبل مجيء الاستعمار	28
1-الأوضاع السياسية	28
1-1-الأوضاع السياسية في منطقة فوتاتور بداية القرن 19م	29
1-2-الأوضاع السياسية في بلاد شنقيط	30
1-3-الأوضاع السياسية في بلاد الأزواد	31
1-4-الأوضاع السياسية في بلاد الهوسا	31
1-2-الأوضاع الاجتماعية قبل الاستعمار	32

34	1-3 الأوضاع الثقافية
35	1-4 الأوضاع الاقتصادية قبل الاستعمار
37	المبحث الثاني: أوضاع الفقهاء في غرب إفريقيا قبيل الاستعمار
37	1 مفهوم الفقهاء
38	2- الحركة الفقهية في غرب إفريقيا
38	3 انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا
40	4- أمهات الكتب المالكية
41	5- مراحل تطور الحركة الفقهية في غرب إفريقيا
41	6- مميزات الحركة الفقهية في غرب إفريقيا
42	7- أهم مؤلفات النوازل والفتاوي
43	8- أدوار الفقهاء قبيل الاستعمار
43	8-1 الدور السياسي والإداري للفقهاء
45	8-2 الدور القضائي للفقهاء
45	8-3 مكانة الفقهاء الاجتماعية
47	8-4 دور الفقهاء في الحركات الإصلاحية
48	8-5 الدور الجهادي للفقهاء
49	8-6 المكانة الروحية للفقهاء
50	8-7 دور الفقهاء في الحركة العلمية
53	المبحث الثالث: استعمار منطقة غرب إفريقيا
53	1 مفهوم الاستعمار
55	2- مميزات الاستعمار الحديث
55	3 دوافع وأسباب الاستعمار
56	3-1 العامل الحضاري والإنساني
57	3-2 دعوى نشر الإنسانية
57	3-3 دعوى محاربة الرق

58	3-4-دعوى حماية المصالح
58	3-5-التدخل بحجة توفير الأمن
59	3-6-الدافع الديني
60	3-7-دوافع استراتيجية
60	3-8-دوافع داخلية
60	3-9-عوامل نفسية
61	3-10-العوامل الاقتصادية
62	3-11-العامل الاستيطاني
62	4أساليب الاستعمار لغزو غرب إفريقيا
62	4-1التحليل وعقد الاتفاقيات
63	4-2شن حملات عسكرية
63	4-3تأسيس الشركات
64	4-4الرسائل التبشيرية
64	4-5التجارة
65	4-6الدراسات والأبحاث العلمية
66	4-7الإعلام والترفيه
66	4-8الجانب الصحي
66	5 مؤتمر برلين
66	5-1 دوافع انعقاد المؤتمر
67	5-2 قرارات المؤتمر
67	5-3 انعكاسات مؤتمر برلين
68	-6الصراع بين الأوروبيين في غرب إفريقيا
69	7 الغزو الاستعماري لغرب إفريقيا
69	7-1التوسع في منطقة السنغال
71	7-2 غزو الأزواد

72	3-7 احتلال بلاد الهوسا
73	4-7 احتلال بلاد شنقيط
75	المبحث الرابع: تنظيم وسياسة المستعمرات
75	1 علاقة فرنسا مع مستعمراتها
76	2 تسيير المستعمرات الفرنسية
77	3- السياسة الاستعمارية البريطانية
77	4 تسيير المستعمرات البريطانية
<b>الفصل الثاني: آراء فقهاء غرب إفريقيا في الجهاد</b>	
80	المبحث الأول: ماهية الجهاد وتاريخه في غرب إفريقيا قبيل الاستعمار
80	1 مفهوم الجهاد في الشرع
80	2- حكم الجهاد في الشرع والقانون الدولي
81	3- حكم جهاد العدو
81	4- شروط الجهاد
82	5 دوافع وعوامل بروز الجهاد في غرب إفريقيا
82	6- مصادر وكتب الجهاد
83	7- موضوع الجهاد قبل الاستعمار
84	8- الحركات الجهادية في غرب إفريقيا قبل الاستعمار
84	8-1 حركة الشيخ ناصر الدين
85	8-2 الجهاد ضد الوثنيين
86	8-3 الفتن بين المسلمين
87	المبحث الثاني: المواقف المؤيدة للجهاد
87	1 موقف الشيخ عثمان بن فودي (1754-1817م)
88	2- موقف الشيخ سيديا الكبير (1777م-1868م) من الجهاد
88	2-1 رسالة الشيخ سيديا الكبير إلى سلطان المغرب

89	3- رأي الحاج عمر الفوقي (ت 1864م) في الجهاد
89	3-1 تحضير الحاج عمر للجهاد
89	3-2 دعوة الحاج عمر للجهاد
90	3-3 شهادات حول جهاد الحاج عمر
91	3-4 رسائل الحاج عمر للحث على الجهاد
91	3-5 رؤية الحاج عمر لحكم الاستعمار
92	4- موقف الشيخ المامي (1791 إلى 1865م) من جهاد الحاج عمر
92	5- موقف قبائل كنته من الاستعمار
93	5-1 موقف الشيخ أحمد البكاي (ت 1865م)
94	5-2 موقف الشيخ عابدين الكنتي من الجهاد
95	6- موقف الشيخ مابا جوخ من الجهاد
96	7- موقف الشيخ محمد بن سيديا من الجهاد
97	8- موقف الشيخ أجدود بن اكتوشن (1792م-1872م) من الجهاد
98	9- موقف الشيخ محمد الأمين من الجهاد
98	10- موقف أمير المؤمنين عبد الرحمن (ت 1902م) من الجهاد
99	11- موقف القاضي عبد الله بن أحمد من الجهاد
100	12- موقف الشيخ ماء العينين من الجهاد
101	12-1 أدلة الشيخ ماء العينين في الجهاد
102	12-2 كتاب هداية من حارا في أمر النصارى للشيخ ماء العينين
103	12-3 العوامل المساعدة للشيخ ماء العينين في جهاده
104	12-4 جهاد الشيخ ماء العينين
105	13- موقف أحمدو بمب من الجهاد
106	14- موقف الشيخ محمد بن حبت الغلاوي (ت 1952م) من الجهاد
107	المبحث الثالث: المواقف المعارضة للجهاد
108	1- موقف الشيخ سعد بوه من الجهاد

108	1-1 شروط الشيخ سعد بوه للجهاد في البداية
108	1-2 حوار الشيخ سعد مع كابولاني حول دخول النصارى أرض المسلمين
109	1-3 رسائل الشيخ سعد بوه في الجهاد
110	1-4 أدلة ومصادر الشيخ سعد بوه في الجهاد من خلال رسالة النصيحة
111	2 موقف الشيخ سيديا باب (1860-1924م) من الجهاد
111	4موقف الشيخ موسى كمر (1863-1945م) من الجهاد
112	1-4 كتاب أكثر الراغبين في الجهاد:
114	2-4 مصادر الشيخ كمر في كتاب أكثر الراغبين
115	5-موقف الشيخ محمود الأرواني من الجهاد
115	6-آراء فقهاء من غير بلاد السودان في الجهاد
116	1-6 رأي الشيخ أحمد بن خالد الناصري (1835-1897م) في الجهاد
116	2-6 رأي أحمد بن الغزال في الجهاد
117	3-6 رأي الإمام التسولي (ت 1258هـ-1842م) في الجهاد
118	<b>المبحث الرابع: المقاومة السياسية والفكرية</b>
118	1 مفهوم ودواعي المقاومة الفكرية
118	2 دور الفقهاء في المقاومة الثقافية
118	1-2 دور الحاج عبد الله أنياس (ت 1922م)
119	2-2 دور الشيخ إبراهيم أنياس
120	3-2 دور الشيخ أحمدو بمب
120	4-2 موقف الشيخ حماه الله (ت 1943م)
121	5-2 موقف الشيخ مالك سي (1858-1922م)
121	6-2 مقاومة الشيخ سعيد نور تال
122	<b>المبحث الخامس: سياسة الاستعمار والطرق الصوفية في غرب إفريقيا</b>
122	1- سياسة الاستعمار تجاه الإسلام
123	2 موقف الاستعمار من المؤسسات الإسلامية

124	3-أساليب فرنسا لنشر ثقافتها
125	4- دور الطرق الصوفية في مواجهة الاستعمار
126	5-موقف الطرق الصوفية من سياسة الاستعمار
127	6 موقف الاستعمار من الطرق الصوفية
128	7-نهاية المقاومات الوطنية
128	8-تقييم حركة الجهاد
<b>الفصل الثالث: آراء فقهاء غرب إفريقيا في الهجرة</b>	
132	المبحث الأول: ماهية الهجرة وتاريخها عند الفقهاء
132	1- مفهوم الهجرة
133	2- كتابات ومؤلفات حول الهجرة
133	3- الهجرة عند الفقهاء القدماء
134	4- تاريخ مسألة الهجرة والبقاء في دار الحرب
135	المبحث الثاني: المواقف المؤيدة للهجرة في غرب إفريقيا
135	1- رأي الشيخ عثمان بن فودي (ت1817م) في الهجرة
136	1-2 كتاب بيان وجوب الهجرة على العباد ونصب الإمام وإقامة الجهاد
136	2- رأي وفتوى أحمد بن العاقل (1741-1829م) حول الهجرة
137	3- رأي الشيخ محمد بلو (ت1253هـ/1837م) في الهجرة
137	4- رأي الشيخ أحمد لبو بن محمد بوبو الماسيني (ت1845م) في الهجرة
138	5- رأي الحاج عمر الفوتي (ت1864م) في الهجرة
138	5- رأي القاضي عبد الله بن أحمد في الهجرة
139	6- موقف محمد العاقب بن مايبا (ت1327هـ/1909م) من الهجرة
140	7- رأي محمد المختار ولد حامد (ت1915م) في الهجرة
141	8- رأي الشيخ زين بن محمدن البدالي (ت1358هـ/1939م) في الهجرة
141	9- رأي الشيخ أمر بيه بن الشيخ ماء العينين (ت1942م) في الهجرة

142	9-2 كتاب أمرية: (صولة الكار وملجأ الفار في تحريم الإقامة مع الكفار)
143	10- رأي الشيخ محمد المختار بن أمبال المسلمي (ت 1944م) في الهجرة
144	11- رأي الشيخ محمد بن حامني الغلاوي (ت 1375هـ/1956م) في الهجرة
145	12- رأي الشيخ محمد المجتبي بن خطري البوصادي (ت 1958م) في الهجرة
145	13- رأي الشيخ المختار بن المختار بن محمد عينين اللمتوني في الهجرة
146	14- فتوى الشيخ المختار بن أحمد الهادي (1885م-1959م) حول الهجرة
146	<b>المبحث الثالث: المواقف المعارضة للهجرة</b>
147	1- رأي الشيخ أحمد بن حمى الله (1808م-1855م) في الهجرة
147	2- رأي الشيخ سعد بوه (1848م-1917م) في الهجرة
148	3- أدلة موانع الهجرة عند الشيخ محمد الأمين زيدان (ت 1918م)
148	4- موقف الشيخ محمد الأمين البوصادي من الهجرة
149	5- موقف الشيخ باب بن الشيخ سيديا (1860-1924م) من الهجرة
149	5-1 توصيف الشيخ باب سيديا لظروف الهجرة
150	5-2 رد الشيخ باب سيديا على دعاة الهجرة
150	5-3 كتاب فتاوي الشيخ سيدي باب ورسائله في شأن جهاد النصارى
151	5-4 رسالة الشيخ باب بن سيديا إلى الشيخ أحمد بن حبت الغلاوي
151	6- موقف الشيخ موسى كمر (1863-1945م) من الهجرة
152	7- موقف الشيخ التراد بن العباس (1886-1946م) من الهجرة
152	8- موقف الشيخ محمد الأرواني (1910م-1973م) من الهجرة
153	9- موقف الشيخ محمد الأمين بن محمد الجكني (ت 1974م) من الهجرة
153	<b>المبحث الرابع: المواقف والآراء في حكم من بقي في دار الحرب</b>
154	1- موقف الشيخ عثمان بن فودي فيمن بقي في دار الحرب
154	2- موقف الشيخ التراد بن العباس (1886-1946م) من الإقامة
155	<b>المبحث الخامس: مواقف علماء خارج إفريقيا الغربية من الهجرة</b>

155	1-موقف الشيخ التسولي من الهجرة
156	2-فتوى الشيخ المغراوي لأهل الاندلس
156	3-فتوى الشيخ الونشريسي
157	3-1 أدلة الشيخ الونشريسي في الرد على من لم يهاجر
158	3-2 موجبات الهجرة عند الشيخ الونشريسي
158	3-3 الرد على فتوى المعيار للونشريسي
161	المبحث السادس: نماذج من الهجرة بعد الاستعمار
161	1-هجرة الفلان نحو الشرق
162	1-1 دوافع هجرة سكان إمارة صكتو نحو الشرق
162	1-2 المعارضين للهجرة في إمارة صكتو
163	1-3 الهجرة من إمارة صكتو نحو الشرق
164	2-هجرة علماء وأهل شنقيط
164	3-الطريقة الغطفية والهجرة
165	المبحث السابع: تطورات مواقف الهجرة
165	1-الهجرة وتشتت القبائل
166	2-الرجوع عن مواقف الهجرة
166	3-موقف الأوروبيين من الهجرة
167	4-واقع الهجرة اليوم
168	5-تقييم مواقف الهجرة
<b>الفصل الرابع: آراء فقهاء غرب إفريقيا في المهادنة</b>	
171	المبحث الأول: تعامل الفقهاء مع الأوروبيين قبيل الاستعمار
171	1 مفهوم المهادنة
171	2-مؤلفات حول المهادنة
172	3 إشكاليات التعامل مع الأوروبيين

172	4-مواقف العلماء في التعامل مع الأوروبيين نهاية القرن 18م
173	5-مواقف الفقهاء من المستكشفين
173	5-1موقف الشيخ أحمد البكاي من المستكشفين
175	5-2موقف الشيخ سعد بوه من المستكشفين
177	المبحث الثاني: الآراء والمواقف المؤيدة للمهادنة
177	1-مهادنة الحاج عمر الفوتي (ت1964م) للفرنسيين
179	2-مهادنة ساموري توري (ت1900م) للأوروبيين
180	3-موقف الشيخ سيديا الكبير (1777م-1868م) من مهادنة النصارى
180	3-1 رد فيديرب على جواب الشيخ سيديا
181	4موقف القاضي أبو المقداد سك (1826-1880م) من المهادنة
182	5-رأي الشيخ محمد الأمين (1830م-1885م) في المهادنة
183	6-رأي القاضي أبوبكر بن القاضي أحمد سعد في المهادنة
184	7-رأي الشيخ سعد بوه (1848م-1917م) من الفرنسيين
184	7-1 أدلة الشيخ سعد بوه في التعامل مع الفرنسيين
185	7-2مراسلات الشيخ سعد بوه من أجل المهادنة
186	8-1 رأي الشيخ مالك سي من المهادنة:
187	8-2 محاورة الشيخ مالك سي (1858-1922م) لحاكم فرنسي
187	9-موقف الشيخ محمد الأمين البوصادي (1883-1923م) من الموالاتة
188	10-رأي الشيخ باب سيديا (1860-1924م) في المهادنة
189	10-1 دواعي قبول الشيخ باب المهادنة
190	10-2 أدلة الشيخ باب سيديا في المهادنة
191	10-3 رسائل الشيخ باب سيديا للإمارات والقبائل الموريتانية وإلى أتباعه
192	11-رأي الشيخ باي محمد الصغير (ت1927م) في المهادنة
192	12-1موقف الشيخ أحمدو بمب (1853-1927م) من الاستعمار
193	12-2 عوامل مهادنة الشيخ أحمدو بمب للفرنسيين

194	13-1 موقف الشيخ موسى كمر(ت1945م) من مهادنة الفرنسيين
194	13-1 أدلة الشيخ موسى كمر في المهادنة
195	13-2 العلاقات بين الشيخ موسى كمر والفرنسيين
195	14-موقف الشيخ التراد بن العباس(1886م-1946م) من المهادنة
196	15-1 رأي الشيخ محمد محمود الأرواني (ت1973م) في الدولة الفرنسية
196	15-2 رد الشيخ محمد الأرواني على تكفير المهادين وعلى المعادين لفرنسا
197	16-موقف محمد الأمين(اب) بن محمد الحكاني (ت1974م) من المهادنة
198	17-موقف الشيخ سعيد النور تال (1873م-1979) من المهادنة
198	<b>المبحث الثالث: الآراء والمواقف المعارضة للمهادنة</b>
198	1-موقف الشيخ عثمان(1754م-1817م) من موالات الكفار
199	2-1موقف القاضي أبو عبد الله قاضي صكتو من المهادنة
200	2-1 الرد على رأي المهادنة من خلال مؤلف ((رسالة ونصيحة))
200	3-موقف الشيخ ماء العينين (ت1323هـ-1910م) من المهادنة
201	3-1 أدلة الشيخ ماء العينين حول المهادنة
201	4 موقف الشيخ محمد المختار بن امبال(1879-1944م) من المهادنة
201	5-موقف الشيخ محمد بن حبت الغلاوي (ت1956م) من المهادنة
202	<b>المبحث الرابع: مواقف فقهاء خارج إفريقيا الغربية من المهادنة</b>
202	1-فتوى الشيخ أحمد المغراوي الوهراني حول المهادنة
203	2-موقف أحمد بن خالد الناصري(1835-1897م)
203	3-موقف الشيخ أحمد بن الغزال
204	4-موقف الشيخ محمد بن جعفر الكتاني (1857-1927) من المهادنة
204	<b>المبحث الخامس: مواقف الطرق الصوفية من المهادنة</b>
205	1-موقف الطريقة البكائية من المهادنة
205	1-1 موقف الكنتيين من مهادنة الاستعمار

206	2-موقف الطريقة التجانية من المهادنة
207	3-1 موقف الطريقة المرينية من المهادنة
207	3-2 تحالف الطريقة المرينية مع الإدارة الفرنسية
208	المبحث السادس: خلاصة آراء ومواقف المهادنة
208	1-أسباب مهادنة القبائل
209	2-عواقب ونتائج المهادنة
210	3-تقييم مواقف المهادنة
213	الخاتمة
217	الملاحق
238	المصادر والمراجع
261	الفهارس
262	فهرس الأعلام والشخصيات
273	فهرس الأماكن والقبائل
286	فهرس الموضوعات

**الملخص:**

عرفت منطقة غرب إفريقيا نهضة علمية كبيرة خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، برزت خلالها حواضر علمية في المنطقة مع بروز فقهاء ذاع صيتهم مشرقاً ومغرباً، فكثر التآليف والتصانيف الفقهية، لكن نتيجة التفكك السياسي استطاع الاستعمار التغلغل في غرب إفريقيا. اختلفت آراء الفقهاء في غرب إفريقيا حول الاستعمار اختلافاً معتبراً مما أثمر إرثاً فقهياً ضخماً نتيجة انقسامهم في المنطقة إلى: معارضين ومجاهدين بالقوة أو بطرق السلمية وفريق ثاني مسالم ومهادن وأحياناً متعامل مع الاستعمار، كما برز فريق ثالث اختار الهجرة. ولكل فريق أدلته الشرعية التي طالما دافع عنها وحاول نشرها. وقد تناولت هذه الدراسة مواقف الفقهاء المختلفة من الاستعمار في غرب إفريقيا، وخلصت إلى عدة نتائج تجعل المجتمع الإسلامي اليوم في حاجة إلى دراستها.

**الكلمات المفتاحية:**

إفريقيا الغربية الإسلامية، الفقهاء، السلطة، الطرق الصوفية، السودان الغربي، الجهاد، المهادنة.

### **The Jurists and Colonialism in West Africa: Perspectives of Conciliation and *Jihad* 1850 - 1960 CE**

**Abstract**

During the 19th century CE, corresponding to the 13th century AH, West Africa witnessed a significant scientific renaissance. This era saw the emergence of scholarly centres in the region, accompanied by the rise of renowned jurists whose fame spread far and wide. This period was marked by an abundance of legal writings and jurisprudential compilations. However, due to political fragmentation, colonial powers were able to infiltrate West Africa. The scholars' perspectives on colonization resulted in a vast jurisprudential legacy, stemming from their divided stances within the region—some opposing colonization

through force or peaceful means, others adopting a more conciliatory and accommodating approach, and a third faction choosing migration. Each group defended their legitimate arguments, striving to propagate their viewpoints.

This study delves into the diverse stances of scholars towards colonization in West Africa and concludes with several outcomes that highlight the contemporary Islamic community's need for further exploration of these perspectives.

Keywords: Islamic West Africa, Jurists, Authority, Sufi Orders, Western Sudan, *Jihad*, Conciliation.